مرحباً يا طالب العلم

سلسلة من التوجيهات الأثرية والوصايا السنية لطلاب العلوم الشرعية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية "سابقاً"

دار أضواء السلف للنشر والتوزيع

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

مرحباً يا طالب العلم

مرحباً يا طالب العلم

سلسلة من التوجيهات الأثرية والوصايا السنية
لطلاب العلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧٢٩ / ٢٠١١م

الإدارة: ٤٨ ش السلام - أحمد عصمت - جسر السويس - القاهرة

المكتبة: ١٨ ش الهدى المحمدي - أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

هاتف وفاكس: ٠٠٢٢٢٤٩١٢٧٩٥

هاتف محمول: ٠٠٢٠١٠١٠٠١١٤٥

adwaasalaf2007@yahoo.com

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات : 661409999 (00213)

الفاكس : 21966847 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

مرحبا يا طالب العلم

سلسلة من التوجيهات الأثرية والوصايا السنية لطلاب العلوم الشرعية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية "سابقا"

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

دار أضواء السلف المصرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم أما بعد:

فقد أذنت لدار الميراث النبوي للنشر والتوزيع لصاحبها أبي معاذ سيدعلي لخضر بن عمر سحالي إذنا خاصاً بطباعة الكتب التالية وتوزيعها عالميا :

١ - اللباب من مجموع نصائح وتوجيهات الشيخ ربيع للشباب .

٢ - مرحبا يا طالب العلم .

٣ - البيان والإيضاح لعقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله يوم القيامة من كتاب حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح لابن القيم .

٤ - سلسلة التقييد البديع لمجالس ومحاضرات الشيخ ربيع (مجموعة محاضرات) .

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

٢٤-١٢-١٤٢٧هـ

مقدمة الناشر

الحمد لله وكفىٰ، والصلاة والسلام علىٰ نبيه المصطفىٰ وعلىٰ آله وصحبه ومن لأثرهم اقتفىٰ.

وبعد:

لقد أرسل الله أنبياءه ورسله بالوحي معلمين، ليخرجوا الناس من الظلمات إلىٰ النور، ونوَّه بشرف العلم والعلماء فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

وحثَّ سبحانه نبيه محمدًا ﷺ علىٰ الاستزادة من العلم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

كما حثَّ المؤمنين أن يتزودوا من العلم فقال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

وفي سنة النبي ﷺ رَفْعٌ مِن قدر العلماء وبيان لشريف منزلتهم؛ إذ يقول النبي ﷺ: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنبِيَاءَ لَم يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرهَمًا،

إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَن أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

ولقد رغَّب النبي ﷺ في الفقه في الدين فقال: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّههُ فِي الدِّينِ».

ثم إن هذا العلم لا ينال إلا بالطلب الحثيث والتحصيل والمواظبة، والصبر والجلد فيه، ولابد لطالب العلم من بذل أسباب تعينه علىٰ طلبه، ولا يستحق اسم طالب العلم إلا إذا كان صادق النية في طلبه، عارفًا بقدر ما يطلب، عاملًا بما علم، متأدبًا بالآداب الحسنة، ومتصفًا بالأخلاق الفاضلة، صائنًا لعلمه، إلىٰ غير ذلك من الصفات التي ينبغي أن يكون عليها طالب العلم.

ولقد كتب أهل العلم في فضل العلم وشرفه وآداب حملته المؤلفات الكثيرة مطولة ومختصرة، وهذا بين يديك أخي القارئ مجموع من محاضرات مفرغة لشيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- تدور مضامينها حول العلم الشرعي؛ حده، وما يجب منه وما يستحب، وأصوله ومصادره، وحملته المعروفون به، والترغيب في طلبه، وما ينبغي في طلبه وتحصيله، والأسباب المعينة علىٰ حفظه وزيادته، كما تجد التحذير من العلوم الضارة وأهلها وذكر شيء من صفاتهم وأعمالهم وأخلاقهم، ونصائح مخلصة، وتوجيهات نافعة.

والله المسئول أن ينفع بها قارئها، ويكتب أجرها لشيخنا ولمن قام علىٰ نشرها.

والحمد لله رب العالمين.

تنويه:

هذا الكتاب هو جزء من مشروع «**التقييد البديع لمجالس ومحاضرات الشيخ ربيع**» والذي يضم أغلب محاضرات ومجالس الشيخ العامرة بالعلم والسنة، والذي تشرف علىٰ طبعه دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع؛ نسأل الله تعالىٰ أن ييسر إخراجه والله الموفق والمستعان.

❊ ❊ ❊

شرف الطالب وكمال زينته
بمعرفة فضل العلم وعظيم أهميته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا (٧٠) يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وفي رواية: «**وكل ضلالة في النار**»(١).

(١) أخرجه النسائي (١٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٥٣).

أما بعد:

فإن العلم له منزلة عند الله -تبارك وتعالىٰ- امتن الله بها علىٰ الأنبياء، فهي أفضل ما آتىٰ الأنبياء بعد النبوة والرسالة، امتن الله بها -بهذه النعمة، نعمة العلم- علىٰ أنبيائه ورسله -عليهم الصلاة والسلام-، والعلماء ورثوا الأنبياء في العلم، وليس في الدنيا.

يقول الله -تبارك وتعالىٰ- ممتنًّا علىٰ نبيه الكريم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء:١١٣].

وقال في يوسف الصديق -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [يوسف:٢٢].

وقال مثلها في موسىٰ -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [القصص:١٤].

وامتن الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ الأمة الإسلامية، وفي طليعتها العرب الأمِّيين، الذين كانوا في ضلال مبين، فبعث الله -تبارك وتعالىٰ- فيهم خاتم الرسل -عليه الصلاة والسلام-، ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، بالعلم وبالوحي ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ ﴾ الكتاب: العلم، هذا ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم:١].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة:١٥١-١٥٢].

فأمرهم بذكره وشكره، لِمَا أنعم الله عليهم برسالة العلم وبالعلم وبمحمدﷺ الذي نعش هذه الأمة، وكانت أمة جاهلة، أمة في حكم المَوات، فنعشهم الله بالإسلام دين العلم وبمحمد -عليه الصلاة والسلام-.

وأشاد الله بالعلماء في آياته المحكمة، وأشاد بهم الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- في سنته المطهرة، فلمكانة العلم والعلماء استشهد الله بهم علىٰ أعظم موضوع، وهو توحيد الله ﷻ، فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

فهذا موضوع عظيم وموضوع خطير، وهو توحيد الله -تبارك وتعالىٰ- الذي عاند فيه المشركون وأهل الكتاب، عاندوا هذا الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- كما عاند أعداء الله كل رسل الله في موضوع التوحيد، فإن

الصراع المرير بين الرسل وأممهم إنما كان في هذا التوحيد -توحيد الألوهية-.

فإذا كان الله -تبارك وتعالىٰ- يشهد بأن لا إله حق إلا الله وأنَّ محمدًا صادق في هذه الرسالة وَيُشهِدُ معه كذلك الملائكة الذين لا يحصي عددهم إلا الله، ويشهد أولي العلم علىٰ أحقية هذا التوحيد وأنه حق، فلا يبالىٰ بالغثاء والرعاع والجهلة إذا كذبوا توحيد الله وكذبوا رسول الله.

فإن الله رب العالمين وباعث المرسلين وخالق الجن والإنس أجمعين ليعبدوه يشهد بأن رسالة محمد حق، وهذا التوحيد الذي هو أصل كل الرسالات، ورسالة محمد ﷺ قامت علىٰ هذا الكتاب، ويشهد الله رب العالمين أن هذه الكلمة -كلمة التوحيد- التي جاء بها محمدﷺ وعانده عباد الأوثان وأهل الكتاب.

فإن الله رب العالمين وسيد هذا الكون والمعبود بحق يشهد أنه لا إله إلا هو، ويشهد الملائكة الكرام البررة، ويشهد أولو العلم المتمكنون في العلم بأن لا إله إلا الله، فلا يبالىٰ بمن خالف، ولا يبالىٰ بما عدا هؤلاء الشهداء.

ومن كرامة أهل العلم علىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-: أن قرن شهادة العلماء بشهادته، هذه منزلة عظيمة جدًّا لأولي العلم، وكذلك قرن شهادة أولي العلم بشهادة الملائكة.

وهذه منزلة عظيمة للعلماء، العلماء بالوحي والعلماء بالتوحيد، والذين يعملون بالتوحيد ويعملون بالوحي، لا كل من انتسب إلىٰ أهل العلم، ولا كل

علم يُنَزَّل هذه المنزلة، بل علم الوحي وعلماء الوحي، علماء الرسالات والكتب المنزلة من الله، والعلماء بهذه الرسالة الخاتمة للرسالات، العالمين بكتاب الله الذي ما ترك الله فيه شيئًا يحتاجه البشر إلا وبيَّنه، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

والسنة المطهرة التي زادت هذا البيان بيانًا، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، هذه الإشادة إنما هي بأهل هذا العلم، العلم الذي جاء به محمدﷺ، والذي قال الله في شأنه: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥].

هذا العلم الذي جاء به محمدﷺ هو الذي يُشَادُ به وَيُمدح، ويمدح أهله ويثنىٰ عليهم، بشرط أن يعملوا بهذا العلم، وإلا إذا لم يعملوا فإنه يكون وبالًا عليهم، وسيأتي في عرض الحديث من هذا النوع من يعلم ولا يعمل.

وقال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩].

بل قال قبل هذا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

لأن العلم هو الذي يُقُضُّ مضاجعهم ويدفعهم إلىٰ أن يبيتوا لله سجدًا وقيامًا، يخافون عذاب الآخرة، ويرجون رحمة الله، الجنان التي وعد الله بها المتقين، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦].

العلم هو الذي يُحَفِّزُهُم، العلم الصحيح يجعل المؤمن العالِم كأنما يرىٰ الجنة أمام عينيه بما فيها من نعيم وحور وقصور، وكأنما يرىٰ النار أما عينيه وما فيها من عذاب أليم، وما فيها من أغلال، وما فيها من طعام رديء -والعياذ بالله-، وشراب من حميم، تدفعهم الرغبة فيما عند الله والطمع فيما أعده الله للمتقين، والخوف والحذر من العذاب الأليم الذي أعده الله لأعدائه وأعداء رسله، هذا هو العلم.

هؤلاء العلماء فرقٌ كبير بينهم وبين من لا يعلم، وهم إلىٰ جانب ما يتمتعون به من العلم هم أولو الألباب، أولو العقول الذكية، والقلوب الزكية.

وقال تعالىٰ في شأن العلم: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١١٤].

وصفهم بكونهم يعلمون الحق ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩].

فَشَبَّهَ أهل الجهل بالعميان وبالصم البكم، وأهل العلم هم أهل البصيرة، بأنَّهم الذين يدركون حقائق الأمور، ويعلمون حقيقة العلم، ويعلمون حقيقة الإيمان، ويتصورون الأمور علىٰ ما هي عليه، ومن لا يعلم في ظلمات، بل عميان، لا يعلمون حقائق الأمور، وهذا فيه حفز لكل مسلم أن يتعلم أمور دينه، حتىٰ لا يكون أعمىٰ في هذه الحياة -والعياذ بالله-.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٥-١٢٦]، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، كيف يستطيع أن يعبد الله وهو جاهل؟!

لا يتبع هدىٰ الله ويعرف منزلة هذه الهداية -وهي العلم- إلا من آتاه الله العقل، وآتاه البصيرة، وعرف عواقب الأمور ومآلاتها، وإلىٰ ماذا ينتهي الجهل والكفر والشرك والهوىٰ بأصحابه، وإلىٰ ماذا ينتهي العلم والهدىٰ والعقل والإدراك إلىٰ أي شيء ينتهي بصاحبه، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

فالإعراض عن ذكر الله منشؤه الجهل، ويمضي صاحبه متخبطًا في ظلمات الجهل، فيكون مآله ونهايته ومصيره هو ما ذكره الله -تبارك وتعالىٰ- في هذه الآية الكريمة، أن يحشر أعمىٰ، ويقول: لم حشرتني أعمىٰ؟ فيقول: أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسىٰ.

فكتاب الله -تبارك وتعالىٰ- بين أيدينا، وسنة نبينا -عليه الصلاة والسلام- بين أيدينا، فلنجعل منهما نبراسًا نستضيء به في ظلمات هذه الحياة، فنعرف ما يجب علينا لله ﷻ، وما يجب لرسوله ﷺ، وما يجب للأسرة، وما يجب نحو المجتمع، وما يجب نحو المسلمين.

ومن أوجب الواجبات ومن أهم الأمور: أن تتعلم العلم، وتبثه في الناس، علم العقائد علم التوحيد، والفرق بين الحق والباطل والهدىٰ والضلال والتوحيد والشرك، فتبصر الناس بما يسعدهم ويقودهم إلىٰ مرضاة الله -تبارك وتعالىٰ-، وتحذرهم من مزالق الفتن واتباع الهوىٰ، واتباع الغي -والعياذ بالله-.

هذا واجب كل من منحه الله -تبارك وتعالىٰ- العلم أو شيئًا منه، يجب عليه أن يكون أنصح الناس لله رب العالمين، ولرسوله الكريم، ولكتابه العظيم، ولهذه الأمة، «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قلنا: لِمَنْ؟ قال: «لِلّٰهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ، وَعَامَّتِهِم»[1]، فكيف ينصح لله ورسوله وكتابه وهو جاهل أعمىٰ؟!!

فإذا تعلم وعرف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ عليه أن يشمر عن ساعد الجد فيُبَلِّغ هذه الرسالة، عقيدةً، وعبادةً، ومعاملةً، وسياسةً، وأخلاقًا، يبصرهم بالحق الذي ذكره الله -تبارك وتعالىٰ-، ويجنِّبهم أخطاء البشر، وأهواء البشر وبدع الخلق، ويحذِّرهم من الشرك، ويحذِّرهم من البدع، ومن أهل البدع، لأنهم غشاشون، غشوا الناس وأبعدوا الناس عن النصيحة لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦١٠).

وأنصحُ الناس لله: هم العلماء بحق، العلماء بكتاب الله وبسنة رسول الله والمتفقهين في دين الله علىٰ طريق السلف الصالح لا يلتفتون يمينًا ولا يسارًا عن منهج الله الحق.

كما قال حذيفة الفقيه العظيم والصحابي الجليل: «**يا معشر القراء، استقيموا، لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا**»(١).

استقيموا -يا معشر القراء- علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله، فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، الذي يَمُنُّ الله -تبارك وتعالىٰ- عليه بعلم الكتاب والسنة واللهِ لقد سبق سبقًا بعيدًا جدًّا، كم الفرق بينه وبين من لا يعلم الكتاب والسنة؟!

هذا فرق عظيم إن استقام، ويكون إن شاء الله من السابقين، فالناس منهم السابق، ومنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، فالعالم العامل بشرائع الإسلام واجباتها ومندوباتها، ويتجنب المحرمات والمكروهات، ويتورع عن الشبهات ويبتعد عنها هذا من السابقين.

يا معشر القراء، استقيموا علىٰ كتاب الله وعلىٰ صراطه المستقيم وعلىٰ منهج الحق، فإنكم في منزلة عظيمة وسباقون، بشرط أن تثبتوا علىٰ صراط الله، وأن تكونوا علىٰ استقامة، فإن ملتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٢).

فإن صراط الله كما رسمه رسول الله -عليه الصلاة والسلام- حينما تلا قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] خط رسول الله ﷺ خطًّا مستقيمًا وقال: «هَذَا صِرَاطُ اللهِ مُسْتَقِيمًا»، وخط عن شماله خطوطًا وعن يمينه خطوطًا وقال: «هَذِهِ السُّبُلُ، عَلَىٰ كُلِّ سَبِيلٍ مِنهَا شَيطَانٌ»[1] من شياطين الإنس ومن شياطين الجن -والعياذ بالله-، وصراط الله المستقيم من سلكه فقد حماه الله -تبارك وتعالىٰ- من الشياطين، لأن كتاب الله هو رائده وقائده وسنة رسول الله كذلك.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «تُعرَضُ الفِتَنُ عَلَىٰ القُلُوبِ كَعَرضِ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّمَا قَلبٍ أُشرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكتَةٌ سَودَاءُ، وَأَيُّمَا قَلبٍ أَنكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكتَةٌ بَيضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلبَينِ: قَلبٍ أَبيَضَ مثل الصَّفَا لَا تَضُرُّهُ فِتنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرضُ، وَقَلبٍ أَسوَدَ مُربَادًّا -كريه المنظر- كَالكُوزِ مُجَخِّيًا» منكوسًا تصب عليه الماء وكل شيء لا ينتفع به، المنكوس هكذا، «كَالكوزِ مُجَخيًا، لَا يَعرِفُ مَعرُوفًا وَلَا يُنكِرُ مُنكَرًا، إِلَّا مَا أُشرِبَ مِن هَوَاهُ»[2].

فنعوذ بالله من الفتن، ونعوذ بالله من الهوىٰ الذي ينكس القلوب

(١) أخرجه أحمد (٤١٣١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ويفسدها ويجعلها عمياء وفي ظلمة -والعياذ بالله-، لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا إلا ما أُشربت من هواها.

وأنتم تعرفون أن النبي ﷺ أمر بتغيير المنكرات، «مَن رَأَىٰ مِنكُم مُنكَرًا، فَليُغَيِّرهُ بِيَدِهِ، فَإِن لَم يَستَطِع، فَبِلِسَانِهِ، فَإِن لَم يَستَطِع، فَبِقَلبِهِ، وَذَلِكَ أَضعَفُ الإِيمَانِ»(١).

وفي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِن نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ لَهُ مِن أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصحَابٌ يَهدُونَ بِهَديِهِ وَيَستَنُّونَ بِسُنَّتِهِ، ثُمَّ يَأتِي بَعدَهُم خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفعَلُونَ، وَيَفعَلُونَ مَا لَا يُؤمَرُونَ، فَمَن جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَن جَاهَدَهُم بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِثقَالُ حَبَّة خَردَلٍ مِن إِيمَانٍ»(٢).

والشاهد من الحديثين -من حديث حذيفة الذي في الفتن، وحديث عبد الله بن مسعود هذا-: أن القلب قد يعمىٰ فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا -والعياذ بالله-، وأنه إذا وصل إلىٰ درجة أن قلبه لا يعرف المعروف ولا ينكره، بل قد يصل بعض الناس إلىٰ إنكار المعروف والأمر المنكر -والعياذ بالله-، ويصبح الحق عنده باطلًا والباطل حقًّا، والسنة بدعة والبدعة سنة، فهذا -والعياذ بالله- يحكم عليه الرسول أنه لم يبق في قلبه مثقال ذرة من

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

إيمان، فنعوذ بالله من الفتن.

الآن البدع لا تُنكَرُ، ولا تضر بأصحابها عند كثير من الناس، ووالله إنه لبلاء عظيم على من يصل إلى هذه الحال، ويصل به هواه إلى ألّا يرى البدعة تضر بأصحابها، والرسول يقول: «**شَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلُّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

ويقول: «**افتَرَقَتِ اليَهُودُ إِلَىٰ إِحدَىٰ وَسَبعِينَ فِرقَةً، وَافتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ إِلَىٰ ثِنتَينِ وَسَبعِينَ فِرقَةً، وَسَتَفتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ إِلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»(٢).

هم أهل الحق، هم أهل السنة، هم أهل علم الكتاب والسنة، هم أعداء البدع والضلال والكفر والشرك والضلالات كلها، هم يحبون الحق فقط، ويوالون عليه ويعادون عليه.

وترى كثيرًا من الناس يرى العداء فقط والبغض فقط للكفار، أما كل من اعتزى للإسلام فلا بغض له، ما له إلا الحب، وله كل الولاء ولو كان من أخبث أهل البدع وأضلهم، ولو كان عنده بدعة جهم وبشر المريسي وعمرو بن عبيد

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٤٣).

وغيرهم من الجهمية والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل الضلال.

أنتم في هذا البلد علىٰ العلم الصحيح علىٰ علم النبوة وعلىٰ منهاج النبوة، وتضافرت جهود كثيرة جدًّا علىٰ إخراج هذه الجزيرة من الظلمات إلىٰ النور، من ظلمات الشرك والجاهلية إلىٰ نور الكتاب والسنة، إلىٰ نور العلم الصحيح، إلىٰ نور المنهج السلفي الصحيح، وأنشئت المدارسُ والجامعات لتستضيئوا بنورها، وتنهلوا من معينها، لترفعوا راية السنة، ثم تنشروا التوحيد والسنة في آفاق الدنيا وشتىٰ الأرجاء.

ولكن والله كاد لكم أهل البدع، ليطفئوا هذه المصابيح، وجعلوا كثيرًا من شبابنا كالببغاوات يرددون الأباطيل والترهات علىٰ أنها هي الإسلام ويرددون الشعارات الفاسدة.

واللهِ لقد رأينا أصحاب هذه الشعارات، رأينا زيف هذه الشعارات في السودان، دعوة إلىٰ وحدة الأديان! وتشييد الكنائس!! وتشييد القبور!!! وسحق الأمة سحقًا في دينها ودنياها، أصحاب الشعارات تسابقوا في نشر شعاراتهم المزيفة ليبعدوا الناس عن منهج الحق!

إن كنتم عقلاء وتريدون الله والدار الآخرة فقد بين الله لكم ولم يترك لكم أي عذر، وهذا الجهاد الأفغاني الذي ذهب ضحاياه ملايين من أموال المسلمين، وذهب ضحاياه آلاف من شباب المسلمين، ضحايا قتلوا، وضحايا انحرفوا إلىٰ التكفير والفتن والتفجير وما شابهه، ماذا كان مآل هذا

الجهاد القائم على الشعارات الكاذبة وتضليل الأمة واستغلالها ؟! إلىٰ ماذا آلَ؟! أينكُم ؟! وأين فقه الواقع ؟!

نريد الآن أن تستغلوا علم فقه الواقع وتطبقوه في هذه الأيام، رأيتموه في تركيا، ورائد حزب الرفاه يركع لقبر مصطفىٰ أتاتورك ويعاهده أن يسير علىٰ منهجه العلماني، ويلقن ذلك ويتنازل عن شعارات حزبه .

والذين أوقعوه هم في الفتنة يلمعون هذا وهذا وهذا.

كان أصحاب الشعارات يحظرون علىٰ السلفي أن يُنكر علىٰ أهل البدع الخرافات والبدع! ويُعارضون من يريد أن ينشر التوحيد والسنَّة في أوساط الشعب الأفغاني الذي تنتشر فيه البدع والخرافات وتشييد القبور!

كان أصحاب الشعارات يحاربون السلفيين إذا أرادوا أن يعلموا هذا الشعب توحيد الله ودينه وأن يخلِّصوه من الخرافات والشرك والبدع! بل يرفعون من شأن هذا الشعب!

لَمَّا حُرِم المجاهدون لأجل الكراسي لا لأجل الإسلام لما طُردوا من الكراسي جيشوا الشيوعيين والروافض والباطنية والإسماعيلية علىٰ الشعب الأفغاني الذي كان عندهم فوق مستوىٰ الملائكة!!

أخزىٰ الله هؤلاء المخادعين، لما حرموا الكراسي ظهر كذبهم وكذب شعاراتهم!

هؤلاء لو حكموا الجزيرة بماذا سيحكمون ؟! بغير ما أنزل الله!

وسيقوم الشرك والضلال والعلمنة علىٰ أنقاض التوحيد والسنة عياذًا بالله من ذلك.

هذه حقيقة لا غبار عليها، فالآن ما هو موقف شبابنا بعد أن تساقطت هذه الشعارات، وفضح الله أهلها فظهروا علىٰ حقيقتهم؟! دعوة إلىٰ وحدة الأديان ودعوة إلىٰ العلمانية!!

لماذا ما استفاد شبابنا من هذه التقلبات؟!

من قبل خمس سنوات تعقد المؤتمرات، وتحضر المنظمات الإخوانية من العالم كله تشارك في مؤتمرات وحدة الأديان، وتصوغ القرارات المؤاخية بين الأديان وبين النصرانية واليهودية، ويخرجون يمدحون ويطبلون لهذه المؤتمرات.

أين عقولكم يا شبابنا؟ وأين العقيدة السلفية؟ وأين المنهج السلفي؟ وأين الموازين الصحيحة التي نزن بها الأشخاص والمبادئ والعقائد والمناهج ؟

يقولون: نفعل.. نفعل.. ونفعل، ولا حكم إلا لله.. ولا حكم إلا لله.. ولا حكم إلا لله، فإذا وصلوا الكراسي وإذا بهم والله أمريكا تضغط علينا! والله الجيش يضغط علينا!!.... وتحكمهم أوامر أمريكا ... فإن سرتم هذا المسير وسلكتم هذا الطريق هذه نهايتكم.

ولكن نقول في بداية الطريق: أفيقوا، كان لأبنائنا عذر إذ لم يروا هذا التطبيق وهذا الواقع، أما وقد تساقطت الشعارات وظهر تطبيقهم ودعواتهم

فليس هناك أي عذر.

يا أبنائي، واللهِ إني لكم ناصح أمين، وإني محبٌّ لكم، ولا أرضىٰ أن يمشي أحد في سخط الله لحظة واحدة، ولا أرضىٰ لأحد منكم يا إخوتاه أن يغالط نفسه، «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[1].

واللهِ أحب أن تكونوا كلكم علىٰ كتاب الله، وعلىٰ سنة رسول الله، وعلىٰ منهج الرسول وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومالك والأوزاعي والثوري والحمادين وأحمد بن حنبل والشافعي وأئمة الإسلام، عقائد صحيحة، ومنهج صحيح، وولاء وبراء.

يا إخوتاه، الولاء والبراء نعطيه لأهل البدع؟! نوالي فيهم ونعادي فيهم وهو أوثق عرىٰ الإيمان؟!

كلكم تعرفون ما قال الرسول ﷺ: «**أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيمَانِ الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ**»[2].

هل قمنا بمقتضىٰ هذا الحديث من الحب في الله والبغض فيه -جل وعلا- علىٰ الوجه الصحيح ؟!

أصارحكم واللهِ: أرىٰ الولاء في الغالب لأهل البدع، والعداء في الغالب

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢١٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٣٩).

عند كثير من الناس لأهل السنة!

هذا شيء كثير، فأنتم تُعذرون يا إخوتاه من وقع في شبكة هؤلاء المضللين إلىٰ حَدٍّ ما يُعذَر، لكن بعد البيان قامت الحجة عليه .

والله لقد أقام الله الحجة، ويمكن أن أهل السنة ضعفاء ما يستطيعون أن يقيموا لكم كل حجة، فأقام الله الحجة من واقع هؤلاء ومن تطبيقاتهم، بعد أن وصلوا إلىٰ سدة الحكم فلم يقدموا للإسلام إلا الهلاك، ما قدموا للإسلام والأمة إلا ما يسحقها ويمحقها ويهلكها، ولم يقدموا شيئًا مما وعدوا به، بل ضد ما وعدوا به إلىٰ أبعد الحدود.

الصحف تنشر، الإذاعة تذيع، كل شيء واضح، والواقع يشهد، ماذا نقول الآن؟ ما قامت عليكم الحجة؟

والله قامت عليكم الحجة يا إخوان، استطردت في الكلام وجرَّني بعضه إلىٰ بعض؛ لأن هذه من واجبات العلم، وهو البيان والبلاغ والتوضيح للناس والنصيحة للناس، والله هذا هو لب العلم، بيان حقيقة أهل البدع، وكشف عوارهم، وفضحهم من صميم الدين.

الآن يقولون في السلفيين: فقط ما لهم شغل إلا السب!

علي بن أبي طالب ﷺ أوقف الزحف، وشرع يقاتل أهل البدع، والرسول ﷺ أمره بقتل أهل البدع الخوارج: «**اقْتُلُوهُم.... لَئِن أَدرَكتُهُم**

لَأَقْتُلَنَّهُم قتلَ عَادٍ وَثَمُودَ»(١).

أما التحذير، فحذَّرَ الرسولﷺ، وحذر الصحابة -رضوان الله عليهم-، وحذر أئمة الإسلام، وأوجبوا هذا التحذير، ولا يكون المؤمن ناصحًا لأمته إلا إذا حذر وبين، وإلا يكون كاتمًا للعلم غاشًّا لله ولعباده المؤمنين.

أتظنون من يسكت على هذا الواقع المرير ويُلبِّس عليكم أيكون هذا ناصحًا لكم ويريد لكم السعادة في الدنيا والآخرة؟ لا واللهِ، لا واللهِ يا إخوتاه.

فالشاهد: إنَّا واللهِ ما نكتم العلم، وأنا أنصح، واللهِ كتبنا تحذيرًا منهم، نعوذ بالله، نسأل الله أن يعافينا من الأهواء، وليس لنا أيُّ غرض، ناس ماتوا، وناس أحياء واللهِ ما بيننا وبينهم خصومة في مال ولا في دم ولا في عرض، الخصومة ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ [الحج:١٩].

واللهِ بيَّنَا ما عندهم من الضلال، تبصيرًا لأبنائنا وإخواننا وتمييزًا لهم بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، والسنة والبدعة، وأهل الحق وأهل الباطل، وأهل الهدى وأهل الضلال.

وهذا ليس مسلكًا جديدًا، هذا مسلك شرعه الله، وشرعه رسولهﷺ، وقام عليه الصحابة والتابعون وأئمة الهدى، ورأوه من الجهاد، وأفضل من الجهاد.

هذا البيان إنقاذ الناس من حبائل أهل البدع أفضل جهاد، وأفضل من

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

الضرب بالسيوف -واللهِ-، وقاله العلماء المعتبرون البصراء[1]، قال هذا الكلام الذين يعرفون حقيقة النصيحة لهذه الأمة، وأنه أمر واجب، وأن المرء يجب أن يكون كالنذير العريان ضد الشر وأمور أهل البدع.

كيف ترىٰ أن تستريح أيها المؤمن الناصح وأنت ترىٰ أهل البدع يكيدون، وأهل الفتن والفساد يكيدون لأبنائك وإخوانك في العقيدة والمنهج؟! كيف تستريح؟!

واللهِ ما نستريح، واللهِ أحيانًا ما ننام، حزنًا علىٰ أبنائنا، وخوفًا عليهم من ضياع دينهم ودنياهم، لا تظنوا أن هذه شكوىٰ و... وخدمة وعمالة، لا واللهِ، ما

(١) قال محمد بن يحيىٰ الذهلي: سمعت يحيىٰ بن يحيىٰ يقول: «الذَّبُّ عَنِ السُّنَّةِ أَفضَلُ مِنَ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

فَقُلتُ لِيَحيَىٰ: الرَّجُلُ يُنفِقُ مَالَهُ، وَيُتعِبُ نَفسَهُ، وَيُجَاهِدُ، فَهَذَا أَفضَلُ مِنهُ؟! قَالَ: نَعَم، بِكَثِيرٍ». رواه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام (٤/ ٢٥٣-٢٥٤ برقم١٠٨٩-الأنصاري).

وذكر الشطر الأول منه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٣) ونقض المنطق (ص١٢).

وروىٰ الهروي في ذم الكلام وأهله (٢/ ١٥٧-١٥٨برقم٢٣٦) عن أبي بكر الحميدي رَحِمَهُ اللهُ قال: «وَاللهِ لَأَنْ أَغزُوَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرُدُّونَ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أَن أَغزُوَ عِدَّتَهُمْ مِنَ الأَترَاكِ».

وانظر: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٨٧-٨٩)، ومقدمة الكافية الشافية (١/ ٨)، والصواعق المرسلة (١/ ٣٠١-٣٠٢)، وزاد المعاد (٣/ ٥)، ثلاثتها للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ.

نبين إلا لوجه الله -تبارك وتعالىٰ-، ونرىٰ هذا من أوجب الواجبات وأفرض الفرائض، نقوم به لله رب العالمين.

لا تظنوا يا إخوة! الظن السوء فتتهموا الناس، لا تتبعوا الشائعات الكاذبة الشيطانية فتسيئوا الظن بإخوانكم وآبائكم والمحبين لكم والغيورين عليكم والناصحين لكم، واللهِ إنه من منطلق النصيحة، وأن من لا يسلك هذا المسلك -أو علىٰ الأقل يُؤيِّده- فإنَّما هو: غشَّاش خائن يريد لكم الدمار من حيث يشعر أو لا يشعر، ويقودكم إلىٰ الهلاك من حيث يدري أو لا يدري.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

أنتم تعرفون كيف كان واقع هذه الجزيرة: جهل، ضلال، شرك، خرافات، وبدع، ثم أنقذها الله بالدعوة السلفية التي الآن لا يقام لها وزن حتىٰ أصبح بعض الناس يقول: أنا لست سلفيًّا! يراه انتسابًا غريبًا، ومُنكَرًا، وتزكية باطلة!!

وكم تثار من مشاكل علىٰ هذه اللفظة، وليس الهدف هي، ليس الهدف هذه اللفظة، الهدف ما وراءها، الهدف إزالة محتواها، والبغض لما تحتوي، وإن كان كثير من المساكين يرددون هذا من حيث لا يدرون.

ألا تعرفون يا إخوة أنه لمَّا قامت الحرب بين إيران والعراق كان الإخوان المسلمون مع إيران الرافضية معها يؤيدونها في مؤتمراتهم، وفي

صفوفهم، وفي مجلاتهم، وصدام عندهم كافر، وعلماني، وبعثي، فيه كل شيء ....

ولما وجه حربه لبلاد التوحيد قالوا: مؤمن مؤمن مؤمن! وراح شباب من العالم كلهم رُبِّي علىٰ محاربة الطواغيت يعني عقودًا من السنين، في عشية وضحاها أصبح كثير في العالم يردد كالببغاوات ما يريده الإخوان المسلمون لما وجه هذا المجلس البعثي ... قبل حرب إيران وأيام حرب إيران وبعد حرب إيران ونحن واللهِ نعاديه، واللهِ إني كنت أقول: لو عندي جيش لأغزون صدامًا والأسد قبل اليهود والنصارىٰ، وما زلت أبغضهما ولله الحمد، ما نتلون مع الأحداث، نمشي علىٰ منهج واحد.

لكن هؤلاء اليوم بلون وغدًا بلون! هذه تقلبات سياسية مثل أمريكا وراء مصالحها ...... هؤلاء وراء المصالح.. وراء المصالح! هذا يا إخوة ما سبب منشئه؟

لما يحارب صدام الروافض كافر، لما يحارب بلاد التوحيد والسنة مؤمن، وعبد الله المؤمن، ويريدون أن يبايعوه!.... لماذا؟ لأن هؤلاء يريدون القضاء علىٰ التوحيد، لأنهم صوفية وخرافيون قبوريون وروافض، ومزجوا بين المذاهب، فتجمعت الأحزاب الصوفية وحاربت الدعوة السلفية قرونًا.

وعرفتم أن الصوفية هي التي قضت علىٰ دولة التوحيد وعلىٰ دولة آل سعود السلفية في ذلك الوقت.

والحمد لله إن شاء الله هي تسير علىٰ المنهج السلفي، وإن كان عندها

أخطاء نبرأ إلىٰ الله منها، واللهِ ما يحاربون هذه البلاد إلا لأجل أنفسهم، هذه الحكومة عندها أخطاء، لكنها واللهِ من فضل الله إنها قائمة علىٰ الجامعات والمدارس، تشييد الجامعات والمدارس والمساجد بالتوحيد والعقيدة، واللهِ ما تترك مجالًا للخرافات.

أهل البدع رءوسهم منكوسة، راياتهم منكوسة، ما يستطيعون أن يرفعوا راياتهم؛ لأن راية السنة مرفوعة هنا، ولكن واللهِ لو تستمر الأوضاع هكذا وينجر شبابنا وراء الشعارات الفارغة الكاذبة التي فضحها الله والله لترتفعن أعلام البدع، ولتنتكسن أعلام السنة، وتعود الأمور إلىٰ ما كانت عليه من جهل وشرك وضلال.

ولكن يا إخوة أنا أعيذكم بالله أن يصير بعضنا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، بل قد يصل إلىٰ ما هو أسوأ من هذا أن يرىٰ المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، هذا شيء ملموس.

فاستعيذوا بالله يا شباب، وأفيقوا، واحمدوا الله علىٰ نعمة التوحيد وعلىٰ نعمة السنة، السنة عزيزة في هذا البلد وقائمة، وحتىٰ هؤلاء الذين يكيدون لهذه السنة واللهِ يتسترون تحت ستارها، ينفذون كل ما يريدون تحت ستار السنة والمنهج السلفي! ينفذون كل ما يريدون من خططهم المهلكة المدمرة، ماذا يريدون لك من الخير إذا كنت علىٰ عقيدة صحيحة، واللهُ أغناك دينًا ودنيا عن البدع والضلالات وأهلها، وأهل البدع واللهِ يحتاجون ما عندك من الخير، وما عندك من العقيدة، وما عندك من الدنيا، وأنت تتنازل عن

عقيدتك، وتتنازل عن دنياك وأنت غنيٌّ عنهم وتتبعهم!

ما رأيت في التاريخ أغرب من هذا! ... واللهِ ما رأيت في التاريخ كهذا! إن الناس علىٰ هدىٰ وعلىٰ علم، والتوحيد عندهم، والكتاب والسنة عندهم، والدنيا عندهم، أفاض الله عليهم من الدنيا وخيراتها ما لا يعلمه إلا الله، ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، فيعبث بعقولهم أهل البدع والأهواء، وإذا بهم يركضون وراءهم.

فنحن واللهِ غيرة عليكم ... واللهِ غيرة لكم، ونريد لكم واللهِ عز الدنيا والآخرة، نريد أن تتعلَّموا العلم الشرعي الصحيح، العلم الصحيح الذي جاء به محمدﷺ، وتتمسكوا بسنة محمدﷺ، وتعضوا عليها بالنواجذ، وواللهِ لهي أغلىٰ عندنا من الدنيا وما عليها، وإن الدنيا ببترولها وذهبها لا تزن عند الله جناح بعوضة.

و: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافرًا منها شربة ماء»**(١).

و: **«لأن أقول: سبحان الله وبحمده أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»**(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إليَّ ما طلعت عليه الشمس».

هذه العقيدة ليس من السهل أن نتنازل عنها، هذا دين، لمَّا يقول: سبحان الله، والحمد لله، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم خير من الدنيا، ومما طلعت عليه الشمس.

إذا قالها، ما قيمتها؟ ما فائدتها؟

الذي يعتقد أن الله في كل مكان، وأن الأولياء يتصرَّفون في الكون، ويعلمون الغيب! ما قيمة هذا؟ ما ينفعه شيء!

يأتي الموحد الخالص يوم القيامة ذنوبه تملأ سجلات مد البصر، فتوضع «لا إله إلا الله» في كفة وهذه السجلات في كفة، فتطيش هذه السجلات[(١)].

و«لا إله إلا الله» لمن قالها وعمل بمقتضاها، وآمن بهذا المعنىٰ الصحيح، لا تفسيرها بـ لا حاكم، لا رازق، لا محيي، لا مميت، لا، بل لا معبود بحق إلا الله، يعني في العبادة، ويعرف معنىٰ الكلمة التي يقولها.

فيا إخوة، الموحد المخلص عمله عند الله له مكانة، وعلمه له عند الله مكانة، والعلم غير النافع هو الذي لا يعمل به وهو وبال علىٰ صاحبه .

أنا أعتقد أن كثيرًا من الشباب قد يعلم شيئًا كثيرًا من التوحيد والسنة، ولكن الفتنة غلبت عليه، فأصبح لا يعمل بما يعلم، أخاف وأخاف واللهِ علىٰ كثير أن يكون هكذا، واللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع،

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٦).

فنستعيذ بالله من علم لا ينفع، ونسأل الله أن يرزقنا العلم النافع، وأن نكون ربانيين، نربي بالعلم، ونعلم ونعمل.

وأنتقل من العلم إلىٰ العمل وإن كنت قد خضت فيه، لكن يا إخوة لابد من العلم الصحيح، ولابد من العمل بمقتضىٰ هذا العلم، وإلا يكون العلم وبالًا علىٰ أصحابه.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: أشد الناس عذابًا عالم لم ينفعه الله بعلمه[1].

لأن ذنبهم من جنس ذنب اليهود، يعلم ولا يعمل، لا يختص بعمل، بل عام في جميع أبواب الدين، عقيدة وعبادة، ولاء وبراء، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

وإذا قلنا: أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، لا يتبادر إلىٰ أذهانكم فقط المنكرات التي يرتكبها الجهال، أنكر المنكرات الشرك، أنكر المنكرات البدع، شر الأمور هي البدع.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يخطب ومن أمامه ليس فيهم أي مبتدع ففي كل خطبه أو جلّها يقول: «**أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد** ﷺ **وشرّ الأمور محدثاتها**»[2].

يردد هذا كثيرًا وليس أمامه مبتدعون، لماذا؟ لخطورة البدع.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٥٨٦) و(١٠/ ٢٧١).

(٢) تقدم تخريجه (ص١١).

وحذَّر من الخوارج، وأخبر أن أمته ستفترق إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

وقال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧].

لقد بيَّن الله ﷻ واقع أهل البدع وأهل الزيغ والأهواء أنَّ نيَّاتهم سيئة، ومقاصدهم خبيثة، وأنهم يريدون الفتنة للأمة، ويتبعون المتشابه ويتركون المحكم من هذا المنطلق من منطلق سوء القصد بالإضافة إلىٰ سوء الفهم، فإذا اجتمع سوء القصد وسوء الفهم فقد أراد الله بصاحبهما شرًّا كبيرًا وبلاءً عظيمًا.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾.

قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منهم فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**»(١).

وقال: «**إنه سيأتي أناس في آخر الناس يأتونكم بما لم تعرفوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم**»(٢).

هذا تحذير وإنباء من الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-، الله

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يبين سوء مقاصدهم، والرسول يحذر منهم، والرسول ﷺ يبين في أحاديث كثيرة، يبين ويحذِّر ويرسم لنا طريق البيان، واللهِ ما توفاه الله حتىٰ تركنا علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقال: «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**»(١).

الأمور في كل مجال في العقيدة، وفي العبادة، وفي كل شيء، أي حدث في الدين يجب أن تهب الأمة لإنكاره، ونبذه، والتحذير منه، والتحذير من أهله.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان السلف إذا بزغ رأس الفتنة صاح به أهل السنة في أقطارهم»(٢).

الآن البدع تنتشر وتترعرع هنا، وتجد من يحميها ويدافع عنها في بلاد التوحيد والسنة، أليس هذا من الخطأ؟ أليس هذا من الانحراف والعياذ بالله؟ أمر خطير وبلاء، واللهِ داهمنا، فيجب أن نتخلص منه.

قال الله ﷻ في ذم العلم بدون عمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٧٠).

وقال شعيب -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود:٨٨].

عرفت المنهج الصحيح والِ فيه، وخاصم فيه، ولا تأخذك في الله لومة لائم، أما أنك تقف علىٰ الشق المقابل مع أهل الباطل وأنت تعرف الحق! فيقول لك: أنا سلفي، لكن وراء من أنت؟! توالي من أنت؟! أين السلفية؟ هذه سلفية وأنت تركض وراء أهل البدع يقودونك، وتدافع عن بدعهم وضلالاتهم؟!

واللهِ هذا ليس منطقا صحيحا، المنطق الصحيح أنك إذا كنت متبعًا لمنهج السلف عليك أن تدعو إليه، وتزينه للناس، وترغب الناس فيه، وتذكر مزاياه، وتدعو إليه، وتشوه الباطل الذي يناهضه ويخالفه، لكن أنت تزيّن الباطل وتدافع عن أهل الباطل، وتدافع عن الباطل، تخاصم أهلك وإخوانك وأهل عقيدتك -العقيدة الصحيحة- التي تعرفها أنت «قال الله، قال رسول الله» هذا ليس بمنطق، هذا منطق مرفوض عند عقلاء الناس جميعًا.

الذي عنده مذهب باطل ويؤمن به يتولاه، ويدعو إليه، ويحارب عنه، قد لا يستغرب، لكن أنت تقول: إنك علىٰ حق، وإنك علىٰ منهج سلفي، وإذا بك مع أهل الباطل مع أهل البدع! لا يا أخي! واللهِ يمكن ما أصدقك صراحة حتىٰ تبرهن لي فعلًا في مواقفك، وبخطبك، وبكتاباتك، وبولائك، وبخصومتك.

فإذا رأيت ذلك منك متحققًا اكتفيت بالظاهر، هذا الظاهر. وأقول: إنك على الحق، وإنك إن شاء الله سلفي..، هذا من لوازم ما في القلب يظهر على العمل، من لوازم الإيمان إذا كان الإنسان يؤمن بشيء فجوارحه تتحرك في خدمة ذلك الإيمان الذي يؤمن به .

الحديث يا إخوة ذو شجون وقد استطردت في هذا الأمر، وأرجو ألا أكون خرجت عن موضوعي .

وأقول: هناك أحاديث، وهناك آيات في موضوع العلم، وأسوق لكم حديثًا وأختم به هذه الكلمة، وهو العلم الذي جاء به محمد ﷺ، ضرب له الرسول مثلًا قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت العشب والكلأ الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فسقوا منها ورووا منها وزرعوا، وكان منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله فنفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي جئتُ به**»[1].

فالرسول -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث العظيم تجاه ما جاء به من الهدى والعلم قسَّم الناس إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن تُقبل على العلم، وتحفظه، وتفقهه، وتستنبط منه

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

المسائل العظيمة، وتبث هذا الخير في الناس، فهو بمنزلة الأرض الطيبة التي قبلت الماء، فأنبتت العشب الكثير، فانتفع الناس والدواب بهذا الخير العظيم الذي نشأ عن قبول الأرض للماء، ثم نبت هذا الخير الكثير والعشب الكثير والحدائق والثمار وما شاكل ذلك.

والعالم الذي يقبل هدىٰ الله تبارك وتعالىٰ، ويحفظه، ويتفقه فيه، ويبثه في الناس هو بمنزلة هذه الأرض الطيبة التي شربت الماء، وأنبتت ونفع الله بها الناس.

والقسم الثاني من أهل العلم: هو الذي يجتهد في حفظ العلم وتحصيله، ولكنه لا يعمل بالمندوبات، أو لا يتفقه فيه، لكنه يحفظ هذا العلم، وينقله إلىٰ الناس، فيستفيد منه الناس، فهو بمنزلة الأرض التي تحبس الماء، فيأتي الناس ويشقون منها القنوات، وينشئون عليها المزارع، ويشربون منها، ويروون منها دوابهم، ويسقون منها حدائقهم ومزارعهم هذه الطبقة يستفيد منها الناس.

فهذان اشتركا في الخير وفي قبول الحق وفي بثه في الناس، فنفعوا الناس مثل الأرض التي تقبل الماء وتنفع الناس.

والقسم الثالث: الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**وكان منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تقبل ماء ولا تنبت كلأ**» هي سبخة أو أرض ملساء لا يستقر عليها الماء، ولا تحبس الماء، ولا تشرب الماء، فالناس لا يستفيدون منها، ولا الدواب، ولا تنبت الكلأ، ولا شيء، فهذا مثل من يسمع العلم لكن لا يحفظ،

ولا يتفقه، ولا ينقل، ولم يقدم للناس خيرًا، فهذا مثل الأرض السبخة أو الأرض الملساء المستوية التي لا يستقر عليها الماء.

فهذا حديث عظيم ينبغي أن يضع الإنسان نفسه موضعه من هذه الأصناف فاختر لنفسك أيها المؤمن أن تكون على الأقل من القسم الثاني إن لم تكن من القسم الأول، وإياك ثم إياك أن تكون من القسم الثالث الذي لم يقبل هدى الله الذي جاء به محمدﷺ ولم يرفع به رأسًا.

وكما قلت لكم: هذا الحديث آخر ما أقوله لكم في هذه المناسبة، وأسأل الله أن يحقق لنا لقاءات نفيض إن شاء الله فيها بما يلهمنا الله -تبارك وتعالى- تعاونًا منا إن شاء الله على البر والتقوى، وتناصحًا في دين الله.

وإن كنت أجهر وأصرح فلست أول من فعل ذلك، فالله قد أمر بالصدع بالحق، وسلفنا هكذا كانوا يبينون للناس، والله قد أخذ على العلماء البيان، وهدد أهل الكتمان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾.

فأعيذ نفسي وإياكم أن نكون من هذا النوع الذين لا يبينون للناس، ويكتمون الخير والحق عنهم.

أسأل الله أن يجنبنا وإياكم هذه الحال الخطيرة، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

فضل العلم والعلماء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فيسرني أن ألتقي بإخواني وأبنائي من طلاب العلم عبر هذه الوسيلة التي سخرها الله -تبارك وتعالىٰ-، والتي نسأل الله أن يوفق المسلمين

للاستفادة منها، واستغلالها في نصرة دين الله، وتربية الشباب علىٰ منهج الله الحق.

هذا اللقاء لا أعده محاضرة، وإنما شيء من المذاكرة، لأني لم أعد هذه المحاضرة، ولكن -ولله الحمد- فضل العلم معروف، ومبثوثة نصوصه، وكلام العلماء فيه مبثوث في السطور والكتب والصدور، وفضل العلماء كذلك ومكانتهم ومنزلتهم عند من يحترم الأنبياء وميراثهم.

فأقول: إن الله -تبارك وتعالىٰ- أثنىٰ علىٰ أهل العلم ومدحهم، وأثنىٰ عليهم ثناء عاطرًا في العديد من آياته، وأثنىٰ عليهم رسوله ﷺ، وأشاد بمكانتهم، وَبَيَّن منزلتهم، وَعَرَّف حقوقهم.

وكذلك عرف الله حقوق هؤلاء العلماء الذين هم قادة هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وبالعلم الشرعي يميزون بين الهدىٰ والضلال، والحق والباطل، والمنكر والمعروف، والحلال والحرام.

فَضَّل الله العلماء، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفاهم فضلًا أن يقرن الله -تبارك وتعالىٰ- شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته.

قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

فقضية التوحيد قضية عظيمة، وهي موضوع الصراع بين الرسل الكرام

وبين أعدائهم الكفرة اللئام، فأشهد اللهُ نفسَهُ، وأشهد ملائكته، وأشهد العلماء في هذه القضية العظيمة أنها حق، وأن الله هو المعبود الحق وحده ﷻ، فهذه منزلة عظيمة للعلماء، ومكرمة نبيلة لهؤلاء النبلاء.

والعلماء ليس كُلُّ مَن نُسِبَ إلىٰ العلم، لا من الكفرة ولا من أهل البدع والضلال، ولكن العلماء بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، الملتزمين نصوص القرآن في عقائدهم، ومناهجهم، وعباداتهم، وأحكامهم، ومعاملاتهم، وسياستهم، وسائر شئون حياتهم، وفي مواقفهم، هؤلاء هم العلماء الذين أثنىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- عليهم وأنزلهم هذه المنزلة العظيمة.

وقال الله -تبارك وتعالىٰ- في تمييزهم علىٰ غيرهم، وتقديمهم علىٰ غيرهم، إشادة بفضلهم ومكانتهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فخشية الله منزلة عظيمة، وخوفه ومراقبته منزلة عظيمة، هي منزلة الإحسان التي قال فيها رسول الله ﷺ: «**أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»(١).

فهؤلاء العلماء يخشون الله -تبارك وتعالىٰ-، فيقومون بعبادته علىٰ أحسن الوجوه، ويقومون بحقوق الله في سائر شئون الحياة، ويقومون بحقوق المسلمين -أفرادًا، وجماعات، وأُسَرًا-، يبصرونهم بدين الله، ويربطونهم بهذا الدين، ويربونهم التربية الإسلامية الصحيحة علىٰ العقائد الصحيحة، والمناهج الصحيحة، والأخلاق الفاضلة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

هؤلاء العلماء هم الذين يخشون الله -تبارك وتعالىٰ-، لأن خشية الله ومراقبته تُشعرهم بالمسئولية تجاه أنفسهم، وتجاه البشر، وتجاه هذه الأمة، وتجاه الأُسَرِ والأفراد، وفي الحقوق والواجبات، فإن هذا العنصر -عنصر خشية الله ومراقبته- يدفعهم أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ويؤدوا هذه الرسالة، ويقوموا بهذه الوراثة التي ورثوها عمن اختارهم الله واصطفاهم من أنبيائه ورسله الكرام -صلوات الله وسلامه عليهم-.

ولا غرابةِ في ذلك؛ فهم وراث الأنبياء بشهادة رسول الله ﷺ أفضل الأنبياء وخاتمهم -صلوات الله وسلامه عليه- وهو الصادق المصدوق، فهم العلماء الذين وصفهم الله ووصفهم رسوله، وأشرنا إلىٰ بعض صفاتهم، ولم نستوفها.

والله -تبارك وتعالىٰ- أخبر أن هذا النوع من البشر يرفعهم الله درجات: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، فرفعهم الله بهذا العلم الذي يستتبع العمل، لا مجرد العلم، العلم الذي تقوم عليه العقائد الصحيحة، والمناهج الصحيحة، والأعمال الصحيحة، والأعمال الوافية الكافية في الالتزام بدين الله وتبليغه ونشره.

العلماء يراقبون الله -تبارك وتعالىٰ-، ويخشونه، ويقومون بالأمانات الملقاة علىٰ عواتقهم علىٰ أحسن الوجوه، ويشعرون بالتقصير، ولا يتباهون بهذا العلم، ولا يتفاخرون بأعمالهم، فمن تباهىٰ بأعماله هلك -والعياذ بالله-، وإنما يعبدون الله بعلمهم وإخلاصهم وصدقهم، متقربين إلىٰ الله

بذلك، مع شعورهم بالعجز والضعف والتقصير، مهما قدَّموا للأمة من علوم نافعة وجهود صالحة.

فهم دائمًا ينظرون إلىٰ أنفسهم نظرة الناقد البصير الذي يستشعر تقصيره في القيام بحقوق الله -تبارك وتعالىٰ-، فإذا شعر العبد أن له فضلًا علىٰ الناس، وأن له منة علىٰ الأمة -نسأل الله العافية- وقع فيما يسخط الله -تبارك وتعالىٰ-، فالأنبياء والملائكة مهما قدموا من أعمال يشعرون بأنهم مقصرون في حق الله -تبارك وتعالىٰ-.

ولهذا يقول رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: «**لَا أُحصِي ثَنَاءً عَلَيكَ، أَنتَ كَمَا أَثنَيتَ عَلَىٰ نَفسِكَ**»(١).

«**اللَّهُمَّ اغفِر لِي خَطِيئَتِي، وَجَهلِي، وَإِسرَافِي فِي أَمرِي، وَمَا أَنتَ أَعلَمُ بِهِ مِنِّي**»(٢) -عليه الصلاة والسلام-.

فانظروا إلىٰ هذه الضراعة من هذا الرسول الكريم ﷺ، الذي بلغ الرسالة، وأدّىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، انظروا كيف ينظر إلىٰ نفسه وإلىٰ عمله -صلوات الله وسلامه عليه-.

ويقول: «**لَو عَذَّبَ اللهُ عِبَادَهُ لَعَذَّبَهُم وَهُوَ غَيرُ ظَالِمٍ لَهُم**»(٣)؛ لأنهم

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٤٤).

لا يقومون بنعمة الله التي أسبغها عليهم، نِعَم الله الظاهرة والباطنة.

فالعالِم يشعر بأن نعم الله عليه لا تحصىٰ، وأنه لا يستطيع أن يقوم بشكر أدنىٰ نعمة من نعم الله -تبارك وتعالىٰ-، فضلًا عن أن يتباهىٰ بأعماله، ويتطاول بها علىٰ الناس.

فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من العلماء المؤمنين الصادقين الخاشعين المتذللين بين يدي الله -تبارك وتعالىٰ- الشاكرين لأنعمه، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

ورد أحاديث في فضل العلم، منها: قول رسول الله ﷺ قال -عن معاوية الصحابي الجليل رضي الله عنه قال-: «**مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا، يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ**»[1].

فإذا فَقَّهَ الله عبدًا في دينه وعمل بهذا الفقه فقد أراد الله به خيرًا، تفقيهه في دينه وعمله بهذا الفقه وبهذا الوعي وبهذا الإدراك دليل واضح علىٰ أن الله أراد به خيرًا.

والفقه في الدين ليس هو الفقه المصطلح عليه والمدوَّن في الكتب التي تسمَّىٰ بكتب الفقه، هذا الفقه ما هو إلا جزء مما يدل عليه هذا الحديث.

فالمراد بالفقه في الدين: الفقه في كل جوانب الدين، وفي كل نواحيه، وفي أصوله، وفي فروعه، وفي قواعده وعقائده، هذا هو الفقه، فقه السلف، فقه الصحابة، فقه كبار التابعين، فقه أئمة الهدىٰ، الفقه الشامل المصحوب

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

بخشية الله، وبالورع، وبالزهد في هذه الدنيا، لا مجرد حفظ النصوص، وإنما هذا هو لبُّ الفقه الذي أشرنا إليه.

ويقول الرسول الكريم فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثنَتَينِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكمَةَ، فَهُوَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ المَالَ، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ»(١).

فهؤلاء يُغبَطُونَ، الحسد هنا هو الغبطة، الحسد المعروف مذموم، وهو: أن تتمنىٰ زوال النعمة عن هذا العبد الذي أنعم الله عليه بمال أو علم أو غيره، تتمنىٰ زوال هذه النعمة عن صاحبها، سواء لتحوزها أنت أو لمجرد أن تحول عنه هذه النعمة، فهذا داء اليهود، ونسأل الله أن يعافي المسلمين منه، فإنه داء مهلك -والعياذ بالله-.

وإنما المراد بالحسد في الحديث: الغِبطة، وهي: أن تتمنىٰ مثل تلك النعمة التي أنعم الله بها علىٰ فلان، أنعم الله علىٰ عبد بالعلم والعمل فتتمنىٰ أن يوفقك الله ويعطيك من العلم ما آتاه، ويوفقك للعمل كما وفقه، فهذه الغبطة محمودة، وهي من التنافس المحمود الذي حث الله عليه وأمر به، فقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

فعلىٰ طلاب العلم أن يتنافسوا في تحصيل العلم، وأن يسارعوا في تحصيل الخيرات، وأن يشمِّروا عن ساعد الجد، لكن دون حسد، وإنما هو

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

من باب الغبطة والتنافس، وذلك أمر محمود، والتنافس في أمر الدنيا مذموم، «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَنَافَسُوا**»(١).

فهذه الصفات كلها مذمومة في أمر الدنيا، ومذمومة في أمر الدين إذا كانت على الحسد المذموم على الوجه المذموم، أما على وجه التنافس فهذا أمر محمود، يحث عليه رسول الله ﷺ بهذا الحديث.

فهذا حثٌّ من رسول الله لهذه الأمة أن تتنافس في ميادين الخير، في ميادين العلم، وتتسابق فيه، وتتسابق إلى الصلاة، و«**خَيرُ الصُّفُوفِ أَوَّلُهَا**»(٢)، «**وَلَو يَعلَمُونَ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَم يَجِدُوا إِلَّا أَن يَستَهِمُوا عَلَيهِ لَاستَهَمُوا عَلَيهِ**»(٣)، فالتنافس على الصفوف الأولى وعلى الصف الأول بالذات أمر محمود، كذلك التنافس في تحصيل العلم، والبراعة فيه والتفوق والنبوغ فيه هذا أمر محمود.

ونسأل الله أن يُهيئ للمتنافسين أن يتخرجوا في هذه الأمة كالأئمة الكبار، من أمثال الأوزاعي، والثوري، ومالك، والشافعي، وأحمد، وابن تيمية، وابن عبد الوهاب، وأمثالهم من أئمة الهدى الذين رفع الله بهم منار الإسلام، وهدى بهم الأمم، وأضاء بعلمهم جنبات هذه الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «**خير صفوف الرجال أولها ...**».

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٤)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فتنافسوا أيها الشباب، فإن أمتكم في هذا العصر في أشدِّ الحاجة إلىٰ النابغين في هذه الشريعة الغرَّاء، إلىٰ الفقهاء في هذا الدين العظيم، تنافسوا وأمامكم الجامعات الإسلامية وفيها المناهج العظيمة التي تنشئ العلماء - إن شاء الله-، وتفتح الباب علىٰ مصراعيه للولوج في أبواب العلم علىٰ مختلف مناهلها ومشاربها النافعة.

ويقول الرسول ﷺ حاثًّا علىٰ طلب العلم: «**مَن سَلَكَ طَرِيقًا يلتمس فِيهِ عِلمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ**»(١)، هذا وعد عظيم لمن طلب العلم لوجه الله وابتغىٰ به وجه الله.

أحذركم أيها الإخوة أن تُدخلوا نيَّات الدنيا ومناصبها وجاهها وسلطانها في قضية التعلم وطلب العلم، فإن العلم عبادة من أفضل العبادات، بل لا يقوم دين الله، ولا تقوم العبادات ولا يقوم الجهاد، ولا تقوم الحياة إلا بهذا العلم، ولكن علينا أن نخلص في هذه العبادة، «**مَن طَلَبَ عِلمًا مِمَّا يُرَادُ بِهِ وَجهُ اللهِ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنيَا لَم يَرِح رَائِحَةَ الجَنَّةِ**»(٢).

فهذه نقطة مهمة جدًّا، وأمر عظيم ينبغي أن ننبه له طلاب العلم، فإن كثيرًا منهم قد يغفلون، وقد يطلبون العلم من أجل الدنيا، أو من أجل أغراض

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٩).

أخرىٰ لا يحبها الله، ولم يشرعها الله، ولم يأذن بها الله، فيقعوا في الهالكين، وقد يدخل في ذلك الذنب الذي ذم الله به اليهود: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

وأعيذ نفسي وإياكم من هذه الصفات الذميمة، أن يحمل الإنسان العلم ولا يعمل به، فيُسلك في هذه الآية أو يأخذ نصيبًا منها -أعاذنا الله وإياكم منها-، وقد أخبر رسول الله ﷺ بمصير المرائين سواء طالب العلم، أو العالم، أو المجاهد، أو المنفق.

الإخلاصُ أمر عظيم يا إخوتاه يجب أن يراعيه المسلم، وأن يحاسب نفسه في كل لحظة من لحظات حياته.

بل قال أحد السلف: «إني كنت أرىٰ أن الحديث يحتاج إلىٰ نية، وإذ بي أدرك أن كل حديث يحتاج إلىٰ نية»[1].

هل إذا تحدثت أو تكلمت تريد المدح وثناء الناس عليك أو تريد بذلك وجه الله -تبارك وتعالىٰ-؟ تريد أن يقال: عالم، وأن يقال: ذكي، وأن يقال: فقيه، وأن يقال كذا أو تريد بذلك وجه الله، وتؤدي بذلك الأمانة التي

(١) يروىٰ عن سليمان بن داود الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «ربما أحدِّث بحديث واحد ولي نية، فإذا أتيت علىٰ بعضه تغيَّرت نيَّتي، فإذا الحديث الواحد يحتاج إلىٰ نيات». رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣١)، ونقله الذهبي في ترجمته في «السير» (١٠/ ٦٢٥).

احتملتها، والمسئولية التي حملتها؟

في الحديث أن أَوَّل مَن تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ ثَلاثَةٌ:

«رَجُلٌ استُشهِدَ، فَيُؤتَىٰ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ، فَيُعَدِّدُ اللهُ عَلَيهِ نِعَمَهُ، فَيَقُولُ: مَاذَا عَمِلتَ فِيهَا؟ فَيَقُولُ: جَاهَدتُ فِيكَ حَتَّىٰ استُشهِدتُ. فَيُقَالُ: كَذَبتَ، إِنَّمَا فَعَلتَ ذَلِكَ، لِيُقَالَ: جَرِيءٌ، وَقَد قِيلَ».

أشاد به الناس وقالوا: مجاهد، بطل، شجاع، مقدام، مضحٍّ، بطل .. إلخ، أضفَوا عليه هذه الألقاب، لكن هل أفادته هذه؟ كلا واللهِ، لقد أورد نفسه المهالك برغبته في مثل هذه المدائح الفارغة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، واللهِ لو مدحك أهل الدنيا جميعها بالشجاعة والبطولة وأنت لا تريد وجه الله لا ينفعك ذلك شيئًا، ولا يدفع عنك غضب الله ولا أليم عقابه.

قال في الحديث: «فَيُؤمَرُ بِهِ، فَيُسحَب، فَيُلقَىٰ عَلَىٰ وَجهِهِ فِي النَّارِ».

ما السبب؟ جاهد واستبسل وبذل ماله ونفسه حتىٰ قُتِل، ثم كان هذا مصيره، ما الذي أدىٰ به إلىٰ هذه المهلكة؟ هو أنه لم يخلص لله -تبارك وتعالىٰ-، والله يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

«وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وَعَلَّمَ، فَيُؤتَىٰ بِهِ، فَيُعَدِّدُ اللهُ عَلَيهِ نِعَمَهُ، فَيَقُولُ: مَاذَا عَمِلتَ فِيهَا؟ فَيَقُولُ: تَعَلَّمتُ فِيكَ العِلمَ، وَقَرَأتُ فِيكَ القُرآنَ. فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبتَ، إِنَّمَا قَرَأتَ القُرآنَ، لِيُقَالَ: قَارِئٌ، وَتَعَلَّمتَ، لِيُقَالَ: عَالِمٌ، اذهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ. فَيُسحَبُ بِهِ عَلَىٰ وَجهِهِ حَتَّىٰ يُلقَىٰ فِي النَّارِ» -والعياذ بالله-.

ما الذي أهلكه؟ الرياء وعدم الإخلاص لله رب العالمين، فاحذروا وحذِّروا أنفسكم -أيها الشباب- التي بين جنبيكم، واحذروا الشيطان، واستعيذوا بالله من نزغاته المهلكة، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

فإذا أحسست من نفسك ميلًا إلىٰ مراءاة الناس وإلىٰ المباهاة بالعلم، فالجأ إلىٰ الله، وتضاءل بين يديه، وتذلل بين يديه، واسأله أن يرزقك الإخلاص، وأن ينقذك من هذا الشيطان ومن نزغه وكيده.

ولقد قال أحد العلماء: «إن عدوًّا يراك ولا تراه لشديد المؤونة»(١)، قال هذا عند تفسير قول الله -تبارك وتعالىٰ- في الشيطان وجنده: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]، قال: «والله إن عدوًّا يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤونة إلا من عصم الله»، يعني أشد من الجيش الذي تراه وعنده الجيوش والقوىٰ، هذا العدو الخفي الذي لا تراه شديد المؤونة، يهلكك من حيث لا تدري ومن حيث لا تراه -نسأل الله العافية-.

«وَرَجُلٌ جَوَادٌ أَنفَقَ المَالَ فِي سَبِيلِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، فَيُؤتَىٰ بِهِ،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٠ برقم ٨٣٥٣)، وعبد بن حميد وأبو الشيخ؛ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٣٦) عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذكره أبو القاسم التيمي في «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٥٢٣)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٣) عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧]. عن مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فَيُعَدِّدُ عَلَيهِ نِعمَهُ، فَيَقُولُ: مَاذَا فَعَلتَ فِيهَا؟ فَيَقُولُ: مَا تَرَكتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أَن يُنفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنفَقتُ فِيهَا. فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبتَ، وَإِنَّمَا فَعَلتَ هَذَا، لِيُقَالَ: جَوَادٌ، وَقَد قِيلَ. ثُمَّ يُؤمَرُ بِهِ فَيُسحَبُ إِلَىٰ النَّارِ»(١).

لو أنفق هذا ملء الدنيا ذهبًا وهو لا يريد بذلك وجه الله، ينفق في أبواب الجهاد، وفي بناء المساجد، وفي كذا، وفي كذا، وفي كذا، ظاهره أنه أعمال خيرية والله يعلم سوء سريرته، فلا تنفعه هذه الأموال التي أنفقها أبدًا، لا تغني عنه شيئًا، بل تكون وبالًا عليه والعياذ بالله.

أنا ركزت علىٰ هذا الأمر لأنه أمر خطير، فاستحضروا عظمة الله، واعلم أيها المسكين أنك لو جَمعتَ علوم الأولين والآخرين واللهِ لن يبلغ علمك قطرة من علم الله -تبارك وتعالىٰ-، فتضاءل أمام عظمة الله، وتواضع لله، واعلم أنه فوق كل ذي علم عليم.

من الأحاديث التي وردت في فضل العلم: الحديث الذي رواه أبو الدرداء، عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «إِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلمِ رِضًا بِمَا يَصنَعُ، وَإِنَّهُ لَيَستَغفِرُ لِلعَالِمِ مَا فِي البَرِّ وَالبَحرِ، حَتَّىٰ الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنبِيَاءَ لَم يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلمَ فَمَن أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

من أخذ من هذا الميراث أخذ بحظٍّ وافر، فهنيئًا لمن ورث الأنبياء، العلم -علم الوحي- الذي أوحاه الله إلىٰ الأنبياء الكرام فيه الهدىٰ والنور، فيه الفرقان بين الحق والباطل، فيه العقائد الصحيحة، فيه الإخبار عن الجنة والنار، وجزاء الموحدين وجزاء المشركين الضالين، وجزاء المطيعين، وجزاء الفاسقين العاصين.

إلىٰ آخر ما ذكر الله -تبارك وتعالىٰ- في الكتب التي أنزلها الله علىٰ رسله وأنبيائه، من عقائد وعبادات وأعمال وأخلاق، لا تقوم الحياة في الدنيا والآخرة إلا علىٰ هذا الميراث الذي أوحاه الله إلىٰ الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

أذكر من فضل العلماء ما نبه عليه ابن القيم -وغيره من أهل العلم- أن قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، السلف فَسَّرُوا أولي العلم بالأمراء، وبعضهم فسَّرها بالعلماء، والصواب أن الآية تنتظم العلماء والأمراء، العلماء يبلغون شريعة الله ويعلمون الناس، ويفتون الناس، ويفتون الحكام، والحكام يُنفِّذون، يُنفِّذون هذا العلم الذي يحمله العلماء ويبلِّغونه، فالآية تشملهم.

ولهذا يقول ابن القيم: إن طاعة الأمراء واجبة، وطاعة العلماء واجبة، العلماء إذا قالوا: قال الله، قال رسول الله. في عقيدة، أو في عبادة، أو في عمل، في حلال، في حرام إذا قالوا: قال الله، قال رسول الله، وأَفتَوا بمقتضىٰ

الكتاب والسنة وحكموا بمقتضىٰ الكتاب والسنة، فعلىٰ الناس أن يطيعوهم بما في ذلك الأمراء.

والأمراء إذا أمروا بطاعة الله الموافقة لشرع الله فعلىٰ الناس أن يطيعوهم.

الشاهد: أن كثيرًا من الناس لا يعرفون لأهل العلم منزلتهم، ويقولون: ليس لكم وصاية علينا، وليس في الإسلام بابوات، وليس في الإسلام كذا وكذا، هذا إسقاط للعلماء، وإهانة للعلماء، وزحزحة لهم عن منزلتهم.

هذا الداء الوبيل منذ جاءت القومية، وجاء الغزو الغربي وجاءت الأفكار الهدامة من ناصرية وبعثية وقومية ووطنية، رؤساء هذه المبادئ الخبيثة سَعَوا سعيًا حثيثًا في إسقاط الإسلام، وتنحيته عن طريقهم، ولا يتم ذلك لهم إلا بإسقاط العلماء، فأخذ هؤلاء المجرمون بالمقولة اليهودية الخبيثة: «إذا أردت أن تسقط فكرة فأسقط صاحبها».

فانتشر هذا الداء في الأحزاب المنتمية إلىٰ الإسلام، فتراهم جادِّين في إسقاط العلماء، فيصفونهم بالعملاء، وبالجواسيس، وبذيل بغلة السلطان، وبغير ذلك من ألقاب خبيثة، كل ذلك لإسقاط العلماء.

وخاصة علماء المنهج السلفي، المنهج السلفي الذي يقول للمصيب: أصبت، وللمخطئ: أخطأت، وللمبطل: أبطلت، وللضال: ضللت، وللمنحرف: انحرفت، ليس فيه مجاملة، وليس فيه مداهنة، لأنه ميراث الأنبياء الذين جاءوا بالحق وبه يعدلون، ينصرون دين الله، وينشرونه في

الأمم، وينشرون العدل والإحسان والخير والبر، ويحاربون المنكرات والفواحش، يحاربون الشرك والضلالات والبدع والخرافات والشركيات.

وهؤلاء الأحزاب لا همَّ لهم إلا الوصول إلىٰ الكراسي، فيتغاضَون عن الشركيات وعن البدع والضلالات، وَيرفعون شعارات براقة خلبت عقول الشباب، عقولًا كثيرة -وكثيرة وكثيرة جدًّا-، وأصبحوا ينظرون للعلماء شزرًا، بأنهم خونة، وبأنهم عملاء، وبأنهم جواسيس، وبأنهم.. وبأنهم.. إلىٰ آخر الألقاب القبيحة التي عجز عنها رؤساء الضلال في الماضي، وتلقفها هؤلاء الرافعون للشعارات الإسلامية، تلقفوها من البعثيين والشيوعيين والباطنيين وغيرهم، ويقذفون بها علماء الإسلام.

فيا أيها الشباب، احذروا هؤلاء الذين يتظاهرون بالغيرة علىٰ الإسلام وهم أول ما يهملون أساسيات الإسلام وأصول الإسلام ومبادئ الإسلام التي لا يقوم إلا بها، والعقائد في أسماء الله وصفاته والعقائد في عبادته وتوحيده بأنواع التوحيد، والبعث، والجنة والنار، وعذاب القبر، وغيره، هؤلاء لا يرفعون رأسًا بهذه الأمور التي هي محور دعوات الأنبياء جميعًا -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

فيقول الإمام ابن القيم: «إن احترام العلماء ومحبتهم وطاعتهم في طاعة الله أمر شرعه الله، وأمر أوجبه الله»[1].

وأقول: يجب علىٰ الأمة أن تعترف بمكانة العلماء، وتعرف لهم

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ٢٣٧-٢٣٨).

منزلتهم، وتعرف أنه يجب عليها محبتهم وطاعتهم، وأن بغضهم بغض لدين الله، وبغض لحملة هذا الدين، البغض للعلماء يؤدي إلىٰ بغض العلم الحق الذي ورثوه عن الأنبياء، فيا ويل من يبغضهم ويبغض عقائدهم!

وقد شاع في هذه الأيام رفض ما عند العلماء بالمقولة المبطلة التي ظاهرها الحق، وباطنها الباطل والشر: «لا أقلد»!!، تجده جاهلًا لا يفهم شيئًا في دين الله، وهو أشد الناس حاجة إلىٰ تقليد العلماء فضلًا عن اتباعهم.

هناك تقليد، وهناك اتباع، هناك إنسان غبي يحتاج إلىٰ التقليد، والتقليد ضرورة من ضروراته، فعليه أن يقلد العلماء.

وطالب العلم يستطيع أن يدرك بواسطة الدليل أن هذا العالم علىٰ صواب، فيتبع العالم صاحب الدليل، وهذه درجة فوق التقليد، ودون درجة المجتهد، بعضهم قد يقول: لا أقلد وهو في واقعه عاميٌّ جاهل، وقد يكون فاجرًا خبيثًا يريد الطعن بالعلماء والتنفير عنهم بمثل هذه الأساليب الماكرة.

فليحذر الشباب أن يقع في شبكة هؤلاء السفهاء الذين يطعنون في العلماء طعونًا مغلفة، «أنا لا أقلد فلانًا»، نقول له: من أمرك بالتقليد إذا كنت طالب علم؟! لكن إذا كان هذا العالم الذي تقول: «لا أقلده» عنده حق هل يجوز أن ترفض الحق الذي عنده بهذا الهلوسة التي تسميها تقليدًا وتريد بها باطلًا؟!!

أنا أحذر الشباب من هذا الأسلوب الخسيس، كثر وكثر وكثر وشاع

في أشباه العوام وأحط من العوام أخلاقًا ودينًا وخلقًا، تفشىٰ هذا الداء في نفوس كثير من الناس، «لا أقلد، لا أقلد» كثر في الإنترنت، كثر في الساحات، كثر في الأماكن «لا أقلد»، هو جاهل، يمكن التقليد لا يحسنه، فضلًا عن الاتباع، فضلًا عن الاجتهاد.

فأنا أنصح الشباب أن يتأدبوا، وأن يتواضعوا، وأن يحترموا العلماء، وأن يُخِفُّوا هذه اللهجة السيئة التي يرددونها، كما كان الخوارج يرددون: «لا حكم إلا لله»، فيقول علي: «كلمة حق أريد بها باطل»(١).

وإني لأقسم بالله علىٰ حسب تتبعي أن هؤلاء يريدون بها باطلًا ويريدون أن ينفضَّ الشباب عن العلماء، فقاتل الله أهل الكيد والمكر، وصرف الله كيدهم ومكرهم عن هذه الأمة وعن هذا الدين، فلا يخرج الشباب من دوامة إلا ويقع في دوامة أخرىٰ، لا يخرج من حفرة إلا وقع في أخرىٰ، لأن أهل الشرور وأهل الفتن في الخفاء ومن وراء الكواليس -كما يقال- يديرون دُمًىٰ، ويحركونها لمواجهة المنهج السلفي.

فالإخوان المسلمون والقطبيون من أين يتلقفون هذه الأفكار في هذه البلاد؟ وفكرة جهيمان، وفكرة عبد الرحمن عبد الخالق، وفكرة الحداد، وفكرة المغراوي، والفكرة الآن التي نعيشها، من أين جاءت؟!!

كلها ذيول لفكر الإخوان المسلمين، من فتنة جهيمان إلىٰ الآن كلها

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦).

ذيول لفتنة الإخوان المسلمين الذين محورهم الأساسي إسقاط العلماء، ولكن يتخذون لبوسًا شتىٰ وأشكالًا شتىٰ، فتارة باسم الإخوان، وتارة باسم كذا، وتارة باسم التصوف، وتارة باسم السلفية! وأخطرها هذا اللباس (لباس السلفية)، عجزوا عن مواجهة المنهج السلفي باسم التبليغ وباسم الإخوان فلبسوا لنا هذه الدمىٰ باسم السلفية، ثم يأتي يتحدىٰ العلماء!

الحدَّاد ما عرف العلماء، ولا جالسهم، ولا أخذ عنهم، ويبغضهم، ويحقد عليهم أشد الحقد.

عبد الرحمن عبد الخالق قال: إن علمهم قشور. وقال: إنهم طابور محنط. وقال: إن عقيدتهم سلفية تقليدية لا تساوي شيئًا.

وتأتي عبارات القوم لا بهذه المواجهة، ولكنها بأساليب شتىٰ، وتحت ألبسة شتىٰ، والمكيدة هي المكيدة نفسها يديرها من يديرها، لعل الجهة واحدة التي تديرها، جهات خفية تحارب المنهج السلفي، ولهذا ترىٰ فوجًا بعد فوج، وكلما انقطع قرن من قرون الشيطان خلفه قرن آخر، وكلها ترجع إلىٰ ثور خبيث، فنسأل الله العافية.

أنصح الشباب أن يحترموا العلماء الموجودين، لا يقولوا: إن الألباني وابن باز وابن عثيمين ذهبوا، العلماء الموجودون يجب أن يحترموهم جميعًا، وأن يوقروهم، وأن يعرفوا لهم قدرهم، بارك الله في الشباب، ووالله لا ينجحون إلا إذا ساروا وراء العلماء، لن ينجحوا في هذه الحياة، ولن

ينجحوا في تربية، ولن ينجحوا في توجيه إذا كانوا يحملون مثل هذه الروح الشيطانية التي يحملها بعض الأفراد.

نسأل الله أن يستأصل شأفة فتنتهم، أو يهديهم ويأخذ بنواصيهم إلىٰ الحق والصواب.

لقد امتلأت المواقع بهذه اللهجات السيئة، ولقد سمعنا من يقول في هذه المواقع: «إلىٰ الجحيم خالدًا فيها مخلدًا أبدًا يا ابن عثيمين»، ومن يقول: «الجامية»، ومن يقول: «المدخلية»، ومن يقول: «الغلاة».

كل هذه الألقاب القصد منها تشويه المنهج السلفي، وتنفير الناس منه، وكلهم يدَّعون الاجتهاد وهم مساكين، والله لا يعرفون الإسلام حق المعرفة، لا عقائده ولا شرائعه، والإنسان يأخذ بطرف من العلم، ولا يعرف أساسياته، ويسعىٰ منتفخًا كالهرِّ يحكي صولة الأسد: عالم.. عالم، يصول علىٰ العلماء، ويستنقصهم، وتصدر الفتاوىٰ من عشرات العلماء، فيسقطونهم.

عدنان عرعور قال في العلماء وفيمن أفتوا ضده: «لو كانوا بالآلاف لوضعتهم تحت قدمي، وشعب الله المختار الذي خرج من دبر آدم»! قال هذا بعد أن صدرت فيه الفتاوىٰ، والمغرواي صدرت فيه فتاوىٰ فأهان المفتين.

فصاروا أسوأ من الإخوان المسلمين، وهم يتدثرون لباس السلفية، فهؤلاء أشد.

عبد الرحمن بن عبد الخالق سمعتم ما قال، والحداد كان يطعن طعنًا شديدًا في العلماء، ويتسلق ويتستر بالشوكاني وابن حجر والنووي وأمثالهم، ليصل إلىٰ غايته، وهو: إسقاط العلماء الموجودين.

فالمسألة كلها مكايد سياسية من هؤلاء الذين يقولون: نحن نعرف خطط الأعداء، ونحبط خططهم. وهم يعرفون خطط الأعداء، فيقلبونها علىٰ المسلمين! تلك الخطط التي يتعلمونها من البعثيين والشيوعيين والعلمانيين ويدعون أنهم يدركون بها خطط الأعداء، ويحبطونها، ما عرفنا أنهم أحبطوا عشر معشار خطة من الخطط التي يضعها الأعداء، ولكنهم يُخططون، وينفذون خططهم في بلاد المسلمين، في المساكين الذين لا يدركون خطط هؤلاء، ولا مكايدهم، وإن مكايدهم تحتاج إلىٰ ذكاء.

فيا أيها الطلاب كونوا أذكياء، واستعملوا مع هؤلاء «لست بالخبِّ ولا الخب يخدعني».

أنا استطردت في هذه المواضيع الآن، لأنها بنات الساعة، وفتن الساعة، ولابد من التعريج عليها، والتحذير منها، لأننا نتكلم علىٰ العلماء، فنريد من الشباب أن يعيدوا للعلماء مكانتهم واعتبارهم الذي سعىٰ الإخوان المسلمون وفصائلهم وذيولهم إلىٰ تنحيتهم عن المكانة التي أحلهم الله فيها، وأحلهم فيها رسوله ﷺ، وأحلهم المنهج الإسلامي، وأهل السنة الصحيحة، الذين يعترفون لهم بهذا الفضل، ويلتفون حولهم، ويدعمونهم في الشدائد

والأهوال، وأولئك يخذلونهم عند كل شدة، وعند كل فتنة، وعند كل محنة.

نسأل الله أن يوفق الشباب لاحترام العلم الصحيح، وعلماء أهل السنة والجماعة، وأن يرزقهم البصيرة.

* * *

فضل العلم النافع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيسرُّنا في هذه الليلة المباركة أن نُرَحِّبَ بكم، باسم مركز الدعوة والإرشاد بالمدينة النبوية، وباسمكم جميعًا، نرحِّب بفضيلة شيخنا ووالدنا العلامة المحدِّث الشيخ ربيع بن هادي بن عمير المدخلي -حفظه الله تعالى، ونفع بعلمه-، وقبل ذلك باسم مركز الدعوة والإرشاد بالمدينة النبوية، ونشكر له تَفَضُّلَهُ بإجابةِ دعوة أبنائه لإلقاء هذه الكلمة في هذه الليلة: ليلة الجُمُعة، الموافِقة لليلة السادس من شهر ذي القعدة، عام ثمان وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ.

وهذه الكلمة موضوعها أمر مُهِمٌّ في حياتنا جميعًا، ألا وهو: **فضل العلم النافع.**

نسأل الله ﷻ أن يجزي شيخنا خيرًا، وأن يبارك في عمره وعلمه وعمله، وأن ينفعنا وإياكم جميعًا بما نقول ونعلم.

ونسأل الله سبحانه أن يرزقنا وإياكم جميعًا الفقهَ في الدِّين، والبصيرة فيه، والاتباع لنبيه محمدﷺ.

وليتفضل فضيلة شيخنا ووالدنا -جزاه الله خيرًا-، سائلين الله ﷻ أن يفتح عليه.

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

ثم أما بعد: فيَسُرُّنِي هذا اللقاءُ مع أبنائنا وأحبتنا وإخواننا مِن طلاب

العلم، العلم الشرعي النبوي، الذي جاء به محمد ﷺ، وحديثُنا معهم في فضل العلم، فنتحدثُ بما يَمُنُّ الله به علينا من بيان حقيقة هذا العلم، ومِيزاته، ومِيزات أهله، وماذا يَلزَمُهُم مِن هذا العلم الذي أكرم الله به هذه الأمة، ورفع من شأنها، وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر.

ولا تتأتىٰ هذه الخيرية لهذه الأمة، ولا تتسنم مرتبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- إلا عن طريق العلم، العلم بكتاب الله، وبسنة رسول الله ﷺ واقتفاء آثار السلف في تعلم كتاب الله وحفظه، وتعلم سنة رسول الله ﷺ وحفظها، ونشر معاني القرآن والسنة.

فنحن -إن شاء الله- نقتفي آثارهم في دراسة كتاب الله والتفقهِ فيه، وفي دراسة سنة رسول الله ﷺ والتفقه فيها، والعمل بما حَثَّ عليه القرآنُ والسنة، العمل به علىٰ الفهم الصحيح الموافق لمراد الله ومراد رسوله ﷺ، لا بحسَب الأهواء.

منزلة العلم منزلة رفيعة، وأهله رفعاء، ولهم درجات رفيعة، ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١].

العلم ليس بالسهل ولا بالهَين،، العلم وِراثةُ النبوة، فحملة العلم هم وُراث الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في فهم الرسالات التي أوحاها الله إلىٰ هؤلاء الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام-، وفي التَمَسُّكِ بِها وتطبيقها علىٰ الوجه الذي يرضاه الله ويحبه ﷻ.

هذا العلم هو الذي يمدحه الله، ويثني علىٰ أهله، ويَعِدُهم برفعة الدرجات عنده ﷻ، فلنحرص أن نكون من وراث الأنبياء علمًا وعملًا، واعتقادًا ومَنهجًا، لا مُجَرَّد حمل العلم، وإنما العلم والعمل به علىٰ مراد ربنا ﷻ.

والعلم كما يقول الإمام البخاري: «بابٌ: العلم قبل القول والعمل».

فالعلم أساس للأقوال والأعمال، فيجب أن تراعيَ في كل ما تتفوهُ به وتقولُه -أن تراعيَ فيه- العلمَ، **«مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَليَقُل خَيرًا أَو لِيَصمُت»**[(١)].

المؤمن العالم الذي يحترم العلم ويحترم الرسالة التي حَمَلَت في طَيَاتِها هذا العلم يتحلىٰ بهذا الأدب العالي، وهو ألا يقول إلا خيرًا، فإذا لم يجد مجالًا لكلمة الحق فعليه أن يصمت، ولا يتكلم بالفُحش، ولا يتكلم بالباطل، لا يتكلم بالغيبة، ولا بالنميمة، ولا بالإشاعات الظالمة الفاسدة.

المؤمن التقي العامل يراعي العلم والتوجيهاتِ الربانيةَ في هذا العلم -علم الكتاب والسنة- يراعي حركاتِه وسَكَناتِه، أقوالَه وأفعالَه، لأنه يشعر بأنه ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

هذا هو العلم النافع المحمود عند الله -تبارك وتعالىٰ-، والمحمود صاحبه لأنه يُراقِب الله -تبارك وتعالىٰ- في أقواله، وفي أفعاله وفي عبادته، يخلص فيها لله، ويعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يعتقد أن الله -تبارك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وتعالىٰ- يراه ويعلم حركات نفسه وحركات قلبه وخلجاته، يدرك هذا، لأنه مُرهَفُ الحِسِّ، شديد المراقبة في عبادته وفي سائر شئون حياته.

العلم ليس المقصود منه مجرد الدراسة وحمل الشهادات، إنما المقصود منه الفقه فيه، الفقه لعقائده وعباداته وأخلاقه وآدابه وكل ما يتعلق بحياة المؤمن، يجب أن يقيمها المؤمنون في ضوء كتاب الله وفي ضوء سنة رسول الله ﷺ، فعبادته يخلص فيها لله، لأن الله أمره بالإخلاص: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

يجب أن نُرَبيَ أنفسنا وأبناءنا وطلابنا ومَن يُمكِن أن يصل إليهم صوتُنا وكَلِمَتُنا أن نُربيهُم علىٰ احترام العلم، وعلىٰ تقوىٰ الله، علىٰ ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ إذ المقصود من العلم طاعة الله -تبارك وتعالىٰ-، وطاعة رسوله، وتصديق أخبار الله، وتصديق أخبار رسوله -عليه الصلاة والسلام-، فلا يَصِلُنا خبر من القرآن أو من السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ إلا ونؤمن به، ونُكِن له كل احترامٍ وتعظيمٍ وإجلال.

وهكذا كان حالُ الصحابة الكرام والسلف الصالح، فإنهم كانوا يُقدِّرون هذا العلم، ويُقدِّرون العلماء، ومِن تقديرهم للعلم: أن الرجل كان يَرحَلُ مِن مشارق الأرض إلىٰ مغاربها ومن شمالها إلىٰ جنوبها لأجل سماع حديث رسول الله -عليه الصلاة والسلام- والتفقه في القرآن الكريم، بل كان الرجل في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- يرحل من أنحاء الجزيرة إلىٰ رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ليتعلم منه أمرَ دينه، فيصبح من العلماء،

ومن الدعاة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-.

وكان التابعون يرحلون، بل الصحابة رحلوا بعد النبي -عليه الصلاة والسلام-، رحل جابر من المدينة إلىٰ الشام من أجل حديث واحد.

ورحل أبو أيوب الأنصاري ﷺ من المدينة إلىٰ مِصر مِن أجل حديث واحد، ولما سَمِع هذا الحديث الذي يَنشُدُه لوىٰ زمام ناقته وعاد إلىٰ المدينة، لم يَقِر له قرار، لأنه رحل من أجل هذا الحديث، ونال مقصوده، فلا أَرَبَ له في هذه الرحلة إلا هذا الحديث، فعاد أدراجه إلىٰ المدينة النبوية معقل العلم والإيمان.

وهكذا كان أئمة الحديث والتفسير والفقه يرحلون من مشارق الأرض وإلىٰ مغاربها لِتَعَلُّمِ هذا العلم، لماذا؟ لأنهم عرفوا قَدرَ العِلم، وعرفوا منزلة العلم، وعرفوا شرف العلم في الدنيا والآخرة، وأن الله يرفع أهله درجات.

ومِن شرف العلم: أن الله ﷻ لم يأمر رسوله -عليه الصلاة والسلام- أن يطلب الدنيا، وإنما أمره أن يطلب المزيد من العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، ما قال: قل زدني مالًا، ولا دنيا، ولا سلطانًا، بل﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

هذا من أوضح الأدلة علىٰ شرف العلم ومكانته عند الله، فرسول الله -عليه الصلاة والسلام- أعلمُ العلماء، ومع ذلك يرشده ربه أن يطلب الازدياد من العلم.

فينبغي أن يطلب طالبُ العلم هذا العلم كما يقال: «مِن المَهدِ إلىٰ اللحد»، لا يرىٰ نفسه في يوم من الأيام أنه عالم، وأنه قد أخذ حَظه من العلم، بل هو يطلب المزيد إلىٰ آخر أنفاسِه وآخر لحظات حياته.

والعلم -كما يقول الإمام أحمد- الناس أشد إليه حاجةً مِن حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب، لأنه يكفيك في اليوم أكلة أو أكلتين، ولكن العلمَ تحتاجُه في كل لحظة وفي كل نَفَس من أنفاسك. هؤلاء قالوا هذا الكلام، أدركوا قيمة العلم، وأدركوا قيمة العمل.

فينبغي أن يكون عندنا مِنَ الفقهِ والوَعيِ والهمم العالية ما يجعلنا نرىٰ منزلة العلم ومكانتَهُ ومكانةَ أهلِهِ، فـ«**مَن يرد الله به خيرًا يُفقهه فِي الدينِ**»(١).

فكَونُك تتجه إلىٰ طلب العلم والتفقه فيه والعمل به هذا من العلامات والأمارات الدالة أن الله قد أراد بك خيرًا، فاستبشر وأحسنِ الظن بالله -تبارك وتعالىٰ-، وأخلص لله -تبارك وتعالىٰ- في قولك وعملك وعلمك، ولا تغتر، نعوذُ بالله من الغرور، ولا تأمنُ مَكرَ الله، ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ**﴾ [الأعراف:٩٩].

والمؤمن يخشىٰ دائمًا أن تتغير حاله، فقد ثبت عن عائشة وأنس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يَا مُقَلبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلبِي عَلَىٰ دِينِكَ**» فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال:

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٠).

«نَعَم إِن القُلُوبَ بَينَ أُصبُعَينِ مِن أَصَابِعِ اللهِ ﷻ يُقَلِّبُهَا كَمَا يَشَاءُ»[١].

هذا والله هو الفقه: ألا يأمن الإنسان علىٰ نفسه، لأن «الشيطَان يَجرِي مِن ابنِ آدَمَ مَجرَىٰ الدَّمِ»[٢].

فليكن حارسًا لقلبه وعقله وعلمه حراسةً شديدة أشد مما يحرس مالَهُ وعِرضَه ومَن أُسنِدَ إليه وِلايةُ أمرِه، يجب أن يَهتم بحراسة قلبه قَبلَ كُلِّ شيء، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨].

وقد أشاد القرآنُ كثيرًا بالعلم والعلماء، قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر:٢٨].

العلماءُ العاملون، العلماء الذين استفادوا من هذا العلم، فعرفوا الله بأسمائه وصفاته، عرفوا الله وعظَّموه من خلال معرفتهم بأسماء الله وصفاته، إذ قَلَّما تَمُر آية من آيات القرآن إلا وفيها شيءٌ من صفات الله وأسمائه، فيقرأُ القرآن وتمر عليه هذه الصفات، فكلما مَرَّ بآية ازداد إيمانًا، وخاصة آياتِ التوحيد، وآياتِ الأسماء والصفات.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال:٢-٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية رضي الله عنها.

هؤلاء المؤمنون الذين تبوءوا هذه المرتبة العظيمة التي نوه الله بها علماءُ عاملون حقًّا، علماءُ فقهاءُ يفقهون كتاب الله، وكلما تُلِيَت عليهم آية ازدادوا إيمانًا، حتىٰ يصير إيمانهم أمثال الجبال، يزداد ويزداد ويزداد... وهكذا في نمو مُضطرِدٍ وازدياد عظيم.

هؤلاء العلماء الذين يشيد الله بمكانتهم إنهم يتفقهون في كتاب الله، ويزدادون بتلاوة آياته إيمانًا، كما قلنا: يتأملون آيات التوحيد، وآيات الأسماء والصفات، وآيات توحيد العبادة، وآيات الوعد، وآيات الوعيد وهي كثيرة في القرآن العظيم، أوصاف الجنة وما فيها من النعيم لأهلها من القصور والحور والجنان والأنهار... إلخ، والنار وما فيها من أغلال ومشاكل وعذاب شديد والعياذ بالله، فيؤمن بهذه الجنة ويزداد شوقًا إليها، ويؤمن بهذه النار فيزداد هربًا منها، لأنه مؤمن عالم عامل.

هذا الطراز الذي يريده الله -تبارك وتعالىٰ-، هذه النفوس العظيمة والأرواح العالية هي التي يريدها الله مِنا، أن نربيَ أنفُسَنا علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وأن نَعرِفَ فيها ما ذكرناه من أصناف التوحيد وأنواعه، وأصناف الوعد والوعيد، والحلال والحرام، والأخلاق العالية التي يجب أن يَهتم بها المسلم كما كان يهتم بها رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، الذي شهد له ربه أنه علىٰ خلق عظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، عليه الصلاة والسلام.

وأخلاقُ رسولِ الله دُونَت في الدواوين العظيمة، من صبره وحلمه ورفقه ولِينه ومُرُوءَتِه وشَرَفِه ورحمته، وهو لنا أسوة في كل هذه الخِصال، يجب أن نتحلىٰ بها ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾، ليس الذي يدعيه الأدعياء، ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

فكونوا من هذا الطراز العالي يا معشر الشباب، والأمة تحتاج إلىٰ هذه النوعيات التي تفقه كتاب الله، وتجعل نصوصه ونصوص السنة نصب الأعيُن، في العقيدة، وفي العبادة، في السياسة، في الاجتماع، في الأخلاق، في الاقتصاد، في كل شئون الحياة، لا يخطو خطوة ولا يقدم علىٰ عمل إلا علىٰ بصيرة وعلىٰ معرفة، وبالعمل والتطبيق يُحفَظُ العِلمُ.

وكان السلف يقولون: «إذا أردت أن تحفظ الحديث، فاعمل به، فإن العمل يُثبِت العلم»(١)، وإذا كان الإنسان يقرأ ولا يعمل، فإنه يضيع منه العلم.

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «الباعث الحثيث» (ص١٥٣)، والسيوطي في «تدريب الراوي» (٢/ ١٤٤) عن الإمام وكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللَّهُ.

وروىٰ أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (١/ ١٢٧برقم٥٨٠ - الكتب العلمية)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» الرسالة- (٢/ ٣٨٨-٣٨٩برقم ١٨٥١-١٨٥٢)، وفي «اقتضاء العلم العمل» (ص٩٠برقم١٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٨٤ و٣١١ برقم ١٦٥٩ و١٧٤١-الرشد)، عن وكيع قال: كان إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية يقول: «كنا نستعين علىٰ حفظ الحديث بالعمل به»، وقال =

فأوصيكم بحفظ العلم، بالحفظ في القلب، ثم الحفاظ عليه بالعمل والتطبيق، تُصَلِي فكأنما رسول الله أمام عينيك «**صَلوا كَمَا رَأَيتُمُونِي أُصَلي**»(١).

تقول: «الله أكبر» تتصور تكبيرة الرسول -عليه الصلاة والسلام- كيف كان يكبر، كيف كان يضع يديه علىٰ صدره -عليه الصلاة والسلام-، كيف يقرأ -عليه الصلاة والسلام-، كيف قراءته، كيف كان خاشعًا في هذه القراءة -عليه الصلاة والسلام-، ماذا يقول في ركوعه، وكيف حاله في هذا الركوع، وماذا يقول في سجوده وفي صلاته، كان إذا دخل في الصلاة يُسمَع لِصَدرِه أزيز كأزيز المِرجَل -القِدْرِ-، كالقِدْر يغلي، من خوفه من الله ومراقبته لله -تبارك وتعالىٰ-.

كيف يتعامل مع الناس، كيف يتعامل مع إخوانه، وكيف يتعامل مع أعدائه -عليه الصلاة والسلام-. علىٰ هذا المنوال، فالإنسان دائمًا يجعل تعاليم رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وسنته وتصرفاته كأنها نُصبَ عينَيه.

هذا العلم الذي يشيد الله به ويثني علىٰ أهله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۢ﴾ [المجادلة:١١]، فمجرد العلم لوحده، فقط

=

الحسن بن صالح: «كنا نستعين علىٰ طلبه بالصوم». وانظر: «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (٢/ ٢٥ و٢٥٩-زمرلي).

(١) أخرجه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

يحفظ ويمضي، لا، بل يتعلم ويعمل ويُرَبِّي ويدعو إلىٰ هذا العلم، ويدعو بهذا العلم، ويدعو إلىٰ ما تَضَمَّنَهُ هذا العلم من عقائدَ وعباداتٍ وأخلاق.

هذا العلم الذي يشيد الله بأهله، وهؤلاء العلماء الذين شهد الله لهم أنهم هم الذين يخشونه، حصر الخشية فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

هذا الطِّراز مِن العلماء العاملين هم الذين يثني الله عليهم، ويرفع لهم الدرجات، هم الذين يخشونه، وإذا مدحهم بوصف الإيمان أو مدحهم بأي وصف آخر كلُّها ترجع إلىٰ العلم النافع وإلىٰ العمل الصالح.

وردت أحاديث كثيرة في فضل العلم عن النبي -عليه الصلاة والسلام-:

١- منها ما ذكرنا لكم من حديث معاوية ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا، يُفَقِّههُ فِي الدِّينِ**».

٢- ومنها حديثُ ابنِ مسعود ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثنَتَينِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[1].

هؤلاء هم أنفع الناس للناس: إنسان أعطاه الله مالًا جزيلًا فهو ينفقه في وجوه الحق والخير، لا يُبَذِّر، ولا يُسرِف، ولا يُنفِقُ في وجوه الحرام، ولا فيما

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥١).

يُسخِط الله، إنما هذا المال كلُّه يَصُبُّه في اتجاه واحد؛ الاتجاه الذي يُرضِي الله -تبارك وتعالىٰ-، في الحق.

وآخر عالم عامل، أعطاه الله الحكمة -وهو: العقل والعلم-، ويُعَلِّمُ الناسَ عقائدَهم وعباداتِهم وأعمالهم و... إلخ.

فهؤلاء الذين يجوز للمسلم أن يغبطهم لأن الحسد هنا بمعنىٰ الغِبطَة، وهي: أن تتمنىٰ مثل ما حصل لفلان من العلم، والله أتمنىٰ أن أكون عالمًا مثل فلان فأعمل مثل عمله، هذا لا حرج فيه، الحسد المذموم أن تحسد الشخص علىٰ ما آتاه الله من الخير -مالًا أو غيره-، وتتمنىٰ زوال هذه النعمة عنه، فهذا هو الحسد الخبيث المذموم أهلُه.

أما الغِبطة -الحسد هنا بمعنىٰ الغبطة-: أن تتمنىٰ من الخير مثل ما حصل لهذا الرجل من الخير من المال، أو مثل ما حصل لفلان من الخير وهو العلم، تتمنىٰ أن تكون مثله في العلم النافع، والعمل الصالح، والدعوة إلىٰ الله، والتربية علىٰ هذا العلم.

هذا مشروع ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين:٢٦]، أمور الآخرة يُشرَع فيها التنافس، إنسان يعبد الله يقوم الليل تَغبِطُه علىٰ هذا، وتحاول أن تكون مثله، تصنع مثله فتقوم الليل، تنافسه في هذا، ليس فيه شيء، يجاهد في سبيل الله تتمنىٰ أن تكون مثله مجاهدًا في سبيل الله لا في سبيل الشيطان... وهكذا، عنده مال وينفق في وجوه الخير ووجوه البر وأنت تتمنىٰ مثله، لا حرج في هذا .

٣- ومنها حديث أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ ﷻ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١).

فشَبَّه النبي ﷺ العلم بالغيث، لأن حياة الناس بالمطر وبالعلم، فالعلمُ تحيا به القلوب، والمطر والغيث تحيا به الأبدان.

وبعضُ القلوب مثل الأرض الطيبة التي تقبل الماء وتنبت وتعشب، يرعىٰ الناس ويأكلون ويطعمون ويشربون وإلخ.

والقلوب الطيبة تقبل العلم والهدىٰ الذي جاء به محمدﷺ فتفقهه وتستنبط منه العقائد والأحكام والأخلاق والقواعد والأصول ثم تعلم الناس بذلك وتحثهم علىٰ العمل.

وناس آخرون قلوبهم تَعِي العلم، لكن ما عندها ذلك الفقه، لكنها في الوقت نفسه لها ميزة أنها تحفظ هذا العلم وتُبَلغُه إلىٰ الناس كما هو فينتفع به الناس، مثل الأرض التي تحبس الماء فيشرب الناس منها ويسقون ويزرعون.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٩).

وطائفة أخرىٰ ثالثة لا تَقبَل الماء، كالأرض السبخة والأرض الملساء التي لا تمسك من الماء شيئًا، مَهمَا هطلت عليها الأمطار لا تمسك منها شيئًا ولا تُنبِتُ كلأً، فهذه مثل القلوب التي لا تعي عن الله شيئًا،، لا تقبل علىٰ علم، ولا تحفظ علمًا، ولا تريد علمًا -نعوذ بالله من ذلك-.

فاحرص يا طالب العلم أن تكون واحدًا من الاثنين السابقين، إما علم وفقه ودعوة، وإما علم، وإن ضعف الفقه، فهناك يأتي البلاغ والتبليغ وتأدية هذه الأمانة -أمانة العلم- إلىٰ الناس.

يقول النبي ﷺ: **«نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مِنَّا شَيئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوعَىٰ مِن سَامِعٍ»**[1].

فهذا الذي حفظ العلم ونَقَلَهُ إلىٰ غيره فيكون في هذا الغير من هو أفقه منه فينفع الله به بنقله لهذا العلم، بخلاف من لا يقبل العلم ولا يقبل هذا الهدىٰ -والعياذ بالله-، فهذا مثل الأرض السبخة لا تقبل ماء ولا تنبت كلأ، فهذا مثال عظيم للعلم، وأصناف الناس فيه، وكيف يستفيدون، وكيف يُحرَمُون الاستفادة منه، فنعوذ بالله من الحِرمان.

هذه بعض الأحاديث في الإشادة بالعلم، وعن آثاره النافعة، وعن حِرمان مَن لا يهتم بالعلم -والعياذ بالله-، وحالِه السيئة -والعياذ بالله-، وقد يكون هذا كافرًا، وقد يكون فاسقًا، وقد يكون مبتدعًا، لا يَستَفِيدُ مِن العلم -والعياذ بالله-.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ومن الأحاديث التي وردت في شأن العلم: قولُ النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَةً، وحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَليَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1].

فأنت مأمورٌ بتبليغ العلم الذي يأتيك وتنالُه، تُبلِّغُه كثيرًا كان أو قليلًا، وإياك والكذبَ علىٰ رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فإن بعض الناس قد تدفعهم العواطف العمياء والجهل إلىٰ الكذب علىٰ رسول الله ﷺ بأن يقول: قال رسول الله كذا وكذا.. فينقلُ حديثًا مكذوبًا، فهذا إما أن يخترع حديثًا فيكونُ قد كذب علىٰ الرسول متعمدًا فيتبوأ مَقعَدَه من النار، وإما أن ينقل حديثًا اخترعه غيره فيَصدُق عليه «**مَن حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ**»[2] أو: «**أَحَدُ الكَذابِين**»[3] علىٰ إحدىٰ الروايات.

فناقل الكذب كاذب، فإذا رويت حديثًا كذبًا علىٰ رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فأنت أحد الكاذبَين -والعياذ بالله-.

فاحرص علىٰ تبليغ ما يبلغك من العلم علىٰ الوجه الصحيح، وبالأمانة العظيمة التي عرضها الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ السموات والأرض ﴿فَأَبَيۡنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٧٤٦) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

﴿ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

وجاءت نصوص في وعيد الله مَن يَكتُمُ العلم ولا يُبلغُه، قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة:١٥٩].

يكتم هذا الهدىٰ، وهذه الآياتِ البيناتِ التي أنزلها الله لهداية الناس، وليستفيدَ منها الناس، وليقيموا عليها عباداتِهم وأعمالَهم وحياتهم، فيكتم هذا العلم، فهذا يستحق اللعن، ويستحق هذا الوعيد الشديد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾.

ويقولُ الرسولُ الكريم -عليه الصلاة والسلام-: «**مَن سُئِلَ عَن عِلمٍ فَكَتَمَهُ، أُلجِمَ يومَ القِيامَةِ بِلِجامٍ مِن نارٍ**»[(١)] -والعياذ بالله-.

فإذا بَلَغَك شيءٌ مِن العلم في العقيدة، في العبادة، في الحلال، في الحرام، فَبَلِّغهُ للناس بالحِكمة والموعظة الحسنة، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

فنحن مأمورون بالدعوة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، وبالأسلوب الطيب، وبالأسلوب المُقنِع، وبالحُجَّة الواضحة، وبالحِكمة، واللُطف واللين والرفق،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٨٤).

كما كان رسول الله وصحابته الكرام يُبَلِّغُون العلم مقرونًا بهذه الأخلاق العالية والصفات النبيلة: اللين، الرفق...، «لم يدخل الرفقُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَم يُنزَع مِن شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ»(١).

و«إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرفقَ فِي الأَمرِ كُلِّهِ»(٢).

فنحن مُكَلَّفون بالدعوة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، نُبَلِّغُ للناس ما نتعلمُه ولو كان آية واحدة، يرافِقُه أخلاقٌ عالية، أخلاق شريفة، أخلاق محمد ﷺ التي اقتبسناها منه -عليه الصلاة والسلام-، ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

فنحن مأمورون أن نتعلم، فعلينا أن نتعلم، وأن نعمل، وأن ندعو إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، بالطرق التي رسمها الله لنا، وبينها الله لنا، وبينها رسوله -عليه الصلاة والسلام-، وطبَّقها -عليه الصلاة والسلام-، وطبَّقها صحابتُه الكرام من بعده، إذ نشروا الإسلام في الدنيا كلِّها بين مختلف الشعوب، أكثر ما انتشر هذا العلم والخير عن طريق الأخلاق: الصبر، والحِلم، والأمانة، والصِدق، والمروءة، والشرف، والإباء، والوفاء بالعهد، وما شاكل ذلك..

هذه الأخلاق ظهرت للناس، فجعلتِ الشعوبَ تُقبِلُ بقُلُوبِها وأسماعها وأبصارها علىٰ هذا الهدىٰ وهذا النور الذي كان يحمِلُه أصحاب محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٣١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأنتم تشدُّون الرحال من آفاق بعيدة إلىٰ الجامعة الإسلامية، وتَنهَلُون منها العلم.

وأنا أقول لكم بهذه المناسبة: إن منهج الجامعة الإسلامية منهجٌ عظيم، وضعه أئِمةٌ أعلام، أنشئوها لإعادة مجد الأمة الإسلامية علىٰ ما كان عليه في عهد رسول الله وأصحابه، علىٰ الكتاب وعلىٰ السنة وعلىٰ منهج السلف الصالح، بعد أن رأَوا أن العالم الإسلامي في وضعٍ مُؤلِمٍ جدًّا، من الجهل، وانتشار البدع والخرافات، وضياع التوحيد ومكانة التوحيد -إلا من سلمه الله تبارك وتعالىٰ-.

فأنشئت هذه الجامعة لقصد تجديد الإسلام علىٰ أيدي خريجيها كلٌّ يعود إلىٰ بلده، بعضُ الناس يتعلم ويجلس هنا ما يأخذ بقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

فكان الناس في عهد رسول الله يشدُّون الرحال إلىٰ رسول الله ، يتعلمون منه، يُرسَلُون إليه ثم يَعُودون إلىٰ بلدانهم لِيُبَلغُوهم رسالةَ الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾.

الإنذار يتم بالعلم وبالحجة وبالبرهان، فيرجع وعنده الحجج، وعنده البراهين، وعنده العلم الصحيح، وعنده العقيدة الصحيحة، فيحاوِلُ إصلاحَ ما استطاع من بلده.

جماعة من بلد واحد تخرَّجوا في الجامعة الإسلامية، كلٌّ يبذل جُهدَه في إصلاح هذه الأمة التي بين يديه، فيُقدِّمُ لها الخير، بالعلم، والحجة، والبرهان، والحكمة، والتذكير بالأسلاف: مثل مالك، الشافعي، أحمد... ويقرِّر عقائدهم و مناهجهم.

هذه الأساليب ينفع الله -تبارك وتعالىٰ- بها، ويهدي اللهُ بها كثيرًا من الناس -إن شاء الله-، والدعوة إذا خَلَت مِن الحكمة، وخلت من العلم، وخلت من الحجة، تصير وبالًا علىٰ صاحبها وعلىٰ الناس.

والأخلاق لها آثارها البعيدة، لها آثارها العميقة، ولهذا يَحُث الله عليها، ويَحُث عليها رسولُه -عليه الصلاة والسلام-، وكان يتعامل رسول الله مع الناس بهذه الأخلاق، مع أهله في بيته، مع أصحابه، مع خُصُومِه.

حتىٰ إن يهوديًّا سلَّم علىٰ رسول الله قال: السام عليكم، فقال الرسول: «**وَعَلَيكُمُ**»، قالت عائشة: وعليكم السام واللعنة، قال: «**لَا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِب الرفقَ**»[(١)].

انظر: يهوديٌّ ترفَّق به، إذا وَجَدَ منك هذا الرفقَ دفعه للإسلام، أو علىٰ الأقل يدفع الله بهذه الأخلاق العالية شرًّا كثيرًا مِن شر هذا، ويكون ذلك في صالِحِكَ وفي صالح الدعوة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٨٦).

أسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يرزقنا وإياكم العلمَ النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا من الدعاة إليه، المُخلِصينَ له في أقوالنا وأفعالِنا وأعمالنا، وأن يجعلنا هُداةً مَهدِيين، إن ربنا سميعُ الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

فضل العلم وأهله

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد أيها الإخوة والأبناء: فإن كلمتنا في هذه الليلة هي ما سمعتموه وقرأتموه في الإعلان في العلم وفضله، وفي العلماء وفضلهم -إن شاء الله-.

العلم من صفات الله -تبارك وتعالىٰ-، وهو وحده يختص بعلم الغيب والشهادة، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وعنده وحده ﷻ مفاتح الغيب، ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

هذا علم الله الشامل المحيط بكل ما في هذا الكون، من صغير وكبير، ومن حركة وسكون، حتىٰ الورقة تسقط من الشجرة يعلمها الله -تبارك وتعالىٰ-، ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ﴾ [الحشر:٢٢-٢٣] إلىٰ آخر هذه الأسماء الحسنىٰ التي ذكرها في آخر السورة، وصدَّرها بصفة العلم ﷻ.

والله -تبارك وتعالىٰ- يمتنُّ علىٰ الإنسان بأنه علَّمه البيان، وفي أول سورة أنزلها الله -تبارك وتعالىٰ- يمتنُّ الله علىٰ الإنسان بأنه علمه ما لم يعلم: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥].

فالأنبياء والعلماء والصالحون والصدِّيقون كلُّهم علَّمهم الله -تبارك وتعالىٰ-، وما عِلمهم بالنسبة إلىٰ علم الله إلا كقطرة من بحر.

وحينما رحل موسىٰ ﷺ إلىٰ الخضر ﷺ ليتعلم منه -وهو كليم الله، ونبيه، وصفيه- لما ركبا في السفينة، ورأيا طيرًا يأخذ من البحر، فقال الخضر عليه السلام: «**ما علمي وعلمك إلىٰ علم الله إلا مثل ما يأخذ هذا العصفور من هذا البحر**»(١)، علم الله الواسع الشامل.

والأنبياء أعلم الناس وأعلم الخلق بالله -تبارك وتعالىٰ-، وأعلم الناس مطلقًا في كل شأن -إن شاء الله-.

والله -تبارك وتعالىٰ- يمتنُّ علىٰ الأنبياء بالعلم، يمتنُّ عليهم بنعمه، ولكن أفضل ما امتنَّ الله به علىٰ الأنبياء هو العلم، ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

هذا قاله الله في نبينا محمد ﷺ، وأمره أن يطلبه الاستزادة من العلم، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، ولم يطلبه الزيادة من شيء إلا من العلم.

وقد زهده في الدنيا، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨]، صلوات الله وسلامه عليه.

وكذلك امتنَّ الله وبيَّن الله فضائل الأنبياء، موسىٰ ويوسف وداود

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بكر بن كعب رضي الله عنه.

وسليمان وعيسىٰ عليهم السلام بأن الله آتاهم العلم والحكمة؛ فقال في موسىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:١٤]، حكمًا: الفقه في الدين، والعلم: علم الوحي الذي أوحاه الله -تبارك وتعالىٰ إليه-.

وقال في يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف:٢٢].

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٨-٧٩].

فالله -تبارك وتعالىٰ- يمتنُّ علىٰ أنبيائه ويبين فضلهم، وأنه آتاهم هذا الفضل العظيم، وهو الفهم والعلم، فهذا أفضل ما في الإنسان من صفات: العلم والفهم والعقل.

وهي كذلك في الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، لأن العلم من علم الله، علم الوحي الذي أوحاه الله -تبارك وتعالىٰ- إلىٰ هؤلاء الرسل، أكرمهم بهذا العلم -وهو الوحي- في الكتب التي أنزلها إليهم، والرسالات التي أنزلها عليهم، وكلَّفهم بتبليغها، وبثها ونشرها في الناس، ليسعدوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والله -تبارك وتعالىٰ- امتنَّ علىٰ هذه الأمة ببعثة هذا الرسول، ومن ضمنها: العلم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

فهم كانوا في ضلال مبين، وفي جاهلية جهلاء، فابتعث الله فيهم محمدًا ﷺ بهذا الكتاب، وبهذه الحكمة وهي السنة، ما امتن عليهم بهذه الدنيا، وما بشيء من هذه الدنيا إلا ببعثة هذا الرسول، وبالعلم الذي جاء به يعلمهم، ويزكيهم، ويطهرهم به من أدناس الشرك والجهل والضلال الذي كانوا يتخبطون فيه.

فما هناك نعمة علىٰ الإنسان أفضل من العلم الذي جاء به الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، لأن سعادتهم تتوقف علىٰ هذا العلم، إذ نجاتهم من النار وخروجهم من ظلمات الحياة التي يعيشون فيها وظلمات الجهل لا يكون إلا بنور العلم الذي يوحيه الله -تبارك وتعالىٰ- إلىٰ الأنبياء، وأفضلهم محمد -عليه الصلاة والسلام-، وأفضل الرسالات رسالة محمد -عليه الصلاة والسلام-.

والله أرسل محمدًا ليخرج الإنسانية كلها من الظلمات إلىٰ النور، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ كل الناس ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١]، فصلوات الله وسلامه عليه.

وقد تحقق من ذلك شيء عظيم، فأخرج الله به شعوبًا من ظلمات الجهل والشرك والكفر، فهذا العلم هو الوحيد الذي يخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور.

هذه العلوم الكثيرة التي عرفها الناس الآن ما أخرجتهم، ما زادتهم إلا ظلمات فوق ظلمات، هذه العلوم وهذه الاختراعات وهذه الفنون التي

يتفنون فيها في الطب والهندسة والكيمياء .. إلخ ما زادتهم إلا جهلًا علىٰ جهل، وضلالًا علىٰ ضلال، وكبرًا وعلوًّا في الأرض.

لم يستضيئوا بنور هذا الوحي، لو أخذوا بهذا الوحي وبهذا النور وبهذا العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام- لخرجوا من هذه الظلمات الحالكة التي يعيشونها، والتي هم فيها أضل من الأنعام.

واللهِ ما انحدر الإنسان في عصر من العصور كما انحدر في هذا العصر الذي يسمونه «عصر العلم»، لأنهم لم يأخذوا العلم الذي جاء به محمد ﷺ، فما ازدادوا إلا جهلًا علىٰ جهل، وظلمًا علىٰ ظلم، وفسادًا علىٰ فساد، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١].

فلم يظهر الفساد في البر والبحر كما ظهر في هذا الوقت، والإنسان يدعو ويتفاخر ويقول: هذا عصر العلم، عصر النور، وهو عصر الظلمات، تراهم كالحيوانات، تراهم يعيشون حياة أحط من حياة القرود، من النذالة والدياثة التي يعيشونها، لجهلهم بهذا العلم، ولبعدهم عن هذا النور، ولتخبطهم في ظلمات الحياة التي يظنون أنهم علىٰ علم، وأنهم في عصر الرقي وعصر التقدم، وهم في عصر الهبوط والسفول -والعياذ بالله-، فلن يرتقوا ولن يتقدموا إلا بهذا العلم الذي جاء به محمدﷺ.

فلنعرف قدر ما عندنا، هذا العلم الذي يتجاهله كثير من الناس، ويحطون من قدره، ولا يرون هذا العلم شيئًا، والذي يتعلم علوم الشريعة عندهم قاصر ومتخلف، لماذا؟ لأنه لا يعلم الطب ولا الهندسة ولا شيئًا من هذا!

الطب والهندسة والكيمياء إذا لم تخضع لهذا العلم الذي جاء به الأنبياء فليست شيئًا، ما تزيد الناس إلا فسادًا، العلم الذي يأتي به الأنبياء لإصلاح الناس، ولهدايتهم، وإخراجهم من الظلمات التي يعيشونها من ظلمات الكفر والجهل، وهذه العلوم لا تقدم ولا تؤخر في هذا الميدان، الذي يقدم ويؤخر في هذا الميدان هو العلم الذي جاء به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، لاسيما العلم الذي جاء به محمدﷺ، العلم المهيمن علىٰ جميع ما جاء به الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-.

فإذن العلم الذي جاء به محمدﷺ ننهل من نميره من حياض الكتاب والسنة، العلم الذي مدح الله به العلماء هو هذا العلم الذي جاء به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

أما العلم الذي يأتي به الفلاسفة والزنادقة فذلك مما يصدق عليه قوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [غافر:٨٣]، هو هذا العلم الذي يتفاخر به الناس، ويتباهون به الآن، إن كان الطب والهندسة وعلم الفلك والسياسة والاقتصاد موجودة عند الناس، فلما يأتهم الأنبياء ليخرجوهم من ظلمات الجهل إلىٰ نور العلم والإيمان يفرحوا ويتباهوا بما عندهم من العلم ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

قارون قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص:٧٨]، تَنكر عليه، لأنه لايحب أن يتصرف في ماله بحسب أمر الله، وبحسب وحي الله، ﴿قَالَ إِنَّمَآ

أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾، استخرج هذا العلم من عنده -نعوذ بالله-.

كذلك قوله -جلا وعلا-: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٣].

﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٤٩]، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ ﴾، فهذه العلوم علوم فتن إذا لم تخضع للعلم الذي جاء به محمدﷺ وتكون خادمة له.

فعلينا أيها الشباب أيها المسلمون بالعلم الذي جاء به محمدﷺ، يجب أن نشترك فيه جميعًا، الطبيب والمهندس والكيماوي لابد أن نأخذ حظًّا من العلم الذي جاء به محمدﷺ، علىٰ الأقل يُؤخَذُ منه فرض العين، لأن العلم ينقسم إلىٰ: فرض عين، وإلىٰ فرض كفاية.

فرض العين علىٰ كل شخص يجب أن يتعلمه، الكفار يجب أن يدخلوا في الإسلام، ويتعلموا ما جاء به الرسل وما جاء به خاتم النبيين ما تقوم به حياتهم، وما تتحسن به صلتهم بالله -تبارك وتعالىٰ-، وما يعبدون الله به علىٰ بصيرة، لابد من هذا.

ثم بعد ذلك يجب أن يوجد في هذه الأمة علماء بهذا العلم الذي جاء به محمد ﷺ، يستوفون هذا العلم الذي جاء به محمد ﷺ، وهو فروض الكفايات التي لابد منها للأمة، ولا تستقيم حياة الأمة إلا بوجود علماء يقومون بعلم فرض الكفاية، نحتاج إلىٰ قضاة، نحتاج إلىٰ مفتين، نحتاج إلىٰ

مدرسين في العلوم الإسلامية.

فلابد بعد أن نتعلم، هذا القاسم المشترك بين جميع الأمة، لابد أن نبرز رجالًا في هذه الميادين ، فبعضهم يستطيع أن يبرز في عديد من الميادين، عنده طاقات، عنده إمكانيات، يستطيع أن يبرز في الحديث والفقه والتفسير وغيرها، وقد يشارك في الطب، وقد يشارك في علوم أخرىٰ، طاقات ومواهب عند كثير من الناس.

وعندنا نماذج من علماء الإسلام متبحرين متوسعين في علوم عديدة، ومن لم يستطع فعلىٰ الأقل أن يتخصص في فن واحد ويُبَرِّز فيه، لينهض بمصلحة الأمة، وليقوم بما تحتاج إليه الأمة.

ومن هنا نرىٰ أنَ الله -تبارك وتعالىٰ- ينزل العلماء منازل عظيمة جدًّا، منازل عالية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

فهذه ميزة عظيمة للعلماء، لأنهم يعرفون ما يتقون الله به، يعرفون أوامر الله التي ترضيه، ويعرفون النواهي والمحرمات التي تسخط الله -تبارك وتعالىٰ-، فيقومون بهذه الواجبات انطلاقًا من هذا العلم، ويبتعدون عن تلك المحظورات والمحرمات التي يسخطها الله ويغضب منها.

إذن، فهم يخشون الله -تبارك وتعالىٰ-، لأنهم يعرفون مواضع تقواه، يعرفون ما يتقون، بخلاف الجهلاء، الجاهل يتخبط لا يميز بين الحلال والحرام، ولا بين الحق والباطل، ولا بين الواجب والمحرم، ولا بين الواجب والمندوب،

ولا بين هذا وذاك.

فلا ينبغي لمسلم أن يكون علىٰ هذا المستوىٰ، بل يتعلم قدرًا يخرج به من الجهل المطبق إلىٰ نوع من العلم يكون فيه شيء من البصيرة، بحيث إنه يستطيع أن يعرف الحلال والحرام، وخصوصًا كبائر الإثم، يجب أن يعرفها كل مسلم، مثل: تحريم الخمر، والزنا، والسرقة، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات، وغيرها من الكبائر المحرمات.

يجب أن يعرفها، ويعرف أركان الإسلام، وأركان الإيمان، ويعرف معنىٰ التوحيد، ويخلص التوحيد لله -تبارك وتعالىٰ-، ويتعلم من العلم ما لا يعذر إن جهله، ما لا يقبل الله -تبارك وتعالىٰ- عذره فيه، خصوصًا بعد أن انتشرت رسالة محمد ﷺ في هذا العالم وفي هذه الآفاق.

فلا يبقىٰ لأحد عذر في أن يجهل شيئًا من توحيد الله -تبارك وتعالىٰ-، ولا شيئًا من أركان الإسلام، ولا شيئًا من أركان الإيمان، وإن كان لا يلزمه تفاصيل أدلة هذه الأركان وتلك الكبائر المحرمات، ولكن يجب أن يعرف هذه الأمور -هذه الأركان، وهذه المحرمات الكبيرة-، فإنه لا يسع مسلمًا جهلها.

وقد بين العلماء ذلك، وقالوا: إن هذه الفروض أعيان لابد أن يعرفها كل مسلم، لا تسقط عن أحد كائنًا من كان، إلا أن يكون معتوهًا، أو يعيش

في غابات، أما أنه يعيش في البلدان وحواضر الإسلام وأرياف المسلمين فهذا يلزمه معرفة هذه الأشياء التي نصوا عليها، لابد من أن يعرفها كل أحد.

إذن، كل مسلم لابد أن يكون عنده قدر من العلم يقربه إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، ويؤهله لدخول الجنة، ونيل رضوان الله -تبارك وتعالىٰ-، ويبعده عن النار ويزحزحه عنها، ويبعده عن مساخط الله -تبارك وتعالىٰ-.

ولفضل العلماء يقرن الله -تبارك وتعالىٰ- شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

هذا يدل علىٰ مكانة أهل العلم، وعلىٰ عظم العلم، لأن الله -تبارك وتعالىٰ- ما استشهدهم وقرن شهادته بشهادته وشهادة ملائكته إلا لأنهم تميزوا بالعلم، علم توحيد الله -تبارك وتعالىٰ-، وعلم الحلال والحرام، ولكن هنا يبرز علم التوحيد، فلنتعلم علم التوحيد، حتىٰ نؤهَّل لأن نكون من الشهداء لله -تبارك وتعالىٰ- بأن لا إله إلا هو القائم بالقسط ﷻ.

نعرف الله -تبارك وتعالىٰ- بأسمائه وصفاته وجلاله وعظمته، بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، فإن هذا أعظم العلوم، ونشهد بأن لا إله إلا هو، لا يستحق العبادة إلا هو، فلا إله إلا هو العزيز الحكيم، لا ند له، ولا ضد له، ولا شريك له ﷻ.

كما أنه لم يشاركه أحد في خلق ذرة من هذا الكون وفي شيء من تدبير

هذا الكون وتنظيمه لا يشاركه أحد، ولا ند له في شيء من العبادات حتىٰ في ذرة من ذرات العبادات، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فلا يُدَعىٰ إلا هو، ولا يُصلَّىٰ إلا له، لا يُسجَد ولا يُركَع إلا له، ولا يُخشَع ويُخبَت إلا له ﷻ، ولا تعنو الوجوه إلا له، ولا تذل الأعناق والقلوب إلا لجلاله وعظمته ﷻ، وكل من في السموات والأرض يشتركون في هذا، الأنبياء والملائكة والصالحون لا يخرجون عن دائرة العبودية والذل والخضوع والإنابة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-.

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٩٣-٩٥].

أجل والله، يأتي كل واحد وحيدًا، ويسألهم الله -تبارك وتعالىٰ-، حتىٰ الأنبياء، ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ [الأعراف:٦-٧]، في ذلك اليوم الذي قال الله -تبارك وتعالىٰ- فيه: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه:١١١].

كل الوجوه كل الأنبياء والملائكة تعنو لعظمة الله ولجلاله ﷻ، وفي هذه الحياة يجب أن تعنو الوجوه لعظمة الله وجلاله، وأن تذل أمام جبروته وعظمته وكبريائه ﷻ.

فعلم التوحيد لابد أن يعرفه المسلمون، وكذا الشرك، الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ- أخطر ذنب عصي الله به، الأنبياء جاءوا بأعظم العلوم وهو

علم التوحيد، وجاءوا محذرين ومنذرين عن أكبر الظلم وهو الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ-، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣]، هذا أعظم ما جاء به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

هذا الذي أعرض عنه الدعاة اليوم، لا وزن له عند كثير من الدعاة، وأول شيء يفرون منه، ويتهربون منه هو علم التوحيد، وأول ميدان يفرون منه في مواجهة الأمة هو الشرك الأكبر، لا ينذرون الناس ولا يحذرونهم هذا الخطر الخطير، أخطر خطر عرفته الإنسانية لا يحذرون منه، وأعظم ما جاءت به الأنبياء مبشرة به هو توحيد الله -تبارك وتعالىٰ- لا يبشرون به، ويرون أعظم شيء في هذه الحياة هو السياسة، السياسة التي يشارك فيها الشيوعيون واليهود والنصارىٰ.

الذي تنفرد به هذه الأمة وتمتاز به هو علم التوحيد، الذي تمتاز به هذه الأمة أن تكون مخلصة لله -تبارك وتعالىٰ-، أن يكونوا مخلصين لله، أن تُطهَّر الساحات الإسلامية كلَّها من أقذار الشرك وأدرانه، فلا أقذر في الوجود من الشرك، ولا وحل أوسخ وأقذر من الشرك بالله، فلماذا لا نطهر الأمة من هذه الأقذار وهذه الأوحال؟

لماذا يتجاهل هؤلاء الدعاة هذه الأقذار التي يتخبط فيها الناس، ويحقِّرون من شأنها، ويقللون ويهونون من شأنها، وهي قذارة لا نظير لها؟

فيجب أن يتنزه المسلمون من أقذار الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ- ومن أدناسه، وأن يخلصوا لله، فيكونوا أنظفَ الناس، وأطهرَ الناس، وأنقىٰ الناس،

وأصفىٰ الناس، بهذا يمتاز المسلمون.

فإذا كانت القبور في العالم الإسلامي تفوق أوثان المشركين من اليهود والنصارىٰ فما هي ميزتهم علىٰ هذه الأمم؟

إذا كان العالم الإسلامي الذي مساجد المسلمين فيه تكتظ بالقبور التي لعنَ رسولُ الله من اتخذها مساجد، ولعن، وشدد، وحذر، تمتلئ كثير من مساجد المسلمين بالقبور ولا يحرك هؤلاء الدعاة أي ساكن تجاه هذه الأقذار وهذه الأوساخ وتجاه هذه الوثنية فأي خيانة للأمة؟ وأي غش للأمة يعدل هذا الغش وهذه الخيانة؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ البينات: التوحيد، والتحذير من الشرك بالله يا أمة الإسلام.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ البينات التوحيد، والهدىٰ الذي يخرج من الشرك.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة:١٥٩].

فاتقوا الله يا دعاة الإسلام، أنقذوا المسلمين من أخطر الأخطار، وارتفعوا بهم إلىٰ أعلىٰ صعيد في هذه الحياة، صعيد توحيد الله -تبارك وتعالىٰ-، فإنه لا قمة أعلىٰ من قمة التوحيد، أعظمُ قمة في الوجود قمةُ التوحيد، وأدنىٰ وأسفل هوة هي هوة الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ-.

فكثير من المسلمين واقعون في هوة الشرك، وفي ظلمات الشرك، وفي أقذار الشرك، ثم لا يزحزحون، ولا يحاول كثير من الناس إنقاذًا! بل يُرَسِّخُون هذه الأقذار في نفوس المسلمين، يربتون علىٰ أكتافهم، ويقولون لهم: ما نقاتل إلا اليهود والنصارىٰ! أنتم مسلمون فصاروا أذل الناس!!!

اليهود والنصارىٰ والهندوك متسلطون علىٰ المسلمين واللهِ بسبب هذا الشرك، بسبب هذا الضلال، أعظم الذنوب هو الشرك، فإذا كنا نحن واقعين في أعظم الذنوب فلن يتولانا الله أبدًا، ولن ينصرنا، بل يسلط علينا هؤلاء، فإلىٰ التوحيد.. إلىٰ التوحيد يا معشر المسلمين، وفرارًا من الشرك ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠].

أعظم ما نفر منه إلىٰ الله، الشرك، إذا لم نفر من الشرك من ماذا نفر؟! من ماذا نفر إذا كنا نتهاون بخطورة بالشرك؟ أعظم الذنوب نتهاون فيه فمن أي شيء نفر؟!

ولو فررنا من الربا ومن الزنا و.. إلخ هذا فرار إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، ولكن واللهِ لن ننجو من النار ولن نستحق الشفاعة، شفاعة هذا الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- إلا بالتوحيد، هذا أبو هريرة يسأل: من أولىٰ الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ من أحق الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: **«يَا أَبَا هُرَيرَةَ، كُنتُ أَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَسأَلُنِي أَحَدٌ قَبلَكَ؛ مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِن قَلبِهِ»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الذي يدعو غير الله، ويذبح لغير الله، ويستغيث بغير الله، ويطوف حول القبور، ويسجد للقبور، ويعتقد في الأولياء أنهم ينفعون ويضرون هل قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه؟ هل قالها صادقًا؟

كلا واللهِ، ثم كلا واللهِ ما قالها صادقًا، ولا خرجت خالصة من شفتيه، لأنه يقول لا إله إلا الله وعنده فلان يُدعىٰ ويُذبح له، فهذا يهدم معنىٰ لا إله إلا الله.

يا إخوتاه، التوحيد.. التوحيد، نحن لا نتكلم في موضوع من المواضيع إلا ونتكلم في توحيد الله، لأننا نرىٰ كثيرًا من المسلمين واقعين في أخطر الأخطار، والذي يتحمل مسئولية هذه الملايين وهذه القوافل التي يذهب كثير منها إلىٰ النار يتحمل مسئوليتهم هؤلاء الدعاة الذين يكتمون أعظم ما أنزل الله، ويكتمون أعظم البينات، وهي آيات توحيد الله -تبارك وتعالىٰ-، الآيات التي أوحاها إلىٰ جميع الأنبياء، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

باللهِ هل الدعاة يشرحون هذه الآية؟ يشرحون آيات التوحيد وآيات الشرك ويبينونها للناس؟

أبدًا لا يشرحونها، بل يحاربون من يدعو إلىٰ التوحيد، ويحقرون من شأن التوحيد، ويزعمون أن الدعوة إلىٰ التوحيد والتحذير من الشرك يفرق الأمة، علىٰ ماذا تجتمع؟ تجتمع علىٰ الشرك والبدعة والخرافة؟ ماذا نستفيد

إذا اجتمعت الأمة علىٰ الشرك والبدع والخرافات؟

واللهِ الشيوعيون قد يبلغون ألفي مليون، ماذا يفيدهم هذا إن اجتمعوا؟ فيهم أكثر من ألف مليون ماذا يفيدهم هذا الاجتماع؟ الهند قرابة ثمانمائة مليون ماذا يفيدهم الاجتماع علىٰ الشرك؟

فإذا أخذ المسلمون يجتمعون علىٰ الخرافات والشرك بالله ماذا يستفيدون؟

إذا كان الوثن يقابله ثلاثة قبور، أربعة قبور ماذا يستفيد المسلمون؟

وكيف يهتدي هذا الكافر ويخرج من ظلمات الشرك وهو يرىٰ أمامه أوثان المسلمين؟!

أنا واللهِ كنت في بنارس أدرِّس في مسجد في جامعة بنارس الجامعة السلفية بالهند، وأمامي واللهِ شجرة تعبد، وأمامي البقر يمشي، وهم يعبدون الأبقار، وأمامي قبور لهؤلاء يسمون أنفسهم مسلمين؛ فقلت: والله لو عندنا قوة لقطعنا هذه الأشجار، ولذبحنا هذه الأبقار، ولهدمنا هذه الأحجار.

الأحجار للمسلمين، والأبقار والأشجار للهنادك!

فإذا كان المسلم عنده وثن والكافر عنده وثن بماذا تتميز عنه؟ لأي شيء تدعو؟ أنت تعبد قبرًا وأنا أعبد وثنًا!

فلابد أن تهدم هذه القبور، وقد أمر رسول الله بهدمها -عليه الصلاة والسلام-، وكان يقض مضجعه هذه القبور -عليه الصلاة والسلام-، وعند

موته والله هذا الأمر يقض مضجعه -عليه الصلاة والسلام-.

كما يروي ابن عباس وتروي عائشة رضي الله عنهما في الصحيحين، أن النبي ﷺ حينما حضرته الوفاة كان يضع خميصة على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها ثم قال: «لَعنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ» يحذر ما صنعوا[1].

ويروي جندب رضي الله عنه أن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- قال قبل أن يموت بخمس ليال -قال-: «إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبرَاهِيمَ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُم خَلِيل الله، وَلَو كُنتَ مُتَّخِذًا مِن أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذتُ أَبَا بَكرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي» عليه الصلاة والسلام «أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنهَاكُم عَن ذَلِكَ»[2].

أين هذه التعليمات وهذه التوجيهات؟ تذهب هكذا سدىٰ وتتبخر؟!!

هذه التعليمات فهمها الصحابة، فهموا أن الرسول ﷺ يحذر، قالت عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: يحذِّر ما صنعوا. يحذِّر الأمة ما صنعوا، فإذا كان اليهود والنصارىٰ يُلعَنون ويشتد غضب الله عليهم، «اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ»[3]، أحبوا الأنبياء فبنوا علىٰ قبورهم

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٣) أخرجه مالك مرسلًا (٤١٦) من حديث عطاء بن يسار، وصححه الألباني في «المشكاة» (٧٥٠).

مساجد، فاستحقوا اللعنات من الله -تبارك وتعالىٰ-.

كيف ينجو من يدنس أعظم دين ويقذره بالشرك بالله -تبارك وتعالىٰ- ويرتكب نفس ما فعلته اليهود؟!

فالآن لعنات الله تنصب عليهم، وغضب الله شديد عليهم وهم يبنون القبور علىٰ غير الأنبياء، من باب أولىٰ إذا كان الله ما قَبِلَ من اليهود أن يقدسوا الأنبياء ويَبنُوا عليهم مساجد كيف يقبلُ من غيرهم أن يبنوا علىٰ من دونهم؟!

هذا استطراد يا إخوتاه لمعنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وهو أمر لابد منه، ونحن نناشد بالله طلابَ العلم ونناشد بالله الدعاةَ ألا يخونوا هذه الأمة، وألا يكتموا هذه البينات وهذا الهدىٰ الذي أنزله الله علىٰ محمد -عليه الصلاة والسلام-، شرح التوحيد، بيان التوحيد من الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ-، فإن هذا العلم إذا فقدناه لا قيمة لكل العلوم.

والله لا قيمة للفقه، ولا لغيره، إذا ضيعنا العقيدة وضيعنا التوحيد ووقعنا في الشرك بالله لا فائدة لأي علم أبدًا، لو حفظنا القرآن وحفظنا الحديث وحفظنا كتب الفقه ونحن واقعون في ظلمات الشرك لا قيمة لنا، ولن نستفيد من هذا العلم.

إذن، لا نستفيد من القرآن ولا من السنة ولا من العلوم كلها إلا إذا شيَّدنا أركان التوحيد، وهدمنا قواعد الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ-، وأتينا عليها من جذورها.

نعود إلىٰ فضل العلم.. هذا العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-، الناس إزاءه ثلاثة أقسام، كما أخبرنا بذلك رسول الله -عليه الصلاة والسلام-:

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلمِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرضًا، فَكَانَ مِنهَا طَائِفَةٌ طَيبةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنبَتَتِ العُشبَ وَالكَلأَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنهَا أَجَادِبُ أَمسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَسَقَوا وَزَرَعُوا وَشَرِبُوا، وَكَانَ مِنهَا طَائِفَةٌ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمسِكُ مَاءً وَلَا تُنبِتُ كَلَأً.

فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَن لَم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا وَلَم يَقبَل هُدَىٰ اللهِ الَّذِي جِئتُ بِهِ»[1] -صلوات الله وسلامه عليه-.

فشبَّه الناس بهذه القطع من الأراضي، ناس يشبهون أو قلوبهم تشبه الأرض الخصبة، ينزل بها الماء فتزدان، وتهتز، وتنبت بأنواع النبات التي تقوم عليها حياة الإنسان والحيوان، من الحبوب والثمار وغيرها، مما تقوم عليه الحياة، فذلك مثل العالم الذي يقبل علىٰ هدىٰ الله الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-، وعلىٰ العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-، فيحفظ ويتفقه.

فمثل الأرض الطيبة مثل علماء الحديث وفقهاؤه، علموا وحفظوا وفقهوا في العلم الذي جاء به محمدﷺ، واهتدوا بالهدىٰ الذي جاء به محمد

(١) تقدم تخريجه (ص٣٩).

-عليه الصلاة والسلام-، فجمعوا بين الحفظ والعلم.

فهذه الطبقة الأولىٰ حفاظ الحديث وفقهاؤه، العلم الذي جاء به محمدﷺ اهتموا به، حفظوا القرآن، حفظوا السنة، استنبطوا منها الأحكام، استنبطوا منها القواعد، استنبطوا منها الأصول والحلال، والحرام، والمواعظ، والزواجر، والوعد، والوعيد، وعلوم التوحيد، وعلوم السنة، ثم هذه الأشياء علَّموها.

هؤلاء مثل الأرض الخصبة، ينزل المطر فيؤثر فيها فتنبت أنواع النباتات والزهور، فيستفيد الناس والأنعام منها، كذلك العالم يستفيد هذه العلوم من نصوص الكتاب والسنة ويضع للناس القواعد والعلوم، ويحكم الناس، ويبث هذا العلم، ويقدم المؤلفات والمحاضرات والندوات وإلىٰ غيرها، يقدم للناس هذا الخير الكثير، يستفيد ويفيد، مثل الأرض تشرب، ثم تقدم للناس، وتطرح لهم هذا الخير.

وناس مثل الأجادب، وهي الأرض الصلبة التي تمسك الماء، هذا يحفظ القرآن، ويحفظ الحديث، وعنده شيء من الفقه ولكنه محدود، لكن الحفظ -ما شاء الله!- حفظوا هذه النصوص للناس، ثم بلغوها الناس، فاستفاد منه الناس شبههم رسول الله ﷺ بالأجادب التي تمسك الماء فيزرع الناس منه ويسقون زروعهم وأنعامهم، ويشربون أنفسهم .

وقد يخرج الله من هذا العلم «رُبَّ مُبَلَّغٍ أوعَىٰ مِن سَامِعٍ»[1]، فيخرج به

(١) تقدم تخريجه (ص٨٣).

علماء من الطراز الأول ومن الطائفة الأولىٰ التي تحفظ وتتفقه وتستخرج العلوم والقواعد والأصول وما شاكل ذلك، هذا الصنف الثاني.

الطائفة الثالثة: تشبه الأرض السبخة التي لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً، هؤلاء لا يأتون بالقرآن ولا بالسنة، معرضون عن دين الله، لا يحفظون ولا يتفقهون، فهؤلاء كما يقال: هم الأشقياء، وهم الغثاء -والعياذ بالله-، الذي يعرض عن دين الله -تبارك وتعالىٰ- لا يحفظ شيئًا ولا يفقه في دين الله لا خير فيه، هذا من الأشقياء -نعوذ بالله-.

مثل الأرض السبخة التي لا تستفيد، ولا تفيد، لا تشرب ماء، ولا تحفظ ماء، ولا ينبت فيها كلأ، ما تزيد الناس إلا شرًّا وبلاءً، وكذلك الذي لا يهتدي بهدىٰ الله، ولا يرفع رأسًا بما جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام- من العلم، هذا ما يكون إلا شرًّا علىٰ الناس ووبالًا عليهم في هذه الحياة -ونعوذ بالله-.

فالناس ثلاث طوائف أمام هذا العلم، فلنكن أيها الإخوة من الطائفة الأولىٰ إذا استطعنا ممن يحفظ دين الله، يحفظ نصوص الشرع، ويتفقه فيها، ومن لا يستطيع فعليه أن يحفظ من هذه النصوص، ومن القرآن الكريم، ويعلمه الناس، يعلمهم ويفقههم بقدر ما عنده من الفقه.

فإن الناس يتفاوتون في هذا الفقه، فرجل يستطيع أن يستخرج من النص الواحد عشرات المسائل، ورجل قد يخرج من النص الواحد مسألة أو مسألتين، واللهُ فرّق بين العباد ﷻ، فرّق بينهم في الحفظ، والفقه والعلم، ولكن لا نكون من أشقىٰ الناس -والعياذ بالله- بالإعراض عما جاء به محمد

-عليه الصلاة والسلام-، فليأخذ كل واحد منا ما يستطيع من هذا العلم، وعلىٰ الأقل يأخذ منه ما يسقط به عنه فرض العين، فلا يبقىٰ مطالبًا بفرض العين الذي تعين عليه.

هذا حديث مثلٌ للعلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-، وهو القرآن والسنة، فالعلم إذا أطلق والهدىٰ إذا أطلق فإنما هو العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥].

ونعم العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-، وهو العلم الذي أكمله الله -تبارك وتعالىٰ-، وهو الدين، وهو الإسلام، وهو الإيمان، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

هذا العلم يلزمنا يا إخوتاه فيه الإخلاص، إذا تعلمنا العلم لابد فيه من الإخلاص لله -تبارك وتعالىٰ-، لأنه عبادة.

وقد قال الشافعي وأحمد في رواية عنه ومالك: «إن تحصيل العلم أفضل من الصيام والصلاة والصدقة»(١)، أفضل أنواع التطوعات العلم، تعلم فروض الكفايات، فروض العين هذا يشترك فيه كل المسلمين.

---

(١) «مفتاح دارالسعادة» لابن القيم (١/ ١١٩-١٢٠ و١٧٧-١٧٨)، وانظر: «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١/ ٦٢-٦٣)، و«المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٢/ ٣٥-٤٦)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٨ و٤١-٤٥).

لكن تعلم فروض الكفايات للقيام بمصالح العباد هذا تعلمه أفضل من الانقطاع للعبادة، رجل عابد يصوم ويصلي ويقوم الليل ويصوم النهار وواحد منقطع لتحصيل العلم هذا أفضل من ذاك، هذا المتعلم، والعالم والذي يجتهد ليقدم للأمة ما يهديها، ويرشدها، ويسددها في مسالك الحياة خير من ذاك الذي يتعبد وعبادته قاصرة عليه ونفعه قاصر عليه.

أما هذا فنفعه ينتشر في الأمة، ويفيد الأمة، ويهدي به الله ضالًّا، وينقذ به جاهلًا، ويخرج هذا من الشرك، وهذا من البدع، وهذا من الضلال، وهذا من الجهل خيرٌ آلافَ المرات من ذلك العابد الذي نَفعُهُ قاصر عليه.

ويظهر هذا من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَبتَغِي فِيهِ عِلمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلمِ، رضًا بِمَا صَنَعَ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَستَغفِرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرضِ حَتَّىٰ الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنبِيَاءَ لَم يُوَرِّثُوا دِينارًا وَلَا دِرهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلمَ، فَمَن أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[١].

هذا حديث عظيم، وقد حَسَّنه الترمذي وغيره، وهو حديث حسن، ويصلح للاحتجاج.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٣).

ففيه: «مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَبتَغِي فِيهِ عِلمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ»، من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله، فهو مجاهد في سبيل الله، وقد يكون طلب العلم أفضل من الجهاد، والثبات علىٰ العلم والسنة والتوحيد أفضل من الضرب بالسيوف، كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام[1]، هذا العلم علم محمد -عليه الصلاة والسلام- العلم الذي ورَّثه لنا الأنبياء، ووارثهم محمد -عليه الصلاة والسلام-، من خرج في طلبه سهل الله له طريقًا إلىٰ الجنة.

والملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، الملائكة ما تضع أجنحتها لا للملوك ولا للتجار، ولا لطلاب الدنيا، ولا لغيرهم، ولا حتىٰ للعُبَّاد، ولا للصالحين، حتىٰ للمجاهدين ما تضع أجنحتها، بل تضع أجنحتها لطالب العلم، هذا تكريم من الله -تبارك وتعالىٰ- لطلاب العلم، وتشجيع لهم، ولا نستبعد ذلك، فإن للملائكة بأمر الله عناية بالمؤمنين.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ العلماء من باب أولىٰ ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر:٧].

كيف نتوب وكيف نتبع سبيل الله إذا كنا جَهَلَةً؟ والله ما نتوب إلىٰ الله

(١) رواه الصابوني في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص١٩٨- بشرح المؤلف ربيع المدخلي)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤١٠). ولفظه: عن أبي عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «المُتَّبِعُ لِلسُّنَّةِ كَالقَابِضِ عَلَىٰ الجَمرِ، وَهُوَ اليَومَ عِندِي أَفضَلُ مِن ضَربِ السَّيفِ فِي سَبِيلِ اللهِ».

حق التوبة، ولا نتبع سبيل هؤلاء إلا إذا كان عندنا علم وعندنا بصيرة، فهذه منزلة طالب العلم، تَحُفُّه الملائكة، وتضع له أجنحتها.

قوله ﷺ: «مَا اجتَمَعَ قَومٌ فِي بَيتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَقرَءُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَينَهُم، إِلَّا حَفَّتهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتهُمُ الرَّحمَةُ، وَنَزَلَت عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِيمَن عِندَهُ»[1]، هذا يشهد لذلكم الحديث أن للملائكة عناية بالعلم، وبدراسة كتاب الله، وبدراسة سنة رسول الله ﷺ.

وقد قال بعض العلماء: «أنصح خلق الله لعباد الله هم الملائكة»[2]، فلهذا يحضرون مجالس العلم، ولهذا يضعون أجنحتهم لطالب العلم، رضًا بما يصنع.

وكل من في السماء والأرض يستغفر للعالِم، سبحان الله! لماذا؟ لأنه يُعنىٰ بمصالح العباد، فيسخر الله له مخلوقاته، حيث إنه معتنٍ بمصالح عباده بمصالح البشر، ينقذ بعون الله ضالًّا، ويهدي ويعلم جاهلًا، ما دام يتعلم لهذا الغرض.

الذي يتعلم يريد غرضًا من أغراض الدنيا لا ينال شيئًا من هذا، هذا لطالب العلم المخلص الذي يتمتع بهذه الأهداف، ويحمل هذه الهموم

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٠٨) عن مطرف بن عبد الله الشخير. وذكره ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٢٣).

للأمة، يريد أن ينقذ الناس من الجهل، يخرجهم من الظلمات، من ظلمات الجهل والشرك والبدع إلىٰ التوحيد والإيمان، إلىٰ نور الحق، يخرجهم من ظلم الباطل إلىٰ نور الحق.

إذا كانت هذه هي هموم طالب العلم وهذه أهدافه وهذه غاياته فإن الله -تبارك وتعالىٰ- يعتني به هذه العناية، ويُسَخِّر له الملائكة تُعنىٰ به، ويكون له هذه المنزلة، يفضله علىٰ العابد.

«**فَضلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»، ويحله الله هذه المنزلة، فيجعله وارث الأنبياء، فهل الذي يطلب العلم للدنيا يكون وارثًا للأنبياء؟ كلا، فالأنبياء مخلصون، بل سادة المخلصين، جاءوا لإنقاذ الناس بهذا العلم الذي ابتعثهم الله -تبارك وتعالىٰ- به، ليخرجوا الناس من الظلمات إلىٰ النور.

فمن ترسم خطاهم بهذه المقاصد النبيلة، ولتحقيق هذه الأهداف التي يرنو إليها الأنبياء، وأول ما يرنو إليه الأنبياء وأول أهدافهم إخراج الناس من ظلمات الشرك بالله ﷻ، فالذي يتعلم العلوم كلها ولا يكون هدفه هدف الأنبياء -من إخراج الناس بإذن الله من ظلمات الشرك إلىٰ نور التوحيد- لا يكون من وُرَّاثهم، بل يكون من خصومهم وأعدائهم، خصوصًا إذا نَفَّر من توحيد الله -تبارك وتعالىٰ-، واستهان بتوحيده، وهوَّن من شأن الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ-.

فمن أراد أن يكون وارثًا للأنبياء فعليه أن يتعلم توحيد الله- تبارك وتعالىٰ-، ويدرك أنواع الشرك، ليحذر منه، ويحذر الناس منه، كما قال حذيفة ﷺ: «كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأل رسول الله عن الشر، مخافة أن أقع فيه»[١]، فالذي لا يتعلم صنوف الشرك كبيرها وصغيرها حتىٰ يحذرها ويحذر الناس فليس من وراث الأنبياء.

واللهِ من أخذ بهذا العلم أخذ بحظٍّ وافر، لاسيما إذا ركز علىٰ توحيد الله -تبارك وتعالىٰ-، الذي من أحرزه وكسبه فقد كسب كل خير، ومن فاته فقد فاته كل خير، ولو كان من أعلم الناس، ولو جمع علوم الدنيا كلها، لقد فاته كل خير إذلم يكن من وُرَّاث الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

وفي الحديث الآخر في الإخلاص: «**مَن طَلَبَ عِلمًا مِمَا يُبتَغَىٰ بِهِ وَجهُ اللهِ لِيَنَالَ بِهِ عَرَضًا مِن أَعرَاضِ الدُّنيَا لَم يَجِد عَرفَ الجَنَّةِ**»[٢].

الله أكبر! مع الأسف واللهِ نخاف علىٰ أنفسنا، ونخاف علىٰ كثير من طلاب العلم، وإنه يجب أن يجاهدوا أنفسهم ليخلصوا لله، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٥٩).

الدين يا إخوتاه هو هذا العلم وما اشتمل عليه من عبادات، فهذا يجب أن يخلصه لله، أعظم العبادات هذا العلم، أساس العبادات، فيجب أن نخلص فيه لله -تبارك وتعالىٰ-، ولا نطلبه لغرض من أغراض الدنيا فنحرم حتىٰ من رائحة الجنة -والعياذ بالله، ونعوذ بالله من ذلك-.

«إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقضَىٰ يَومَ القِيَامَةِ عَلَيهِ رَجُلٌ استُشهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلتُ فِيكَ حَتَّىٰ استُشهِدتُ. قَالَ: كَذَبتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلتَ لأَن يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجهِهِ حَتَّىٰ أُلقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمتُ العِلمَ وَعَلَّمتُهُ وَقَرَأتُ فِيكَ القُرآنَ. قَالَ: كَذَبتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمتَ العِلمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأتَ القُرآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ. فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجهِهِ حَتَّىٰ أُلقِيَ فِي النَّارِ» -والعياذ بالله-.

هذا مصير من يطلب العلم أو يجاهد لا يريد بذلك وجه الله.

وثالث الثلاثة هو: «وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيهِ وَأَعطَاهُ مِن أَصنَافِ المَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أَن يُنفَقَ فِيهَا إِلا أَنفَقتُ فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَد قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجهِهِ ثُمَّ أُلقِيَ فِي النَّارِ»[1].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٧).

هذا مصير من لا يخلص لله -تبارك وتعالىٰ- ويرائي بعمله، سواء كان مجاهدًا أو كان عالمًا، أو كان منفقًا باذلًا سخيًّا فيما يبدو للناس في سبيل الله -تبارك وتعالىٰ-.

فالإخلاصَ الإخلاصَ، الإخلاصُ واللهِ يحتاج إلىٰ جهاد، وكثير من العلماء كانوا أشد شيء يشكونه هو مغالبة النفس علىٰ عدم الإخلاص لله -تبارك وتعالىٰ-[1]، نفسك تغالبك تتفلت تريد شيئًا من الظهور، تريد شيئًا من مدح الناس، تريد شيئًا من ثناء الناس.

هذا يكافح ويجاهد ويكابد المشاق ليسدد هذه النفس الأمارة، ويوجهها إلىٰ الإخلاص لله -تبارك وتعالىٰ-، ويجرد نيته لله -تبارك وتعالىٰ-، و«**إِنَّمَا الأَعمَالُ بِالنياتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[2].

فمن نوىٰ بعلمه أو عبادته غرضًا من أغراض الدنيا، كمن هاجر يريد أن ينكح امرأة، يريد مالًا، ليس له من هجرته إلا ذلك، تعرف الشيء الذي ابتغاه فيفوته ثواب الله -تبارك وتعالىٰ-، فالإخلاص الإخلاص.

---

(١) روىٰ أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٥)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٣١٧، برقم ٦٩٢) عن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «ما عالجت شيئًا أشدَّ علي من نيَّتي، إنها تقلب عليَّ».

وقال أبو داود للإمام أحمد: «كَتَبتَ الحَدِيثَ بِنِيَّةٍ؟ قَالَ: شَرطُ النِّيَّةِ شَدِيدٌ، وَلَكِن حُبِّبَ إِلَيَّ فَجَمَعتُهُ». «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم يا إخوتاه نذهب إلىٰ شيء من لوازم طلب العلم، وهو: الأدب.

الأدب في تحصيل العلم، الأدب مع العلماء، والأدب مع أكابر الناس، قيل للملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وهو إمام: كيف تنظر للناس؟ قال: «الناس عندي ثلاثة: فرجل أكبر مني فهذا بمنزلة أبي، ورجل في سني فهذا بمنزلة أخي، ورجل دوني فهذا بمنزلة ولدي»(١).

فحال المسلم مع إخوانه تكون هكذا ينزل الناس هذه المنازل، وطالب العلم يوقر الكبار، ويحترم أقرانه، ويرحم من دونه، فالذي يكبره في السن بمنزلة أبيه، والذي يساويه في السن أخوه، والذي دونه بمنزلة ولده.

وقد قال **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ اللَّهُ: «من استخف بالعلماء ذهب دينه، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بإخوانه ذهبت مروءته»(٢).

فعلينا يا إخوتاه أن نحيي هذه الآداب، وخصوصًا طلاب العلم، طلاب العلم يا إخوتاه علاقة الطالب بأستاذه هي في الصف فقط، علاقة رسمية، يسمع الدرس فإذا رن الجرس قفز! كأنه ما يعرف شيئًا، فلا يعرفه في بيت، ولا في مكان، فيقولون: العلماء نافرون من الطلاب!!

---

(١) انظر: كتاب «من شيم الملك عبد العزيز» (ج٤ص١٣٥) قوله: «يا أهل هذا البلد الطاهر المقدس إني أرىٰ الكبير فيكم كأبي، والوسط كأخي، والصغير كابني». بواسطة كتاب: «منهج الملك عبد العزيز» (ص٩٩- الشاملة)؛ تأليف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٤٤)، والذهبي في «السير» (١٧/ ٢٥٠-٢٥١).

يجب على الطلاب أن يتأدبوا مع العلماء، وأن يأتوا بيوتهم، يريدون من العلماء أن يركضوا وراء الطلاب؟! هذا ما عرفه السلف، فلما فقدنا الأدب فرضنا على العلماء أن يكونوا أتباعًا لنا.

كثير من الناس يريدون من العلماء أن يكونوا أتباعًا لهم يقودونهم كما يقودون الخرفان، لا يسمع ولا يرىٰ إلا إذا ذهبت إلىٰ بيته، والعالم ما يستطيع أن يلاحق ألوف الناس فيفيدهم، أما يذهب إلىٰ بيت كل واحد يقرع بابه فهذا ما شرعه الله وما أوجبه علىٰ العلماء.

الآن الشباب يقولون: واللهِ العلماء تخلوا عنا. يا أخي، واللهِ أنتم تخليتم عنهم، وناس آخرون يؤيدونهم، يقولون: العلماء قاعدون في بيوتهم، لماذا ما يعرفون حاجاتنا؟! يا أخي لو كنت منصفًا ومحبًّا للعلم لرحلت في طلب العلم من أهله ورغَّبت الناس في شد الرحال إلىٰ أهل العلم في طلب العلم المسافات الطويلة.

بل هذا رسول الله موسىٰ ﷺ: بَينَمَا مُوسَىٰ فِي مَلَإٍ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَل تَعلَمُ أَحَدًا أَعلَمَ مِنكَ؟ قَالَ مُوسَىٰ: لَا، فَأَوحَىٰ اللهُ ﷻ إِلَىٰ مُوسَىٰ بَلَىٰ عَبدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَىٰ السبِيلَ إِلَيهِ فَجَعَلَ اللهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدتَ الحُوتَ فَارجِع فَإِنَّكَ سَتَلقَاهُ. وقص الله لنا هذه القصة[1].

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾.

إلىٰ أن يقول: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، ثم: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٠-٦٧].

يعرض عليه عرض الطالب المؤدَّب، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، انظر الأدب، رحل موسىٰ -عليه الصلاة والسلام- وهو نبي مكلم رحل من أجل مسائل، هذا الخضر دونه، ولكن ما دام عنده علم لا بد أن يقوم موسىٰ بهذه الرحلة الشاقة علىٰ قدميه، ويتحمل هذا النصب، ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠]، سنين طويلة، أستمر ولو سنين وأحقابًا، لأصل إلىٰ هذا الرجل العالم!

العالم عنده مجلس في المسجد يجلس يعرض بضاعته، وتزهد فيه وتريد منه أن يقرأ عليك في بيتك! وكل واحد يريد من العالم أن يأتيه بيته، أين احترام العلم؟!

انظروا الذي يعرف قدر العلم، انظروا؛ نبي من أنبياء الله، نبي مكلم من أولي العزم يرحل ويصمم علىٰ هذه الرحلة الطويلة ولو أحقابًا وآمادًا طويلة،

وأنت العلم عندك في المسجد، ما تحضر فتتعلم.

فهذا الأدب الذي ضيعه كثير من الناس، بل كثير من الدعاة الجهلة لا يقبلون العلم إلا أن يخرجوا معهم، ووالله حتىٰ لو خرجوا معهم لا يقبلون منهم هذا العلم، لا يقبلون منهم هذا العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-، لا يقبلون علم التوحيد، ويفرضون رأيهم علىٰ العلماء، لابد أن يخرجوا، فهل هذا هو الأدب؟ وهل هذا هو احترام العلم؟

نبي من أنبياء الله يشد الرحال لأجل مسائل، وإلىٰ من هو دونه، وأنت تزهد في العلم وتقول: والله العلماء ضيعوا الناس! ويجعلون الناس يرددون: والله العلماء ضيعوا الشباب! العلماء تركوا الشباب!!

في أي عصر من العصور وجدنا العلماء يتراكضون إلىٰ بيوت الناس؟ بل ما وجدنا طلاب العلم إلا ويشُدُّون الرحال إلىٰ العلماء، بدءًا من الصحابة -رضوان الله عليهم-.

فهذا جابر بن عبد الله ﷺ يسمع برجل من أصحاب رسول الله في الشام عنده حديث واحد يشتري بعيرًا، ويركب البعير ويضرب بعيره إلىٰ الشام مسافة شهر ذهابًا وإيابًا لأجل حديث واحد.

رجلٌ يفتح لك البخاري، يفتح لك مسلمًا، أبا داود، الترمذي، النسائي، أو كتاب فقه، أو شيئًا من هذا، ثم تقول: لا، لابد أن يخرج معي، لابد يركض ورائي! ما شاء الله! إيش هذه المكانة لك عند الله ﷻ، فيجب

يا إخوتاه أن نعرف قدر العلم.

أبو أيوب الأنصاري ﷺ كذلك[1] عامر الشعبي يأتي رجل يسأله يقول: عندنا في خراسان يقولون الذي يتزوج أَمَتَهُ -الذي يعتق أمته ثم يتزوجها- كالحاج يركب بدنته، فيقول: حدثني أبو بردة بن أبي موسىٰ عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ، وعبدٌ أدىٰ حق الله وحق مواليه، ورجل اشترىٰ أمة فرباها وأدبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها**»[2].

فكل واحد من هؤلاء الثلاثة له أجران، ثم قال عامر الشعبي: اذهب، اذهب بها، فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلىٰ المدينة.

كان عامر الشعبي يعيش في العراق ويحكي واقع الأمة في ذلك العهد، الأمة التي تعرف العلم، وتعرف قدر العلم، وتعرف مكانة العلم، وتعرف مكانة العلماء، كان يرحل الرجل فيما دون هذا لأجل مسألة واحدة، وقد عرفتم أن كثيرًا من الناس كانوا يفِدُون إلىٰ النبي ﷺ يأتي يسأله: ما الذي يباعدني من النار ويدخلني الجنة؟ فيقول: «**أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ**

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/ ٢٢٨-٢٢٩)، والحميدي في «مسنده» (١/ ١٨٩ برقم٣٨٤)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٥٣)، والروياني في «مسنده» (١/ ١٤٩-١٥٠ برقم١٥٩)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص٤٠)، والخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» برقم (٣٤). انظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني (٢٣٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤).

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ...»[1]، يسمع هذا الكلام ويرجع، كثير، وغيره رحلوا إلىٰ النبي ﷺ.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، فُسِّرت الآية بمعنيين، المعنىٰ الأول: أن الناس لا ينفر كلهم لطلب العلم، فهذا يدل علىٰ عظمة العلم وعظمته، فربما الناس كلهم يتركون ويرحلون في يطلبون العلم.

فيقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، تذهب طائفة في طلب العلم وطائفة يشتغلون بمصالح هذه الحياة، وتذهب هذه الطائفة التي نفرت لطلب العلم، ويعود كل واحد إلىٰ قومه يعلمهم ما تعلمه من دين الله -تبارك وتعالىٰ-، ما تعلمه من الوحي، من العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-.

وقد جاء كما في حديث مالك بن الحويرث أنه نفر في عدد من قومه للنبي -عليه الصلاة والسلام-، فأقاموا عنده عشرين ليلة، ثم عرف رسول الله ﷺ أنهم قد اشتاقوا إلىٰ أهليهم؛ فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «ارجِعُوا إِلَىٰ أَهلِيكُم فَعَلِمُوهُم، فَإِذَا حَانَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّن أَحَدُكُم،

---

(١) أخرجه مسلم (١٣) من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ، ولفظه: «... تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة ...».

وَلِيَؤُمكُم أَكبَرُكُم»[١]، لأنهم متماثلون فيما حملوه من العلم من القرآن وغيره، فارجعوا إلىٰ قومكم وعلِّموهم.

ولما جاءه وفد عبد القيس سألوا رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، فعلمهم الإيمان والإسلام والخمس وما شاكل ذلك ثم قال: «احفَظُوهُ وَأَخبِرُوهُ مَن وَرَاءَكُم»[٢].

فهناك عام يسمىٰ عام الوفود كثر الوفود فيه علىٰ النبي ﷺ لماذا؟ كانوا يفِدون إليه ليتعلموا منه -عليه الصلاة والسلام-، هذا الذي عرفه الناس من عهد رسول الله -عليه الصلاة والسلام- إلىٰ عصرنا هذا، أن طلاب العلم يشدون الرحال من بلدان شاسعة إلىٰ بلدان أخرىٰ ليتلقوا العلم، وقد يرحل الرجل من أجل حديث واحد، وقد يرحل إلىٰ علماء فيتعلم من هذا وذاك، فيأخذ ما يَسَّرَه الله من العلم، ثم يعود نذيرًا إلىٰ قومه.

فلو أنا بَدَلَ أن نخرج جماعات وجماعات نقصُّ علىٰ الناس الحكايات والمنامات نتعلم ويَفِدُ الناس إلىٰ العلماء، وكل واحد أو كل مجموعة ترجع إلىٰ بلدها، فتنشر هذا العلم، وتبث هذا النور في بلدانها، لغطينا حاجة المسلمين في العالم الإسلامي كله، وما احتجنا إلىٰ أن نخرج قوافل وقوافل إلىٰ الدنيا كلها، ثم تكون الثمرة جهل علىٰ جهل وضلال علىٰ ضلال.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٨٧).

لو رحل الناس أفواجًا إلىٰ العلماء وتعلموا، وكل فوج يرجع إلىٰ قومه فيعلمهم لقضينا علىٰ الجهل، ولاستأصلنا شأفة الجهل، ولصارت الأمة كلها علىٰ علم وبصيرة، ولكن نأخذ الناس جهالًا ونرحل بهم في الآفاق، فيذهبون ويعودون إلىٰ أهليهم أجهل مما ذهبوا، فما تستفيد الأمة؟

هؤلاء يقولون للناس لا، الذي يريد أن يعرف حقيقتنا فليخرج معنا، حقيقتك أعرفها، تعال تعلم يا أخي، تعلموا، يأتون إلىٰ العلماء يتعلمون ثم يرجعون إلىٰ بلادهم علماء يعلمون الناس، وينشرون النور، وينشرون الهدىٰ، وينشرون العلم، فيضيء العالم الإسلامي بالعلم والعلماء، لكن ما عندنا عقول، ولا عندنا صدق في إنقاذ الأمة مما هي فيه من جهل وضلال.

حِيَل في حِيَل، يعيش معك الواحد عشرات السنين لا يعرف عقيدةً ولا فقهًا، سألت بعض المنتسبين لبعض الجماعات قلت: كم سنة قضيتم مع هؤلاء؟ قالوا: واللهِ اثنتا عشرة سنة. كم عندكم من العلم؟ قالوا: خير كثير. طيب! ما شروط لا إله إلا الله؟ ما عندهم جواب! ما هي نواقض لا إله إلا الله؟ ما عندهم جواب! ما معنىٰ لا إله إلا الله؟ قال واحد: عقيدة عقيدة عقيدة عقيدة، واللهِ تقول لي: مليون مرة عقيدة! ثم لا تعرف معنىٰ لا إله إلا الله ولا شروطها.

يا أخي، والله أنا سألتكم هذا السؤال ما أريد امتحانكم، لكن أريد أن أنبهكم، أريد أن تتعلموا، هذه الاثنتا عشرة سنة لو قضيتموها في تحصيل العلم لأنقذ الله بكم أمة، كل واحد يمكث في قريته يعلم...قلت: كم

عددكم؟ قالوا: ثمانية. نعم، كل واحد في قرية من هذه القرىٰ ينقذ الله بكم ثمان قرىٰ، الآن تموتون وأهلوكم يموتون علىٰ الجهل والضلال، فاتقوا الله، وتعلموا، تعلموا العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-.

فهكذا كثير من الناس لما أسأنا الأدب، واحتقرنا العلم، واحتقرنا العلماء كانت نتيجتنا هذه أن المسلمين يزدادون جهلًا علىٰ جهل، وضلالًا علىٰ ضلال، هذه الطريقة لا تنقذ المسلمين.

الطريقة الصحيحة أن نرحل إلىٰ العلماء، وإذا هيأ الله لنا مدارس يجب أن نعرف قدر العلماء، نأخذ منهم في الفصول، ثم تكون العلاقة قوية ومتينة بينك وبين أستاذك، ولا تكتف بهذا اللقاء في الفصل، فإذا سمعت رنة الجرس أو دقة الصافرة تخرج تقفز، تخرج قبل الأستاذ، ثم يكون آخر العهد به، ولا تعرف بيته، ولا تحاول الاستفادة منه، زره واستفد منه كما كان طلاب العلم يزورون العلماء في بيوتهم، ويستفيدون منهم، ويواجهونهم في المساجد ويستفيدون منهم.

علىٰ كل حال، قد يكون في بعض العلماء شيء من التقصير، وعندهم شيء من عدم السخاء والبذل للعلم، ولكن أنا أعتقد لو أن طلاب العلم يلتفون حول العالم، يقولون: نحن نأخذ لك رخصة في المسجد الفلاني، وتعال علمنا، هكذا نتعلم، إذا كان التدريس يتوقف علىٰ إذن واللهِ نجتهد معك، ونأتيك برخصة وتجلس معنا في المسجد الفلاني في مدارسة العلم الشرعي ونتعلم.

يقول عبد الله بن المبارك -رواية تصح أو لا تصح- يقول: «تعلمت الأدب ثلاثين سنة، وتعلمت العلم في عشرين سنة».

ويروىٰ عن يحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري أنه قرأ علىٰ مالك الموطأ ثم جلس، قال: لماذا أنت جالس؟ قال: «أتعلم أدبك»[(1)].

أتعلم الأدب، لأن هذا أرسخ قدمًا منك بالعلم، وأدرىٰ بمنهج الرسول ﷺ وبأخلاقه وآدابه، فتعلم منه، تعلم منه الأدب، اجلس تعلم منه الأدب، فالأدب له شأن وأي شأن وأي خير في علم دون أدب؟ وأي خير في حياة لا أدب فيها؟ فلابد أن نتأدب ونتعلم الأدب من العلماء.

عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان جالسًا، والرسول ﷺ يطرح سؤالًا، يطرح سؤالًا علىٰ الصحابة رضي الله عنهم: **«إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُهَا مَثَلُ المُسلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ»**. قال عبد الله بن عمر: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة، فنظرت فإذا بي أصغر القوم، فسكت[(2)].

انظر استحضرَ الجواب، لكن رأىٰ في القوم أبا بكر وعمر وأناسًا من

---

(١) ذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ١٧٠-الكتب العلمية)، وابن الأثير الجزري في «غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ٤٦٦).

ويروىٰ عن يحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري أنه قرأ علىٰ مالك الموطأ ثم جلس، قال: لماذا أنت جالس؟ قال: «أتعلم أدبك».

انظر: «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/ ٦٨ و٢٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).

أكابر الصحابة أفضل منه سنًّا فاستحيا وتأدب وما قال كلمة، انظر لحيائه وأدبه وحسن خلقه.

قال سمرة بن جندب ﷺ: «لقد كنت علىٰ عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه، وما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالًا هم أسن مني»[1].

انظر، قد يحفظ أكثر من ناس أكبر منه سنًّا لكن يستحيي أن يقول، ويتأدب معهم، لأن في القوم من يكبره ومن هو يزيد عنه في السن.

هاهو الأدب، واللهِ هذا هو الأدب، فالعلم يحتاج إلىٰ أدب، والله يحتاج إلىٰ أدب، وكما قلت لكم كما قال عبد الله بن المبارك: «من استخف **بالعلماء ذهب دينه**».

أليس من الاستخفاف ألا نلازم العلماء، ونستفيد منهم علىٰ طريقة سلفنا الصالح؟ ماذا يفعل العالم إذا لم يقصده الناس.

فعلىٰ المسلمين أن يُكرموا العلم، وأن يُكرموا العلماء، ويشدوا الرحال إليهم، وأنت لا تشد الرحال، أنت في البلد الذي أنت فيه اذهب إلىٰ العالم وقل له: والله نحتاج أن تعلمنا في الفرائض، علمنا في الحديث، علمنا في المصطلح، علمنا في التفسير، علمنا في كذا، علمنا في كذا.

علىٰ كل حال، إن فضل العلم عظيم جدًّا، وإنه يجب علىٰ العلماء أن يحترموا هذا العلم، ويعملوا به، ويخلصوا فيه لله -تبارك وتعالىٰ-، وعلىٰ

(١) رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٩٦٤).

طلاب العلم كذلك، فعلىٰ العلماء أن يبذلوا ما عندهم من العلم، وإذا سُئلوا فعليهم أن يجيبوا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

ثم عليهم أن يعملوا بهذا العلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣].

فإذا كان العالم يحث الناس علىٰ العلم، وعلىٰ العمل، وعلىٰ الإخلاص فعليه أن يكون أول من يبادر إلىٰ العمل الصالح، وإلىٰ الإخلاص لله -تبارك وتعالىٰ-، وإلىٰ تقديس هذا العلم حتىٰ لا يصدق عليه قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

والأنبياء يقول بعضهم: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾ [هود:٨٨]، هذا قاله شعيب -عليه الصلاة والسلام-، وكل نبي يقول ذلك.

وعلىٰ العالم أن يكون زاهدًا فيما في أيدي الناس، ولا يريد من وراء ذلك جاهًا، ولا منزلة، ولا سلطانًا، ولا وظيفة، لا يريد بذلك إلا وجه الله -تبارك وتعالىٰ-، وعليه أن يدعو إلىٰ الله ﷻ، وأن يبث العلم في الأمة، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥]، فالعالم يجب أن يكون داعية إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-.

والله التدريس من أعظم الدعوات، والرسول ﷺ كان سيد الدعاة، وكان والله الناس يأتونه في مسجده، ويأتونه في بيته -صلوات الله وسلامه عليه-، وكان أعظم الدعاة إلىٰ الله، وأعظم المبلغين، «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آيَةً**»[١]، «**أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنكُم الغَائِبَ**»[٢].

كما في حديث أبي بكرة ؓ أن رسول الله ﷺ خطب فيهم ثم قال: «**أَي يَومٍ هَذَا؟**» قال: فسكتنا حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أَلَيسَ يَومَ النَّحرِ؟**». قلنا: بلىٰ. قال: «**أَيُّ شَهرٍ هَذَا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكتنا حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: «**أَلَيسَ الشَّهرَ الحَرَامَ؟**». قلنا: بلىٰ. قال -عليه الصلاة والسلام-: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**». قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكتنا حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: «**أَلَيسَتِ البَلدَةُ؟**». قلنا: بلىٰ. قال: «**إِنَّ أَعرَاضَكُم وَدِمَاءَكُم وَأَموَالَكُم حَرَامٌ عَلَيكُم، كَحُرمَةِ يَومِكُم هَذَا، فِي شَهرِكُم هَذَا، فِي بَلَدِكُم هَذَا، أَلَا هَل بَلَّغتُ، اللهُم فَاشهَد، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنكُمُ الغَائِبَ**»[٣].

يبلِّغ هذا الحديث الهام جدًّا، الذي يتعلق بنظام حياة المسلمين، من حرمات دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فيبلِّغ ما عنده من هذا العلم الذي تلقاه عن محمدﷺ، وهذا الأمر موجه إلىٰ الأمة كلها، فليبلِّغ الشاهد الغائب.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو ؆.

(٢) انظر الآتي.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩)

فمن تعلم شيئًا مما جاء به محمدﷺ فيبلِّغه لهذه الأمة، لأنه لا يكون وارثًا للأنبياء إلا إذا بلغ، فإن من أعظم مهمات الأنبياء: البيان والبلاغ، ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى:٤٨].

ونحن علينا البلاغ، فنحن وارثون للأنبياء، طلاب العلم، ولا أقول: إننا من العلماء، ولكن ما تعلمناه عندنا فيه نصيب من ميراث الأنبياء علينا أن نبلغه، فلنكن دعاةً إلى الله، مبلغين عن الله وعن رسول الله ﷺ ما جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام-، ويتضمن هذا التبليغ القول والعمل، بلغ بالقول وبلغ بالعمل.

هذا الأمر واجب، فلتكن أشدهم التزامًا به، وقيامًا به، وأداءً له، فلتكن عمليًّا بعد أن تبلغ أن هذا الأمر حرام لتكن من أبعد الناس عنه، علم الناس كيف يبتعدون عن الحرام الذي علمتهم أنه حرام.

و«**يُؤْتَىٰ بِالعَالِمِ يَومَ القِيَامَةِ، فَتَندَلِقُ أَقتَابُهُ، فَيَدُورُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ**»، تدور أقتابه: أمعاؤه، ويدور بها كما يدور الحمار بالرحىٰ، و«**يجتمع عليه الناس فيقولون: يا فلان! ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر؟! قال: بَلَىٰ، كُنتُ آمُرُ بِالمَعرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنهَىٰ عَنِ المُنكَرِ وَآتِيهِ**»(١).

فهذا جزاء من يُعَلِّم الناس ويأمر الناس بالمعروف ولا يأتيه، وينهىٰ الناس عن المنكر ويقارفه ويرتكبه، فعَلِّم الناس قولًا وعملًا، وهذا هو التعليم الصحيح،

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

وهذا هو التبليغ الصحيح، فإن رسول الله ﷺ والأنبياء قبله كانوا يعلمون الناس، ولا تخالف أقوالُهم أفعالَهم ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

أسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم ممن يخلص له العلم والدين، ومن يخشاه ويتقيه، فإن من ميزات هذا العلم خشية الله ومراقبته.

ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المحسنين الذين جاء في شأنهم قوله ﷺ: «الإِحسَانُ: أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(١)].

فما أعظم هذه المنزلة، وهي مراقبة الله -تبارك وتعالىٰ-، وخشيته، وتقواه، وأداء الأعمال علىٰ الوجه الذي يرضي ربنا -تبارك وتعالىٰ-.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٧).

علم الكتاب والسنة

وأثره في الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ.

مرحبًا بكم أيها الأحبة والأبناء والإخوة في الله -تبارك وتعالىٰ- في هذا اللقاء الطيب المبارك، الذي أرجو الله -تبارك وتعالىٰ- أن يرزقنا فيه

العقول الواعية، والنفوس المتعطشة إلىٰ العلم النافع والعمل الصالح، وإلىٰ التمسك بالكتاب والسنة، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والذي في ذهني أن العنوان كان «الاتباع وأثره في تزكية النفوس»، والعنوان الجديد: «**التمسك بالكتاب والسنة...**» إلخ، وكلاهما يلتقيان في غاية واحدة، فسواء تكلمنا بهذا أو بذاك فالمقصود واحد.

وعلىٰ كل حال: فالاتباع يتطلب العلم، والتمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح لا يقوم إلا علىٰ العلم.

ومن هنا قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب: العلم قبل القول والعمل»، واستشهد بقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] قال: «فبدأ بالعلم».

والعمل والقول لا يصحان إلا بالعلم، ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] لا في قول ولا في عمل، فالعلم هو الأساس، والأساس في حياة هذه الأمة من أولها إلىٰ أن تقوم الساعة، ولا قيام لهم ولا سعادة لهم إلىٰ بالعلم الذي هو الوحي، والمتمثل في الكتاب والسنة.

وقد عرف أسلافنا الصالحون قيمة العلم ومكانته، وكان الصحابة يتوافدون من أنحاء الجزيرة ليتلقوا العلم من رسول الله ﷺ انطلاقًا من قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ

﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

وكان في عهد الصحابة يرحل الأذكياء والمخلصون من التابعين من العراق ومن غيره إلىٰ المدينة من أجل مسألة واحدة ومن أجل حديث واحد، لماذا؟ لأنهم عرفوا قيمة العلم، الذي تقوم عليه سعادتهم، وتقوم عليه عزتهم، ويقوم عليه اجتماعهم، وتتوحد بهم كلمتهم وصفوفهم.

فالعلم عرفه السلف، العلم الذي جاء به محمد ﷺ، الذي من خالفه فقد هوىٰ، ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

العلم الذي يرفع الله به عباده المؤمنين درجات، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

العلم الذي يكسب خشية الله وتقواه ومراقبته، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

والله -تبارك وتعالىٰ- أمر رسوله -عليه الصلاة والسلام- بالاتباع فقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٩].

والذي أوحاه إليه هو العلم، علم الكتاب والسنة، نصوص الكتاب والسنة، وهو لا يتبع إلا العلم، إلا الوحي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٨-١٠٩]،

فهذا الذي جاء به محمدﷺ هو الحق، وهو الوحي، وهو العلم.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- وأمته مأمورون باتباع الحق واتباع العلم، والحق هو العلم، والقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة المطهرة التي هي الحكمة، وهي البيان والشرح والتفصيل، وتقييد المطلقات، وتخصيص العمومات.

فإن الله وَكَل إلىٰ هذا الرسول الأمين الكريم -عليه الصلاة والسلام- أن يبين للناس هذا القرآن الكريم، وأن يبين لهم مقاصده ومراميه، بالتخصيص والتقييد، والتفسير والتبيين والتفصيل -صلوات الله وسلامه عليه- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

فقام الرسول -عليه الصلاة والسلام- بهذا البيان علىٰ أكمل الوجوه، وبلَّغ القرآن والسنة، وأشهد الأمة في أعظم المواقف في حجة الوداع: «**أَلَّا هَل بَلغتُ؟**». قالوا: نعم. قال: «**اللهُم فَاشهَد**».

خطب فيهم خطبة، وبين لهم أمورًا عظيمة في الحلال والحرام والمناسك وما شاكل ذلك، ثم قال: «**أَلَّا هَل بَلغتُ؟**». قالوا: نعم. قال: «**اللهم فَاشهَد**»(١).

وامتنَّ الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ هذه الأمة ببعثة محمدﷺ، وما جاء به من العلم والحق والهدىٰ والنور -عليه الصلاة والسلام-: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] فهذا من سورة آل عمران.

وقال تعالىٰ في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

كانوا في جاهلية جهلاء، لا علم ولا كتاب، وفي فترة طويلة مرت عليهم ما جاءهم من نذير، فجاءهم هذا الرسول الكريم وهم أجهل الناس وأضل الناس، فهداهم الله به، وأنقذهم بدعوته ورسالته من النار، كما قال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

كانوا علىٰ أسوأ الأحوال من العداوة، والبغضاء، والأحقاد، والتفرق، والتشتت، والسلب، والنهب، والفوضىٰ؛ فالله -تبارك وتعالىٰ- أنقذهم بمحمد ﷺ في هذه الحياة الدنيا، فصاروا أرقىٰ الأمم، وتبوءوا أفضل حضارة عرفتها الإنسانية -رضوان الله عليهم-، فصاروا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، كما زكاهم الله -تبارك وتعالىٰ- بذلك وزكاهم رسوله -عليه الصلاة والسلام-: «**خَيرُ النَّاسِ قَرنِي**،

ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم»(١).

والشاهد: أن العمل والاتباع لا يقومان إلا علىٰ ساق العلم وقاعدة العلم، والعلم لا يكون إلا علم الكتاب والسنة، العلم الممدوح والعلم الذي ينقذ الله به الناس من الشقاء والضنك في هذه الحياة الدنيا، ومن الضلال هو القرآن والسنة.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦].

فهذا العلم الذي جاء به محمد ﷺ من كتاب وسنة لا يصح عمل، ولا يصح قول، ولا يعتبر شيء منها إلا إذا كان مستمدًّا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، فالأقوال والأفعال والأحكام وسائر الأعمال -أعمال القلوب وأعمال الجوارح- لا تكون صحيحة مقبولة عند الله -تبارك وتعالىٰ-، وفي هذه الحياة الدنيا، فيما يتعلق بأعمال العباد فيما بينهم وبين الله، وفيما يتعلق بالحقوق فيما بين العباد، لابد أن يكون ذلك منبثقًا عن كتاب الله وعن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فأقوالنا كالصلاة والزكاة والحج وسائر الأعمال لا تصح ولا تقبل إلا إذا قامت علىٰ العلم مطابقة ما جاء به محمد ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

ولابد في كل الأعمال العبادية مع العلم من الإخلاص لله رب العالمين، والإخلاص بينه القرآن والسنة، فأي عمل لا يقصد به وجه الله -ولو كان منبثقًا من الكتاب والسنة- لا يقبل، ولو كان العمل قائمًا على الإخلاص والتجرد ولم يطابق الكتاب والسنة فلا يقبل، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

فالعمل لا يكون صالحًا إلا إذا كان مأخوذًا من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ولا يكون خالصًا لله إلا إذا خلا من الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ-، إلا إذا خلا من الشرك بأنواعه -الخفي والظاهر، والأصغر والأكبر-، لابد من مطابقة ما جاء به محمدﷺ، ولابد فيه من الإخلاص لله، ومن التجرد من كل أنواع الشرك الأكبر والأصغر.

ومن ذلكم الرياء: فلو عبد الله ليلًا ونهارًا بغير علم وبغير إخلاص فيصدق عليه قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية:٢-٥].

هؤلاء الذين يتعبدون وينصبون ويتعبون في الصوامع والكنائس وغيرها لما كانت أعمالهم خالية من الإيمان والتوحيد، وبعيدة عن الكتاب والسنة كان هذا مصيرهم ومصير المرائين والمشركين في أعمالهم بالله -تبارك وتعالىٰ-،

وما دلت عليه هذه الآية التي تلوناها سابقًا يظن نفسه أنه يحسن العمل، وهو يعمل، ويتقرب إلىٰ الله بأسوأ الأعمال، لأنها قائمة علىٰ الضلال أو علىٰ الشرك أو علىٰ الجهل أو علىٰ الجميع.

فعلىٰ الأمة الإسلامية أن تتعلم لتصح أعمالها وأقوالها، ولهذا كان العلم فريضة علىٰ كل مسلم، فعلىٰ المسلم أن يتعلم العلم الذي يصحح به عباداته ومعاملاته.

وعلىٰ الأمة أن ينبغ فيها علماء يتعلمون فروض الأعيان وفروض الكفاية، وعلىٰ سائر الأمة أن تتعلم، كل شخص يتعلم ما يلزمه من فروض الأعيان، لأن فروض الأعيان تلتقي فيها الأمة علماؤها وجهالها، علماؤها وعوامها يلتقون في كثير من الأشياء، تتعين هذه الأمور علىٰ الجميع، وقد ينفرد بعض الأشخاص، يختلفون فيما يجب عليهم من فروض الأعيان، كلٌّ علىٰ حسب حاله.

فالفقير لا يلزمه ما يلزم التاجر من تعلم ما يصح به بيع التاجر وشراؤه، والذي لا يجد مالًا لا يجب عليه أن يتعلم أمور الحج، حتىٰ يحصل من المال ما يساعده علىٰ القيام بفريضة الحج حينئذٍ يلزمه أن يتعلم ما يصحح به حجه، وهكذا.

الشاهد: أن الأعمال لابد أن تكون قائمة علىٰ العلم، والذي يعجز أن يهتدي بنفسه إلىٰ معرفة المسائل وأحكامها فعليه أن يسأل أهل الذكر، وأهل

الذكر يجب أن يقولوا للناس: قال الله كذا، وقال رسول الله كذا، لأن الذكر هو القرآن والسنة وأن يُفتوا الناس بما تضمنه الكتاب والسنة، فتكون أعمال الناس -علماؤهم وجهالهم- قائمة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ، عقائدها، عباداتها، مناهجها، معاملاتها، سياستها قائمة علىٰ العلم علم الكتاب والسنة.

فإذا كانوا علىٰ هذا الوجه، وعلىٰ هذه الحال فهم متبعون، وإذا كانوا علىٰ غير ذلك فهم ليسوا بمتبعين، وإنما يتبعون أهواءهم، وإنما هم مبتدعون.

ولا تكون الأمة علىٰ هذه الحال كلها -والحمد لله-، فإن في هذه الأمة من يقوم وينهض بواجب العلم، وواجب العمل علىٰ نسق ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمتِي عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرهُم مَن خَذَلَهُم وَلَا مَن خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأتِيَ وَعدُ اللهِ**»(١).

وأخبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن هذه الأمة «**تَفتَرِقُ إِلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً**». قالوا: مَن هي؟ قال: «**مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»(٢). ما أنا عليه وأصحابي من العلم الناشئ

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٢).

عن الكتاب والسنة، ومن العمل القائم على هذا العلم.

والفِرَق الضالة خالفت في هذا العلم، فحرفت وأولت، وخالفت في العمل نصوص الكتاب والسنة، فكانوا من هذه الفرق.

والفرقة الواحدة أو الوحيدة التي هي الطائفة المنصورة نالت هذه المزية وهذه المكانة، لأنها ثبتت على ما عليه رسول الله ﷺ من العلم والعمل القائمين على كتاب الله وعلى سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فالعلم واللهِ يزكي، العلم النافع والعمل الصالح يزكي النفوس ويطهرها من الشرك، والضلال والجهل، والكفر، والبغي، والعدوان، ويعلمها، ويربيها، ويزكيها بالعقائد الصافية، والمناهج الصحيحة، والأخلاق الفاضلة.

ومن أراد أن يرى التزكيات أو النفوس الزكية فليقرأ تأريخ الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- والذين اتبعوهم بإحسان، ليرى ما يظهر أثره من العلم، ومن العمل، ومن الإخلاص، واليقين، والصدق، والوفاء، والبر، والعدل، والإنصاف، وكل أوصاف الكمال التي يكمل بها البشر.

يرى في أصحاب محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس كما وصفها الله ﷻ، لأن الخيرية هذه شاملة لكل جوانب الحياة، الحياة في النفوس، في التعامل، في الأخلاق، في الجهاد، في الإخلاص، في كل الشئون التي ترى أهلها في غاية الزكاء، وغاية الصفاء، وغاية النقاء، فلو درست تاريخ البشرية كلها لا تجد أنقى وأصفى وأزكى وأعلى أخلاقًا من هذه الأمة التي تصدرت

أمة محمد ﷺ وهم أصحاب محمد ﷺ.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

صفات عظيمة يدخل فيها الأخلاق، والعدل والإنصاف، والتوكل، واليقين، وصفاء النفوس، وصفاء الجوارح وطهارتها من رذائل الأخلاق، ومن رذائل الشرك، ومن رذائل الضلال، ومن رذائل الظلم، والعدوان، والبغي، تجد أنقى البشر وأصفاهم وأزكاهم وأقربهم إلى الله بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

فلندرس تاريخهم ومواقفهم وجهادهم ودعوتهم وتبليغهم، لنرى أنهم قد حازوا قصب السبق في كل ميدان وفي كل مجال، ولهذا جعلهم الله -تبارك وتعالى- مقياسًا لمن يأتي بعدهم، كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وجعلهم رسول الله مقياسًا -عليه الصلاة والسلام-، وقال لَما سئل عن أعمال الفرقة الناجية عن وصفهم قال: «**هُم مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**».

وأمر رسول الله -عليه الصلاة والسلام- حينما تتفرق الأمة، وتمزقها الأهواء، ونرى الاختلافات الكثيرة أن نعود إلى ما كان عليه -عليه الصلاة

والسلام- هو وخلفاؤه الراشدون -صلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله عنهم-.

فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**وَإِنهُ مَن يَعِش مِنكُم فَسَيَرَىٰ اختِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُم بِسُنتِي وَسُنةِ الخُلَفَاءِ الراشِدِينَ المَهدِيِّينَ، عَضوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

فيا معشر الشباب، شباب المسلمين جميعًا وشباب المنهج السلفي، ويا معشر السلفيين خصوصًا والمسلمين عمومًا، عليكم بكتاب الله وبسنة رسول الله، فتمسكوا بهما عقيدة، وعبادة، وأخلاقًا، ومنهجًا، وسلوكًا .. إلىٰ آخر المتطلبات، وسائر التكليفات، تمسكوا بهما، وعضوا عليهما بالنواجذ، ففي ذلك الكمال والعزة والكرامة.

أسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يوفق الأمة للعودة الجادة إلىٰ كتاب ربها وسنة نبيها، وأن يرزقها الدعاة المخلصين الصادقين الناصحين لهذه الأمة، وأن يهيئ لهم من الدعاة من ينهض بهم من كبوتهم، ويقودهم إلىٰ ساحل النجاة في هذه الحياة المظلمة، أسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يحقق ذلك، إنه سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٧).

مرحبًا يا طالب العلمِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد: فهذا لقاء طيب ومبارك كما نرجو الله أن يكون كذلك، ونسأله -تبارك وتعالىٰ- أن يكون نافعًا، وأن يكون لله خالصًا، وأن يجعلنا من أهل

العلم، والعمل، والصدق، وأن يجعلنا جميعًا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وهذا الموضوع الذي سمعتم عنه، وحضرتم من أجله هو أساس الإسلام، فأفضل ما آتىٰ الله هذه الأمة وأفضل ما امتن الله به علىٰ هذه الأمة، وأنقذها به من الضلالة، ومن الظلمات إلىٰ النور هو العلم، هو الوحي، هو هذا الكتاب الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وبيانُهُ من رسول الله ﷺ، أعلم الناس بالله، وبهذا الكتاب وبمقاصده ومراميه، لذا وَكَلَ إليه بيان هذا الكتاب، وتفصيل ما أجمله، وتوضيح ما أشكل منه، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه، فهو أعلم الناس بربه، وأعلم الناس بهذا الكتاب، كيف لا وهو أفضل الخلق، وأكرم الرسل وعليه أنزل؟!

لذا نرىٰ ربنا يمتن علىٰ هذه الأمة بهذه النعمة العظمىٰ علىٰ هذه الأمة، قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥١-١٥٢].

فهذه نعمة عظيمة، إرسال هذا الرسول -عليه الصلاة والسلام- ليعلمنا الكتاب، وهو هذا القرآن، والحكمة وهي السنة التي هي بيان هذا القرآن، والتطبيق العملي لعقائده ومقاصده.

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى

ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح:٢٨].

الهدىٰ هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح المنبثق من هذا الهدىٰ وهذا العلم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ علىٰ أن محمدًا رسول الله حق، وأن ما جاء به هدىٰ، وأنه دين حق.

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

كانوا في غاية الضلال، فامتن الله عليهم ببعثة رسول منهم من العرب أو من جنس بني البشر، ليس بملك، فهو إما من أنفسهم أو منهم، لأنه نبي عربي، والقرآن عربي، أو لأن محمدًا رسول إلىٰ العالمين إلىٰ الأسود والأبيض، فاختاره الله من جنسهم من بني البشر -عليه الصلاة والسلام-، ليقوم بإيصال هذا العلم وتبليغ هذه الرسالة قولًا وفعلًا وتقريرًا وجهادًا.. إلىٰ آخر أنواع البيان التي كان يقوم بها رسول الله ﷺ.

ولهذا ترىٰ الله يمدح العلم والعلماء، ورثة الأنبياء، يمدح هذا العلم، ويبين فضله وفضل أهله، لأن الأمة بدون علم لا يمكن أن تقوم لها قائمة في دينها ودنياها، لا يمكن أن تقوم علىٰ الجهل، وإذا انتهىٰ هذا العلم الذي أحيا الله به هذه الأمة، وأخرجها به من الضلالة من ظلمات الجهل والكفر والشرك، عادت إلىٰ ما كانت عليه من الجهل والضلال، بل ربما تعود إلىٰ أسوأ مما كانت فيه.

قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١].

فالناس كانوا في ظلمات، ظلمات الكفر والجهل والشرك، فأخرجهم الله بمحمدﷺ وبهذا الكتاب المنير من تلكم الظلمات المهلكة، من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان، ومن ظلمات الشرك إلىٰ نور التوحيد، ومن ظلمات الجهل المطبق إلىٰ نور العلم، فهذه نعم عظيمة أنعمها الله، وأسبغها علىٰ هذه الأمة الإسلامية التي هي خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وتؤمن بالله.

فإذا فهم الناس هذه الرسالة، وهذا الكتاب، وهذا العلم حق الفهم، والتزموه في حياتهم حق الالتزام، بأدب وأخلاق وصدق وإخلاص، فإن الله -تبارك وتعالىٰ- يكرمها، يكافئها علىٰ هذه المواقف العظيمة، والالتزام الشريف النبيل، يكافئها بأن يعزها، ويكرمها، ويرفعها، ويظهر دينها علىٰ الأديان كلها.

وإن انحرفت في الفهم، وانحرفت في القصد، وانحرفت في الأخلاق، وفي التطبيق كافأها بما تستحق كما هو حال المسلمين من قرون بعد القرون المفضلة التي فهمت هذا الكتاب، وفهمت السنة النبوية وهي الحكمة، فهموهما حق الفهم، والتزموهما في حياتهم أفضل ما يكون من الالتزام، ونشروهما، نشروا هذا الفهم الصحيح، وهذا العلم النافع في الأمم عربها

وعجمها وأسودها وأبيضها، فاستفادت هذه الأمم، وبزغ في الأعاجم من العلماء الذين نافسوا بل تفوقوا على العرب في العلم والعمل، إذ رفعهم الله -تبارك وتعالىٰ- بهذا القرآن.

«إِنَّ اللهَ يَرفَعُ بِهَذَا القُرآنِ قَومًا، وَيَخفِضُ بِهِ آخَرِينَ»(١)، فمن ارتفع بالقرآن رفعه الله -تبارك وتعالىٰ-، لا بمجرد الحفظ، وإنما بالفهم الصحيح، والعمل الصادق الجاد.

هذه مقدمة، وسنذكر بعض الآيات في فضل العلم والعلماء، وبعض الأحاديث، ونلقي الأضواء علىٰ بعض المعاني التي قد تخفىٰ علىٰ بعض الشباب، ونسأل الله أن يلهمنا وإياكم الصواب والسداد، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل هذا اللقاء لذاته وفي سبيله.

فالله -تبارك وتعالىٰ- يقول في بيان ميزة العلماء، والفارق الكبير بينهم وبين أهل الجهل والضلال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ إلىٰ أن يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩].

بدأ بالعمل قبل العلم، القيام بآيات الله، والحذر من الآخرة، ورجاء ما عند الله أعمال قلوب وأعمال جوارح، ثم بين سبب هذا الجد، وهذا النشاط المتواصل نوه بهذه الأخلاق العظيمة في التعامل مع الله -تبارك وتعالىٰ-،

(١) أخرجه مسلم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

قال: هذه ما تصدر من جهل، وليس منشؤها الجهل ولا الهوىٰ، إنما منشؤها العلم بالله -تبارك وتعالىٰ-، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

فالعلم والعمل علىٰ الوجه الصحيح لا يكون إلا من أولي العقول والنهىٰ والألباب، لا يكون أبدًا بالطيش والجهل، فإلىٰ العلم أيها الإخوة.

ثم ليكن المقصود من العلم العمل، فإن العلم بدون عمل قد ذم الله -تبارك وتعالىٰ- أهله أشد الذم -كما سيأتي -إن شاء الله-.

والله -تبارك وتعالىٰ- أمر نبيه -عليه الصلاة والسلام- أن يطلب من ربه -تبارك وتعالىٰ- أن يزيده من العلم، لم يأمره بطلب الزيادة في الدنيا، وإنما طلب منه -أو علمه وأدبه- أن يطلب منه الزيادة في العلم، ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فنفس المؤمن لا تشبع من الخير -لاسيما العلم- حتىٰ تنتهي إلىٰ ربها، ورسول الله ﷺ سيد أهل الخير وأهل الفضل فيأمره ربه أن يطلب منه الزيادة في العلم.

والله -تبارك وتعالىٰ- يمدح العلماء، ويقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة، لكن من هم هؤلاء العلماء؟ العاملون المجاهدون الموحدون المخلصون، أهل التوحيد لا أهل البدع والضلال.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]، هذا مقام التوحيد.

فاستشهد الله بعلماء التوحيد وعلماء الحق، ذكر شهادتهم ليرفع مكانتهم، وليبين منزلتهم، وليبين عدالتهم، فإن الشهادة الصحيحة المقبولة لا تكون إلا من العدول، ولا تكون إلا من أهل التوحيد، لا تقبل من الفساق، ولا من الكفار، ولا من المنافقين، وإنما تقبل من أهل التوحيد العدول.

لهذا شرفهم الله -تبارك وتعالىٰ- بأن قرن شهادتهم بشهادته -جل وعلا-، وشهادة الملأ الأعلىٰ الملائكة الكرام البررة المقربين إلىٰ الله الذين ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

وكفىٰ بهذا شرفًا للعلماء العاملين المخلصين، أن يقرن شهادتهم بالتوحيد لله وحده، وإخلاص الدين له، وأنه الإله الحق الذي لا معبود بحق سواه، كفاهم شرفًا أن يقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته في هذا المقام العظيم، الذين لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، فهذه من أعظم نعم الله علىٰ العلماء العاملين، أن يضفي عليهم هذه الكرامة.

فعلىٰ كل امرئ مسلم بالعلم الذي يرفع الله من شأنه وشأن العلماء به، فمهما بلغ المرء من العلم بالفلسفة والمنطق والتصوف وأنواع العلوم الفاسدة لا يزداد عند الله إلا هوانًا، ولا يزداد من الله إلا بعدًا، ولكن العلم الذي يرفع الله أهله إلىٰ هذه المنزلة هو علم الكتاب والسنة، من أمثال الصحابة، والتابعين، والتابعين لهم بإحسان، ومن تبعهم علىٰ هذا المنوال

إلىٰ يوم القيامة، ومن سبقهم من حواريي الأنبياء وخلصائهم الذين كانوا يهتدون بهديهم، فهم شركاء لعلماء هذه الأمة في هذه الشهادة.

ونحن علينا أن نجتهد في اللحاق بهذا الركب العظيم، وما يحصل ذلك إلا إذا شمَّرنا عن ساعد الجد في تحصيل العلم النافع، علم الكتاب والسنة الذي هو ميراث الأنبياء، لأن هذا الكتاب حوىٰ ما في الرسالات من الخير، وهيمن عليها، وهو شهيد عليها.

فهذا كتاب عظيم، يجب أن نشمِّر عن ساعد الجد في معرفته، ومعرفة كل ما يساعد علىٰ فهمه، من أنواع علوم اللغة، والسنة وعلومها، ولا يمكن أن ندرك هذا المستوىٰ إلا بالتشمير عن ساعد الجد، والأخذ بالأسباب التي تحقق -بإذن الله- النتيجة العظيمة.

وفي السنة أحاديث عظيمة تبين فضل العلم والعلماء، فلنُشِر إلىٰ شيء منها إلىٰ ما يحتمله هذا المقام.

يقول رسول الله ﷺ كما روىٰ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «**مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّههُ فِي الدِّينِ**»[(١)].

فمن علامات الخير علىٰ المرء، وأن الله أراد به خيرًا أن يتفقه في الدين، في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، يعرف عقائده الصحيحة، فيؤمن بها، يصدِّق أخباره في الماضي والمستقبل، يلتزم أوامره، يجتنب

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٠).

نواهيه، يدرس السنة ليفهمها حق الفهم، يتعظ بمواعظه، يزدجر بزواجره، يتخلق بأخلاقه كما هو حال رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فقد سأل أحد التابعين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ القُرآنَ»(١).

وقد بُعِثَ ﷺ -بعثه الله- لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخلَاقِ، ومكارم الأخلاق هذه ليس ميدانها مع الخلق فقط، بل ميادينها الأخلاق مع الله أيضًا، بتصديق أخباره، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فهذا الخلق الرفيع كان خلق أكمل الخلق محمدًا ﷺ.

فليس المراد بالفقه أن ندرس كتابًا في الفقه، إنما الفقه أن نفقه هذا الوحي الذي أنزله الله علىٰ محمد ﷺ، وأن نفقه هذه السنة، وأن نحترم هذا الكتاب، وأن نحترم هذه السنة، بدءًا بالعقائد، ثم الأحكام، ثم العبادات قبلها، ثم المعاملات، ثم كل ما دلنا عليه الله ورسوله من الخير الذي تضمنه هذا الكتاب، وتضمنته هذه السنة، لا ننحصر في زاوية من زوايا هذا الخير العميم والخير الواسع وهذا الدين الكامل الذي أكمله الله، وامتن علىٰ هذه الأمة بأنه أكمله لها، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

هذا العلم عناية الناس به ضعيفة وقليلة، لهذا ترىٰ حالهم ضعيفًا، ولو

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

كثرت الدنيا فإنهم في غاية الضعف، لضعف هذه الصلة بهذا الدين الذي أعزنا الله به وأكرمنا، ويكرمنا به إن نحن قدَّرناه حق قدره، بل قَدَرنَا اللهَ حق قدرِه.

ومِن تَقديرِ الله حق قدرِه: أن نكرم كتابه، وأن نكرم سنة نبيه ﷺ، فنتعامل معها بأدب، ونعتقد ما فيهما من عقائد، ونتخلق بما فيهما من أخلاق، ونتأدب بما فيهما من آداب، من الصدق، والتوحيد، والإخلاص، والبعد عما ينافي ذلك، من الشرك الواضح الجلي، ومن الشرك الخفي -وهو الرياء-، ومن البدع التي تنافي أصول الدين الإسلامي، فإن من أصول الإسلام: أن التشريع لله وحده، وأن الله لا يرضىٰ أن يتقرب إليه عبد إلا بما شرعه وأذن فيه.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، هذه الآية وما شاكلها يجهل معناها كثير من الناس، فيحصرون حاكمية الله ووجوب تشريع الله أو حق التشريع في زاوية ضيقة، في الزاوية السياسية فقط، وينسون أن أهل البدع والضلال أشد جرمًا عند الله من كل امرئ يشرع في أمور الدنيا، لأن هؤلاء يشرعون في أمور الدين، ويستدركون علىٰ الله -بزعمهم- في أخص خصائص الدين، وأخص خصائص التشريع الذي انفرد الله به، ولا يرضىٰ بذرة واحدة أن يشارك فيها.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾، فيغفلون عن أهل البدع والضلال، ويقصرون صراعاتهم ونشاطاتهم الحركية في

مصارعة الحكام فقط، دون أن يبينوا لهم أصول الإسلام، ولا عقائد الإسلام، ويتركون من يشارك الله في التشريع في الدين من الأحبار والرهبان، من علماء، ورءوس أهل الضلال والبدع الذين قصم الله ظهرهم بهذه الآية، وبمثل قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

هذه النكتة بينتها في كتابي «منهج الأنبياء في الدعوة الله فيه الحكمة والعقل»، رأينا الدعاة السياسيين -كثيرًا منهم- عقائدهم فاسدة، واقعين في الشرك، واقعين في الضلال، في صفات الله ضالون معطلة، وفي الفقه منحرفون، وفي العبادات ضالون، وهم جنبًا إلىٰ جنب مع زعماء الروافض والخوارج وغلاة الصوفية لا ينهون هؤلاء، ولا يزجرونهم عن شيء من ضلالهم الغليظ، بل هم إخوانهم في كل ميدان، عنهم يناضلون، وعنهم يدافعون، وفيهم يوالون، وفيهم يعادون.

وجدنا هذا الضلال في هؤلاء الدعاة، فرأينا أنهم المساكين هم بأمسِّ الحاجة إلىٰ من يدعوهم إلىٰ الله، ويبين لهم دين الله، ويبين لهم التوحيد، ويخرجهم من ظلمات الضلال والشرك.

ومن الأدلة مثل هذه الآيات، وقلنا لكثير من الناس: لما بعث الله محمدًا ﷺ كان هناك ملوك جَبابرة عتاة ظلمة يحكمون بغير ما أنزل الله، لكن أين ذكرهم في القرآن؟!!

ما قال: كسرىٰ كذا، وقيصر كذا، وفلان كذا، وحاكم الهند كذا، وحاكم الصين كذا، وعندهم كذا...

تكلم علىٰ اليهود في عشرات الآيات، وليس لهم دولة، وليس لهم ملك، وليس فيهم من ملك، لماذا تكلم عليهم؟ لأنهم أفسدوا دين الله، وحرَّفوه.

وتكلم علىٰ أحبار النصارىٰ وهم في الكهوف وفي الصوامع، ليس لهم دول، ولا حول، ولا طَول، ولا شيء، لكن لما اعتدوا علىٰ شرائع الله بالتحريف في عقائد التوحيد، وفي الحلال والحرام، شنع الله -تبارك وتعالىٰ- عليهم، وأهانهم، وأذلهم، وندد بهم، لأنهم أسوأ حالًا من الحكام الظلمة، لأن أمر هؤلاء واضح مكشوف للناس، ولكن هؤلاء الدجاجلة من الأحبار والرهبان يَلبِسون علىٰ الناس أمر دينهم، ويخلطون الحق بالباطل، والشرك بالتوحيد، والحلال بالحرام، ويقولون للناس: هذا دين الله، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩].

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

أين الكلام علىٰ كسرىٰ وقيصر؟! أين هو الآن؟! الذي لا يناطح الحكام

عميل؟! لماذا ربنا ﷻ لم يوجه الناس لمناطحة الحكام؟! لماذا لم يوجهنا رسول الله ﷺ لهذه المناطحات؟!

أهؤلاء أهدىٰ من الله وأهدىٰ من رسول الله -عليه الصلاة والسلام-؟!

يبدءون في الدعوة إلىٰ الإسلام من آخر مراحل الإسلام، ولا يبدءون من الأصول والمنابع الأولىٰ في الدعوة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-.

موسىٰ لما أرسله الله إلىٰ فرعون أرسله يدعوه للهداية، ما قال: أنت حاكم طاغوت، وتنازع العرش، والحكم لله، وأنت مغتصب حكم الله كما يقول هؤلاء، ما قال هذا، بل قال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾، يتزكىٰ بالتوحيد، ويتخلص من الشرك والكفر، ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات:١٧-٢١].

كذبه في ماذا؟ كذبه في الدعوة إلىٰ التوحيد، والدعوة إلىٰ إخلاص الدين لله، والدعوة إلىٰ عبادة الله وحده، كما هي دعوة جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

يا إخوتاه، الشرك حينما يذكر في القرآن وفي السنة عند العلماء هو شرك الأوثان، هو شرك القبور.

فالطبيب الناصح المخلص للأمة يبدأ هؤلاء المرضىٰ بالعلاج من هذا

الداء العضال، الذي يفقه دين الله حق الفقه يبدأ من هنا بالحاكم والمحكوم، ويبدأ بالمحكومين قبل الحاكمين.

إبراهيم بدأ بأبيه وقومه قبل الحكام وقبل الدولة: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٤٢].

وحاج قومه في الكواكب التي كانوا يعبدونها، ليخرجهم من ظلمات الشرك إلىٰ نور التوحيد، ولما ناظر الملك وهو النمرود ناظره في التوحيد، كان ينكر توحيد الربوبية، فناظره فيه، فإذا سلم بتوحيد الربوبية بالضرورة ينقله إلىٰ توحيد العبادة، حتىٰ لو آمن بتوحيد الربوبية يبقىٰ كافرًا: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

فالمشركون كانوا يؤمنون بالربوبية، وبعضهم يطغىٰ فيدعي الربوبية، وهذا نادر وأندر من النادر، فإبراهيم ناظر قومه الذين كانوا مشركين في الألوهية ناظرهم في توحيد العبادة، ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]، ما قال: لماذا تخضعون لهذا الطاغوت، وتنقادون لهذا الطاغوت؟ وهذا يحكم بالطاغوت... ما قال هذا الكلام، لأن هذه مرحلة متأخرة.

فإذا أردت أن تبني بيتًا تبدأ بالأسس والقواعد، تبني خيمة تبدأ بالأعمدة وما شاكلها، كل شيء له أصول إلا الدين تمشيه بدون أصول؟ المهندس، الطبيب، كل الناس ماشون علىٰ أصول في علومهم إلا علماء السياسة، فهؤلاء لا يلتزمون بأصول الدين وأصل أصوله، يدعون الناس بهواهم، ويبدءون من حيث شاءوا.

وهذه سنة الله في الدعوات، أن تبدأ بالدعوة إلىٰ التوحيد، من أول رسول إلىٰ خاتمهم محمد ﷺ، هذه الأصول التي دوِّنت في القرآن وفي السنة وفي كتب العلماء كلها تنبذ، لماذا؟ لأنهم مستعجلون للوصول إلىٰ الكراسي.

لأن الصراع معهم سيستغرق جهدًا جهيدًا، وسوف لا يصلون إلىٰ ما يريدون، ويقولون: نصل إلىٰ قبة البرلمان ، مثل ما قال ذلك: ننزل التوحيد من فوق.

ولما قام لبعضهم دول وصل إلىٰ الكرسي وصل إلىٰ قبة البرلمان، أنزل النصرانية واليهودية ووحدة الأديان، لماذا؟ لأنه ما يعرف، فاقد الشيء لا يعطيه، الذي لا يتعلم أصول الدين وأصل أصوله التوحيد لا يمكن أن يصلح غيره، لأنه فاسد في دينه، في عقله، في تصوره للإسلام، يتصور الإسلام منكوسًا، ويمشي علىٰ وجهه، لا يمشي سويًّا علىٰ صراط مستقيم.

فهذا الذي يمشي مكبًّا علىٰ وجهه كيف يهدي الضالين وهو في غاية الضلال؟ كيف يدعو إلىٰ التوحيد وهو يحاربه ويحارب أهله؟!

فهذا العلم علم فاسد، علم يبغضه الله -تبارك وتعالىٰ-، ويذم أهله، إما أن يكونوا خواءً من العلم بالمرة، وليس عندهم إلا العلم المذموم الذي هو مذموم في نفسه، وإما أن عنده علمًا قليلًا ضئيلًا يرافقه هوىٰ، فيكون كمن قال الله فيهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ

يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥].

فهؤلاء الدعاة واللهِ ظلمة، ولو أراد الله بهم خيرًا لفقههم في الدين، ولوفقهم لسلوك منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله، فيبدءون بالتوحيد، وتصحيح معنىٰ لا إله إلا الله الذي أفسده أهل الأهواء في عقول الناس، وفي المؤلفات، وفي المدارس، وفي الجامعات.

فتجد دكتورًا يتخرج من جامعة لا يعرف معنىٰ لا إله إلا الله، لا إله إلا الله عندهم: لا حاكم إلا الله، لا خالق إلا الله، لا رزاق إلا الله، لا مسيطر.. لا مهيمن إلا الله، يفسرون لا إله إلا الله بمعاني الربوبية التي لا يكابر فيها أبو جهل، ولا أبو لهب، ولا غيرهم من أئمة الكفر والشرك.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ [لقمان:٢٥].

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس:٣١].

لا يكابرون في معاني الربوبية أبدًا، بل هم مُسلِّمون بها، لا ينازعون في شيء منها، لكن في معنىٰ لا إله إلا الله الحقيقي والأساسي -الذي هو إخلاص الدين لله، وإخلاص العبادة لله- يؤذون الرسل، ويحاربونهم، ويقتلون بعضهم، ويسبونهم، ويشتمونهم، كما يفعل أهل الضلال والبدع الآن في مواجهة أهل التوحيد والسنة، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

ماذا يقولون؟ ماذا يفعلون؟ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ماذا يقولون؟ ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١].

آيات كثيرة في هذا المعنى، لا يكابرون، ولا يجادلون في هذه المعاني التي يؤمن بها القبوريون، ويظنون بذلك أنهم هم الموحدون! يظنون أن هذا هو التوحيد.

لو كان هذا هو التوحيد الذي بُعث به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لكان أبو جهل وأبو لهب من سادات الموحدين، ولكنهم كفار مشركون ولو آمنوا بتوحيد الربوبية، لأنهم يحاربون الله ورسله في توحيد العبادة الذي بعث الله به جميع الرسل -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥].

﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

الآن واللهِ كتبٌ ومجلدات، مجلدات عند الأشعرية وعند الصوفية وعند المعتزلة وعند الخوارج وعند الروافض وعند أئمة السوء والبدع جميعهم، يدرسون كتبًا ومجلدات ويقولون: هذا التوحيد!

وهم لم يدندنوا حول التوحيد الذي بُعث به جميع الرسل -عليهم

الصلاة والسلام-، بل هم أبعد الناس عنه، وإذا فسروا كلمة التوحيد أفسدوا معناها، وجروا الناس من مثقفين وعوام وغيرهم إلىٰ حمأة الشرك في توحيد العبادة.

فيرىٰ بأم عينيه الذبح لغير الله، والاستغاثة بغير الله، والطواف بالقبور، والخوف والرعب من الأولياء أكثر مما يخافون من الله، والاعتماد علىٰ هؤلاء والاستنجاد بهم في الشدائد.. إلىٰ صنوف الشرك الكثيرة التي دخلت علىٰ الأمة، من إفساد تفسير لا إله إلا الله، ومن دندنتهم حول توحيد الربوبية، وجهلهم المطبق بمعاني التوحيد وبحقائق التوحيد التي أصل أصولها معنىٰ لا إله إلا الله.

فطالب العلم أول ما يجب عليه أن يتعلمه أن يتعلم معنىٰ لا إله إلا الله قبل كل شيء، أن يُلَقَّن معنىٰ لا إله إلا الله تلقينًا صحيحًا، الكافر الجاهل أول شيء تبين له معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

«أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشهَدُوا أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم، وَأَموَالَهُم إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُم عَلَىٰ اللهِ»(١).

الصحابة لما كانوا يعلمون الناس لا إله إلا الله، والتابعون وأتباع التابعين لما يعلِّمون الفرس والرومان والترك والزنج والبربر وغيرهم من

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الشعوب التي فتحوها كيف كانوا يعلمونهم معنىٰ لا إله إلا الله؟

أيقول: لا خالق.. لا رازق إلا الله، لو علمهم هذا ما دخلوا في الإسلام، لأنهم يعلِّمونهم شيئًا هو تحصيل حاصل عندهم، لكن علَّموهم معاني لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، معناه نبذ الأوثان هذه، وإحراقها، وتدميرها، ولا يقدم لها شيء من حقوق الله التي تضمنتها لا إله إلا الله، يكونون قد نبذوا الكفر والأوثان، وارتبطوا بالتوحيد الصحيح، ثم قامت عليه أعمالهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج.

وعلىٰ هذا الترتيب كانت دعوة أهل الكتاب، أهل الكتاب كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ويؤمنون بالنبوة، ويؤمنون بالبعث، ولكن لما فسد معنىٰ لا إله إلا الله في أذهانهم كان يجب علىٰ الداعي المسلم أول ما يبدأ بتصحيح ما عندهم من ضلال، بدعوتهم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ.

«فَإِن هُم أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَخبِرهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي اليَوم وَاللَّيلَةِ، فَإِن هُم أَطَاعُوكَ بِذَلِكَ، فَأَخبِرهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِن أَغنِيَائِهِم فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِم، فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَموَالِهِم، وَاتَّقِ دَعوَةَ المَظلُومِ، فَإِنَّهُ لَيسَ بَينَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ»(١).

فطالب العلم أول ما يتعلم معنىٰ لا إله إلا الله، ثم يتعلم القرآن حفظًا

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وفهمًا، ثم يتعلم سنة رسول الله ﷺ، ثم يدرس عقائد التوحيد، عقائد السلف، ويبدأ بعقائد السلف الأولين، يدرسها من كتبهم، وهي منتشرة الآن ولله الحمد، يدرس «خلق أفعال العباد» للبخاري، ويدرس «كتاب الإيمان» للبخاري، ويدرس «كتاب التوحيد» من الصحيح «صحيح البخاري»، ويدرس «كتاب الاعتصام» من «صحيح البخاري»، ويدرس «أصول السنة» للإمام أحمد التي ضل عنها كثير من الناس، وضيعوا كثيرًا من الأصول- أصول أهل السنة- وإن انتسبوا إليها.

وضيعوا كثيرًا من أسسها العظيمة مع الانتساب بحماس إلىٰ السنة والجماعة، وقد ضيعوا كثيرًا من هذه الأصول، و«أصول السنة» لابن أبي حاتم التي رواها عن أبيه وعن أبي زرعة، و«كتاب التوحيد» لابن خزيمة، و«الرد علىٰ بشر المريسي» لعثمان بن سعيد الدارمي، يبين فيه أسماء الله وصفاته علىٰ الوجه الصحيح، ويرد علىٰ المحرفين والمبطلين من الجهمية ومن سار علىٰ دربهم من المعتزلة وأهل الضلال.

ويدرس «السنة» للالكائي، و«الشريعة» للآجري، ونسأل الله أن يخرج هذا الكتاب كاملًا، فإنه إذا خرج هذا الكتاب كاملًا فسيرىٰ كثير من المنتسبين إلىٰ السنة أنهم جهلوا أصولًا، وضيعوا أصولًا كان أهل السنة والجماعة لا يعتبرون أحدًا من أهل هذه السنة إلا إذا دان بهذه الأصول، وآمن بها، ودعا إليها، ووالىٰ فيها، وعادىٰ فيها، وكذلك «شرح أصول السنة» للالكائي، وهو كتاب مطبوع وكامل.

فعلىٰ الشباب أن يتوجهوا لينهلوا منها، ليصح لهم الانتماء إلىٰ أهل السنة والجماعة، والانتماء إلىٰ السلف الصالح، أما أن نقلد المتأخرين من جهلة الصوفية ومن جهلة الروافض والمبتدعة والخوارج، ثم نقول: إنا أهل سنة. ونقلدهم فيما نرىٰ أنه أهم أمور ديننا، وإن كان مهمًّا، ولكنه ليس كما يتخيلون، فنطلب العلم، ونتفقه في الدين، من كتاب الله ﷻ، ومن سنة رسول الله ﷺ، ومما دونه السلف الصالح حول العقائد والعبادات والأخلاق والولاء والبراء.

«**مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، هذا الفقه فقه السلف الصالح الشامل لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، عقيدةً وشريعةً وعبادةً وأخلاقًا وسياسةً.

كثير من السياسات المطروحة علىٰ الشباب الآن بعيدة كل البعد عن كتاب الله ﷻ وعن سنة رسول الله ﷺ وعن منهج السلف الصالح، بل كثير منها يدور حول أصول الماسونية، وأصول أهل الغرب الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لَتتبِعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم حَذوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حَتَّىٰ لَو دَخَلُوا جُحرَ ضَبٍّ لَدَخَلتُمُوهُ**»(١).

واللهِ رأيت بعض الناس يكتب ويقول: لا يمكن أن نفهم طريقنا، وتستبين لنا السبل إلا إذا درسنا «بروتوكلات حكماء صهيون»، وكتب المخابرات الأمريكية، وكتب كذا وكذا، وإنه يجب علىٰ المدارس كلها أن

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تدرس هذه الكتب، وعلىٰ الجماعات كلها -بل جماهير الأمة- أن يدرسوا هذه الكتب، فإن لم يدرسوها فسيظلون في جهل مطبق، لا يميزون بين عدو وصديق!!

سبحان الله! القرآن لا يميز لنا بين عدونا وصديقنا، الله ﷻ حذرنا من شر الكفار، ومن شر اليهود، ومن شر النصارىٰ، وأخبرنا عن خبثهم، وعن حقدهم، وعن عدائهم للمسلمين، وكان السلف الصادق الواعي يكتفي بهذه التنبيهات من ربنا ﷻ، ويعد العدة لدعوة هذه الأمم إلىٰ توحيد الله وإخلاص الدين له وإن أبوا فجهادهم حتىٰ ينصرهم الله -تبارك وتعالىٰ-.

هؤلاء يقولون هذا هو العلم فقه الواقع! فقه الواقع هو العلم، فهل فقه الكتاب والسنة لا يمكن أن يخرج أصحابه من دوامة العمىٰ والجهل المطبق؟ ولا يصلح-أصحابه- لشيء؟ لا لحل مشاكل، ولا لمواجهة الشبهات؟ ولا يصلحون لشيء؟ ولا يصلح لمواجهة أعداء الله إلا من يدرس فقه الواقع ويفهمه؟!

فقه الواقع من أين؟ من الصحف، من المجلات؟ من كتب المخابرات الأمريكية؟ من كتب حكماء صهيون؟ من هذه الكتب الذي يعرفها يستطيع أن يحل مشاكل الأمة، وأن يقود الأمة، وهو الذي يصلح لقيادة الأمة؟

عرفتم نحن نرىٰ أن علىٰ بعض من ركب الله في عقولهم شيئًا من السياسة أن يُعنوا بهذه الأمور، وأن يتركوا الأمة تدرس دينها، وتربي الأمة

علىٰ هذا الدين، أما أن نوجه الأمة كلها إلىٰ السياسة واللهِ نضيِّع ديننا بهذا السبب، بهذا التوجيه السفيه الطائش، تُوجه الأمة كلها إلىٰ السياسة، يكونون كلهم سياسيين! هل الرسول ﷺ وجه الأمة إلىٰ هذا التوجيه؟ لا واللهِ.

اللهُ وجهنا إلىٰ دراسة كتاب الله وسنة الرسول واعتقاد ما فيهما، وهذا يستغرق منا دهرًا طويلًا، فإذا انشغلنا بالصحف والمجلات إذن ما فيه مجالٌ لفهم هذا الدين!

ولهذا نراهم من أجهل الناس بدين الله، وأبعد الناس عن الأخلاق الإسلامية، لأنهم يتربون علىٰ الكذب، لأن كل إناء ينضح بما فيه، لما يتعلق بدراسة كتب ومناهج للكافرين في الكذب، والمراوغات، والمناورات، والحيل، ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

كما نرىٰ هذا الآن عند الأحزاب السياسية، لا تجد حزبًا سياسيًّا علىٰ وجه الأرض إلا وهم أكذب الناس، وأشد الناس بغضًا لخلاصة المسلمين، وأشد الناس حقدًا وعداءً لخلاصة خلاصة أهل السنة، لأن هذه الكتب لا تُعلم إلا الخبث والكيد والمكر والشر، فنعوذ بالله.

نضحي ببعض السياسيين، لكن نضحي بالأمة كلها، يصبحون كلهم خونة ومجرمين وكذابين أفاكين، بذلك نضيِّع ديننا، وتضيع الأمة، ثم نسأل: ماذا حققوا للإسلام؟ وماذا حققوا للمسلمين؟

بعض الأحزاب قامت الآن من أكثر من ستين سنة، ما الذي حققوه للإسلام إلا إفساد العقائد، وإفساد الأخلاق، والتربية علىٰ الكذب والفجور

-والعياذ بالله-، فالذي يتعلم القرآن والسنة يتعلم الصدق، يتعلم العقائد الصحيحة، ويتعلم الأخلاق الفاضلة، والرحمة، والعطف علىٰ المسلمين.

نحن الآن نكتب لإنقاذ الشباب من منطلق الرحمة بهم، فيعلمهم هؤلاء السياسيون الأفاكون يعلمونهم كيف يقذفوننا، وكيف يحاربون الكتب الداعية إلىٰ السنة، والمحاربة للكفر والشرك والبدع والضلال، ويربونهم علىٰ الكتب المليئة بالفجور، والعقائد الفاسدة، والتي تعلمهم الكذب والفجور والخيانة والغش والحقد علىٰ أهل الحق.

فطلعت هذه الأصناف علىٰ الأمة بهذه الأخلاق، لا مُنقِذ لهم إلا أن يعودوا من جديد، ويبدءوا من جديد إن أرادوا لأنفسهم خيرًا وللأمة خيرًا، يعودون من جديد، فيتعلمون هذا الدين وهذا العلم، ولا يتبعون الهوىٰ، فإن تلك الكتب تعلم الناس اتباع الهوىٰ واتباع الباطل، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥].

الذي يتعلم في هذه الكتب يتعلم الكذب والهوىٰ والدجل والغش والخيانة والخبث والشر، لأن هذا الذي تنضح به، وكل إناء بما فيه ينضح.

تعلموا القرآن يا إخوة يكفيكم، والله ﷻ يحرُس هذه الأمة، ويحميها من مكائد أعدائها، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق:١٥-١٧].

فالله ﷻ يدافع عن الذين آمنوا، نحن نتعلم القرآن والسنة، ونأخذ بطرف، ما نوغل بالأمة كلها في ميادين السياسة ، وفي هذا الكذب والدجل،

نسوق الأمة كلها بقضها وقضيضها لدراسة كتب ماركس ولينين، والمخابرات الأمريكية، والمخابرات السوفيتية، ومخابرات اليهود و.. و.. إلىٰ آخره، تفني الأمةُ أعمارَها في دراسة هذه، ولا تفهم شيئًا من دين الله -تبارك وتعالىٰ-.

يا إخوة سامحونا، واقع الحياة يدفعنا من حيث لا نشعر إلىٰ الدخول في معالجة أمور تمس حياة الأمة، ولابد من إلقاء أضواء عليها، ليتميز الحق من الباطل.

ذكرنا حديث معاوية ﷺ في الفقه في الدين، وأقول: أنا والله أعلم ما ابتعدنا كثيرًا في فقه هذا الدين -إن شاء الله-، ونذكر بعض الأحاديث التي تبين فضل العلم والعلماء، وتحث علىٰ الإخلاص في طلب العلم.

فمن هذه الأحاديث: حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلمِ كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرضًا، فَكَانَ مِنهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنبَتَتِ العُشبَ وَالكَلأَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنهَا أَجَادِبُ أَمسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَسَقَوا مِنهَا وَشَرِبُوا وَزَرَعُوا، وَكَانَ مِنهَا طَائِفَةٌ أُخرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمسِكُ مَاءً، وَلَا تُنبِتُ كَلأً**».

ثم قال ﷺ: «**فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ، فَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ. وَمَثَلُ مَن لَم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا، وَلَم يَقبَل هُدَىٰ اللهِ الذِي جِئتُ بِهِ**»[1] أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٩).

فهنا صنَّف رسول الله الناس ثلاث أصناف كأصناف الأرض: فمن العلماء من يعي العلم، ثم يعمل، ثم يُعلِّم، هذا مثله مثل الأرض الطيبة التي تقبل الماء، ثم تنبت، وتثمر، يفقه هذا الدين، يحفظه، ويفقهه، ويستنبط منه الأحكام والعقائد والعبادات، ويستخرج من النصوص ما ينفع الله به الأمة، ثم يعلم، ثم يعمل.

وطائفة ثانية عندها قدرة علىٰ الحفظ، وجِدٌّ فيه، وشيءٌ من العمل، ولكن ليس علىٰ وجه الكمال، إما تقصير في المستحبات والسنن، وإما عجز عن الفقه، ولكنه يؤدي هذا العلم الذي حفظه إلىٰ الناس، فيستفيدون منه، «**رُبَّ حَامِلِ فِقهٍ إِلَىٰ مَن هُوَ أَفقَهُ مِنهُ**»[1].

قد يحفظ هذا العلم، ثم ينقله إلىٰ غيره، فيفقه الناسُ هذا المنقول إليه، فهذا مثل تلك الأرض الأجادب التي تمسك الماء وتمسكه بأمانة، ثم يأتي الناس يتصرفون فيه، ويستفيدون منه، فيسقون منه دوابهم وزروعهم، ويشربون منه، وما شاكل ذلك، استفاد منه الناس.

والطائفة الثالثة لا يحفظون، ولا يفهمون، ولا يَعُون، بل هم معرضون، هؤلاء من شر الخلق -والعياذ بالله-، فهم كالأرض القيعان الملساء التي لا يستقر عليها الماء، أو كالأرض السبخة التي تفسد الماء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٦) من حديث زيد بن ثابت ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٣).

فلهذا، قال ﷺ: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَن نَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ، وَعَلَّمَ»، يشمل الصنفين، والصنف الثالث هو الذي لم يستفد شيئًا، ولم يحفظ شيئًا من هذا الخير الذي جاء به محمدﷺ، فلا ينتفع في نفسه، ولا ينفع الآخرين، بل قد يكون وجوده ضررًا على الأمة وشرًّا عليها -والعياذ بالله-.

فينبغي أيها الإخوة أن نحرص كل الحرص أن نستفيد من هذا الغيث، هذا الوحي الذي جاء به محمدﷺ، نستفيد منه، وأن تجند طوائف لحفظ هذا العلم، والتفقه فيه، والذي يعجز على الأقل يحفظ هذا الخير بأمانة للناس وينقله، فلعل من يصل إليهم من طلابه يكون فيهم من هو أفقه منه، وأقدر على تفهيم الناس وتفقيههم في دين الله ﷻ.

فهذا العلم وهذا الوحي الذي جاء به محمدﷺ لا يزال محفوظًا غضًّا طريًّا لم يذهب منه شيء، كلمة واحدة لم تذهب منه، وما استطاع أحد أن يدس كلمة فيما جاء بهﷺ.

أما القرآن، فالأمة من ذلك العهد تتناقله جيلًا عن جيل، ولا يستطيع أحد أن يزيد نقطة أو حرفًا، أو ينقص منه.

وأما السنة، فقد هيأ الله لها رجالًا من أئمة الحديث، فحفظوها، ودوَّنوها، وميزوا بين صحيحها وسقيمها، وتكلموا في رجالها جرحًا وتعديلًا، فلا يفوت شيء من هذه السنة، لا يستطيع أحد أن يدرج كلمة، فإذا أدرجها بقصد أو بغير قصد، فلابد أن يقولوا: هذه الكلمة مدرجة، هذه الواو زائدة، كما يقول

ابن حبان: «لا يستطيع أحد أن يزيد في سنة محمد ﷺ حرفًا، لا واوًا ولا ياءً ولا غيرهما»[(١)].

لو زاد أحد حرفًا واحدًا في هذه السنة لكشفه الله إن كان بغير قصد أو بقصد، فهذا الدين محفوظ بحفظ الله -تبارك وتعالىٰ-، ونحن مكلفون بحفظه، ووعيه، ودراسته، والفقه فيه، لا فرق بيننا وبين الصحابة في هذا التكليف: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

فهم أحرزوا رضوان الله -تبارك وتعالىٰ- بثباتهم علىٰ الحق وتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، ونحن لا نكون من أتباعهم إلا إذا أحسنا هذا الاتباع وذلك بالسير علىٰ نهجهم في التمسك بالكتاب والسنة والثبات عليهما ولا ننال رضوان الله إلا بذلك.

كما قال الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-: «**افتَرَقَتِ اليَهُودُ إِلَىٰ إِحدَىٰ وَسَبعِينَ فِرقَةً، وَافتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ إِلَىٰ اثنَتَينِ وَسَبعِينَ فِرقَةً، وَسَتَفتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ إِلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»[(٢)].

(١) انظر: «المجروحين» لابن حبان (١/ ٥٧-٥٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٢).

الرسول ﷺ ما كان هو وأصحابه إلا على كتاب الله وسنة رسول الله، على: قال الله، قال رسول الله، في عقائدهم، وعباداتهم، وجهادهم، وأخلاقهم، وبيعهم، وشرائهم، ومعاملاتهم مع المسلمين ومع الكفار، كلها مستمدة من كتاب الله ومن سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

فعلينا أن نحافظ على هذه الميزة، أن نكون على ما كان عليه رسول الله وأصحابه، وإلا فإن طلب العلم لن يغني عنا شيئًا، ونصير كما قال الله في شأن اليهود: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الجمعة:٥].

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦] والعياذ بالله.

ففيه تكذيب صريح، فيه تكذيب عملي، يقال له: الله فوق! يقول: لا! الله تحت ! الله في كل مكان!

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] يقول لك: لا! حرام، هذا شرك، هذا كفر، هذا تجسيم!

ماذا استفاد من آيات علو الله؟ وماذا استفاد من الآيات التي تثبت استواء الله على عرشه؟ ما استفاد منها شيئًا، الله رحيم غفور سميع بصير

يقول: لا لا لا، الله منزه عن هذا! ماذا استفاد؟ هذا تكذيب عملي، وإن لم يكن تكذيبًا قوليًّا فهو تكذيب عملي -والعياذ بالله-.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ [الأحقاف:٥]

يقول: لا واللهِ أنا تلوت على واحد صوفي يدعو غير الله، يا فلان! يا فلان! قلت: يا أخي! اتق الله، الله يقول: كذا، وأتلو عليه آيات تبين أن دعاء غير الله كفر وشرك، ولكنه اتجه: يا عبد القادر يا جيلاني يا فلان! يا فلان! يا فلان! كذب بهذه الآيات، وعاند واستكبر.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

سمَّىٰ الدعاء عبادة، وبين حال الأولياء الذين يتعلق بهم هؤلاء ما موقفهم من هؤلاء المنحرفين يوم القيامة؟ هي البراءة، ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ العداوة والبراءة منهم.

واللهِ يقول: نحن ندعو إلىٰ عبادة الله وحده، وإخلاص الدعاء له، وأنتم أمركم الشيطان بدعائنا واتخاذنا أندادًا مع الله ﷻ، فنحن نبرأ إلىٰ الله من هذه العبادة التي جعلتمونا فيها مع الله أندادًا وشركاء، ونبرأ إلىٰ الله منكم، ونكفر بكم.

أنت تقرأ الآن هذه الآيات علىٰ كثير من علماء الصوفية القبوريين، ومن غيرهم، ومن الروافض، وغيرهم فلا يرفعون رأسًا بمثل هذه الآيات،

لا يرفعون رأسًا، يكذبون بها تكذيبًا عمليًّا، ويجرهم الشيطان إلىٰ حمأة الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ-.

وكثير من هؤلاء تقوم عليهم الحجة، ويفهمون هذه الآيات الداعية إلىٰ التوحيد التي تدمغ من يدعو غير الله، ويذبح لغير الله، ويصرف عبادته لغيره يعرفها حق المعرفة، ولكن حبه للجاه وللمناصب وللمال، ولأسباب أخرىٰ تربطه بواقعه السيئ، وبالأوغاد الذين يلهثون من ورائه، ويجعلون منه إمامًا وعالمًا وقائدًا، فيتعاون مع هؤلاء علىٰ محاربة التوحيد والسنة، وعلىٰ التكذيب بهذا الحق وهذا الخير وهذا التوجيه.

فهناك تكذيب قولي، وتكذيب عملي، فاليهود يؤمنون بما في التوراة، لكن سماهم الله مكذِّبين، لأنهم لا يعملون بها، لا يعملون بما تضمنته، لما جاءهم محمد ﷺ وفيها البشائر به، وفيها صفاته، وفيها الحديث عن القرآن، وفيها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [محمد:٢٩] إلىٰ آخر هذه الصفات، كلها موجودة في التوراة، ولكن يقول: لا... التوراة تعني بهذه النصوص ناسًا آخرين غير محمد وأصحابه، فهذا تكذيب منهم لكتابهم وإن قالوا: إنا نؤمن به ونؤمن بموسىٰ، فهذا إيمان لا يجدي شيئًا، ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٣].

فنحن يجب أن نركِّز علىٰ آيات التوحيد وأحاديث التوحيد، ونركِّز علىٰ سائر نصوص القرآن والسنة -فهمًا، وعلمًا، وعملًا-، ونكون مثل تلك الأرض الطيبة التي تستقبل هذا المطر وهذا الخير، وتستوعبه، ثم تثمر، وتزرع،

وتقدم للناس الخير النافع الكثير، لنكون من هذا الصنف -إن شاء الله-، علىٰ الأقل نحفظ هذا الدين بأمانة، وننقله لغيرنا بأمانة، دون تحريف، ودون تلاعب بالنصوص، فنكون مشاركين في الخير، وفي نفع الناس، ولا يكون واقعنا واقع الصنف الثالث وما شابهه ومن نحا نحوه.

وهذا حديث ورد فيه ذكر الإخلاص في طلب العلم، الرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**مَن طَلَبَ عِلمًا مِمَا يُبتَغَىٰ بِهِ وَجهُ اللهِ لِغَرَضٍ مِن أَغرَاضِ الدُّنيَا، إِلَّا لَم يَجِد عَرْفَ الجَنَّةِ**»[(١)].

من طلب علمًا مما يبتغىٰ به وجه الله، القرآن والسنة وما دار في فلكها، لا يطلبه إلا لغرض من أغراض الدنيا، إلا لم يرح رائحة الجنة، هذا مراء، «**مَن عَمِلَ عَمَلًا أَشرَكَ مَعِي فِيهِ غَيرِي تَرَكتُهُ وَشِركَهُ**»[(٢)].

وهذا الرياء خطير يا إخوتاه، الرسول ﷺ والله يخافه علىٰ أمته أكثر من خوفه من الدجال، يخاف علىٰ أمته من هذا الشرك الخفي أكثر مما يخاف عليها من الدجال، أمر خطير جدًّا، فقد لا يسلم منا أحد، لكن يحتاج إلىٰ مجاهدة، وإلىٰ جهاد، وإلىٰ حذر شديد، فإن الشيطان -لعنة الله عليه- يسعىٰ جادًّا في أي عمل صالح يقربك إلىٰ الله يسعىٰ في إفساده، وفي إحباطه، وفي ألا تستفيد منه، بل لينالك منه الضرر في الدنيا والآخرة.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الرسول ﷺ: «**أَلَا أُخبِرُكُم بِأَخوَفِني عَلَيكُم مِنَ الدجَّالِ، الشِّركُ الخَفِي، يَقُومُ الرَّجُلُ يُزينُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَىٰ مِن نَظَرِ رَجلٍ إِلَيهِ**»(١)، إذا صلىٰ لحاله في بيته قد يقصر في حق الصلاة من خشوع وطمأنينة ومستلزمات الصلاة الأخرىٰ، فإذا صلىٰ أمام الناس، تظاهر بالخشوع، والطمأنينة، وإطالة الركوع، وإطالة السجود، وما يسمىٰ تزيينًا لهذه الصلاة.

فهذا أمر خطير جدًّا يحبط الأعمال، سواء في طلب العلم، وسواء في الصدقة، وسواء في الصلاة، وسواء في الجهاد، وفي أي ميدان من ميادين الأمور التي يُتَقَرَّبُ بها إلىٰ الله، إذا لم يكن القصد خالصًا لله، والنية خالصة لله، بريئة من كل الشوائب، فإنها تعود وبالًا علىٰ صاحبها.

وأذكر حديثًا يخص طلاب العلم والمجاهدين والمتصدقين، وأختم بذلك هذه الكلمة التي أرجو الله أن ينفع بها.

يروي أبو هريرة ﷺ كما في صحيح مسلم عن النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَن يُقضَىٰ عَلَيهِ: رَجُلٌ استُشهِدَ، فَيُؤتَىٰ بِهِ، فَيُعَرِفُهُ اللهُ نِعَمَهُ، فَيَعتَرِفُ بِهَا، فَيَقُولُ لَهُ: مَاذَا عَمِلتَ فِيهَا؟ فَيَقُولُ: قَاتَلتُ فِيكَ يَا رَب حَتَّىٰ استُشهِدتُ. فَيُقَالُ: كَذَبتَ، إِنَّمَا قَاتَلتَ، لِيُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَد قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجهِهِ إِلَىٰ النَارِ**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٧).

قاتل في سبيل الله، قدَّم نفسه، قدَّم ماله، لكن نيته ما هي؟ لا يريد وجه الله، في الظاهر أنه يريد الله، ويريد إعلاء كلمة الله، لكن في حقيقة نفسه هو لا يريد هذا، يريد شيئًا آخر، يريد أن يمدح، ويقال: فلان الشهيد. قال الناس: شهيد، وقتل في سبيل الله، واستشهد، وذكروا شجاعته وجرأته. يقول الله: «فَقَد قِيلَ»، هذا قيل، لا تريد إلا المدح والتمجيد، فهذا جزاؤك ..... ما يستحق الجنة، لأنه ما قاتل لله، لو قاتل لله وأخلص لله لوجد عند الله أعظم الجزاء.

«أَروَاحُ الشُّهَدَاءِ تَسرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيثُ شَاءَت»(١).

كذلك: «إِنَّمَا نَسَمَةُ المُؤمِنِ طَيرٌ يَعلَقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ يرجِعَهُ اللهُ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَومَ يَبعَثُهُ»(٢)، أرواح المؤمنين في الجنة، فيعطي الله المجاهد في سبيله مائة درجة، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، حُرِم من هذا كله! بسبب سوء قصده، بسبب سوء نيته، بتفاهة مقاصده، فقضية الإخلاص في كل قول وعمل أمر يحتاج إلىٰ جهاد النفس، لا تسترسل هكذا كأنك آمن، ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، فإن هذه النوايا السيئة تزيغ القلوب، فيؤدي زيغ القلوب إلىٰ الهلاك، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

الرجل الثاني: «رَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلمَ، وَتَعَلَّمَ القُرآنَ، يُؤتَىٰ بِهِ، فَيَقُولُ اللهُ

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٣٧).

لَهُ... يُعَددُ اللهُ عَلَيهِ نِعَمَهُ، فَيَعرِفُهَا، فَيَقُولُ: مَاذَا عَمِلتَ فِيهَا؟ فَيَقُولُ: تَعَلمتُ فِيكَ العِلمَ، وَعَلَمتُهُ، وَتَعَلمتُ القُرآنَ، وَقَرَأت القُرآنَ، قَالَ: كَذَبتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمتَ العِلمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأتَ القُرآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَد قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجهِهِ إِلَىٰ النَّارِ».

هذا جزاؤه، لو أخلص لله، لرفعه الله أعلىٰ الدرجات، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] في الجنة، والعلماء ورثة الأنبياء وهذا ليس منهم، لأن الأنبياء ورثوا العلم، ورثوا الإخلاص في العلم، فما عنده شيء من هذا، ما عنده إلا أن يقال: فلان عالم! فلان قارئ!

هذه غايته، غاية تافهة، ماذا ينفعك الناس؟ لا ينفعونك شيئًا، واللهِ لن يغنوا عنك شيئًا، لو مدحوك وكتبوا فيك المجلدات في مدحك يكون هذا كذبًا وأنت لا تستحق شيئًا من هذا الكذب الذي يُضفُونه عليك، حب المدح فتنة يا إخوتاه، حب المدح فتنة، حب ثناء الناس يقود إلىٰ الرياء وإلىٰ الهلاك والدمار، فنعوذ بالله.

انظر كل هؤلاء الثلاثة، الثالث الآتي المتصدق، ما الذي أهلكهم؟ حب المدح، حبهم المدح، فيقعون في الهلاك -والعياذ الله-، فتضيع عليهم هذه الأعمال العظيمة، التي لو خلصت لله لرفعهم الله -تبارك وتعالىٰ- بها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، ولكنهم بعدم إخلاصهم لله يحشرون مع الشياطين، ومع الكافرين، والمجرمين، وبئس الرفقاء -والعياذ بالله-.

والثالث: «رَجُلٌ أَعطَاهُ اللهُ مِن أَصنَافِ المَالِ، فَيُؤتَىٰ بِهِ، فَيَسأَلُهُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: مَاذَا عَمِلتَ فِي هَذَا المَالِ؟ فَيَقُولُ: مَا تَرَكتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أَن يُنفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنفَقتُ فِيهَا. فَيُقَالُ: كَذَبتَ، إِنَّمَا فَعَلتَ، لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، وَقَد قِيلَ. ثُمَّ يُؤمَرُ بِهِ فَيُسحَبُ عَلَىٰ وَجهِهِ فِي النَّارِ»[1].

وفي حديث آخر هؤلاء أول من تسعر بهم النار، حديث آخر لأبي هريرة قريب من هذا الحديث[2]، فهؤلاء الثلاثة، ضرب النبي ﷺ علىٰ فخذ أبي هريرة وقال: «هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ مَن تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارِ» -والعياذ بالله-، هذا مصير الشرك الخفي الذي يخافه علينا رسول الله ﷺ أكثر مما يخاف علينا من الدجال، وهذه إنذارات من رسول الله ﷺ.

فطالب العلم الصادق الذي يريد وجه الله يجب أن يستحضر مثل هذه الأحاديث عند كل إلقاء درس، وعند كل خطبة، وعند كل عمل صالح، يجب أن يستحضر مثل هذا الحديث، حتىٰ لا يقع في مثل ما وقع فيه هؤلاء الثلاثة الذين هم أول من تُسَعَّر بهم النار.

فنسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يجعلنا وإياكم ممن يتعلم العلم النافع، الذي يقربه إلىٰ الله ويُعلي منزلته عند الله، وأن يجنبنا وإياكم علوم السوء وأن يجنبنا الرياء.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧١٣).

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها، إنك ربنا لسميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

إن الله لا يقبض العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبع هداه.

أما بعد:

فقد جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنتَزِعُ العِلمَ مِنَ النَّاسِ بَعدَ أَن أَعطَاهُمُوهُ، وَلَكِنَّهُ يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَم يُبقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا»**(١).

هذا الحديث يدل علىٰ فضل العلم ومكانته، ويدل علىٰ فضل حملته من العلماء الأخيار الذين يرفع الله بهم شأن هذه الأمة، ويرفع الله درجاتهم في الجنة، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، فالعلماء لهم مكانة عند الله -تبارك وتعالىٰ- ومنزلة عظيمة، لأنهم يهدون بالحق، وبه يعدلون، وعليه يُربُّون -رضوان الله عليهم-.

العلماء الصالحون العاملون هم المحمودون في كتاب الله ﷻ وفي

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

سنة رسول الله ﷺ، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، وخشية الله منزلة عظيمة، أعدَّ الله لأهلها المنازل العظيمة في الجنة.

فعلينا أن نتعلم العلم، وأن نعمل به مخلصين له، وأن نخشىٰ الله به، ونراقبه بهذا العلم وفي ضوئه، فنأخذ العقائد الصحيحة، ندين الله بها، ونعلم الناس هذه العقيدة، ونعلِّم الناس شرائع الإسلام، من التمييز بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والضلال والهدىٰ.

هذا العلم وهؤلاء العلماء يحفظ الله بهم وبالعلم هذه الأمة، فإذا انقرض العلماء كان هذا نذيرَ سوء، ونذير هلاك ودمار يلحق بهذه الأمة، لأنه إذا انقضىٰ العلماء وانتقلوا إلىٰ عفو الله ورحمته -إن شاء الله- يخلفهم خلوف سوء من رؤساء الجهل والأهواء والضلال، فيقودون الأمة إلىٰ المهالك، وإلىٰ منازل الذل والهوان، يسألونهم في العقائد فيفتون في الشرك والضلالات والبدع، ويسألونهم في المحرمات فيُحِلُّون لهم الربا والرشوة وما شاكل ذلك، ويبيحون لهم أنواعًا وأنواعًا من المحرمات بجهلهم وضلالهم، كما قال الرسول: «**فَإِذَا لَم يُبقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءوسًا جُهَّالًا**».

يتخذونهم رءوسًا يظنون أنهم علماء، وهم جهال، جاهلون بالعقائد الإسلامية والشرائع الإسلامية، جاهلون بكتاب الله ﷻ وبسنة رسول الله ﷺ، عندهم إقدام علىٰ الكبائر والرذائل، لماذا؟ لأنهم لا علم عندهم

يحجزهم، ويكبح جماحهم، ويوقفهم عند حدودهم.

فيقودون الناس بهذا الجهل وبهذا الضلال إلىٰ الهلاك والمهالك، فيصبح الناس لا يميِّزون بين حق وباطل، ولا بين حلال ولا حرام، ولا يحترمون الأخلاق، ويختلط الحابل بالنابل، وتفسد المجتمعات، ويفسد النساء والرجال علىٰ أيدي كثير من جهلة الروافض، وجهلة الصوفية، وجهلة الأحزاب الضالة، قادوا الناس إلىٰ المهالك والضلالات.

ويصدق عليهم قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**افتَرَقَتِ اليَهُودُ إِلَىٰ إِحدَىٰ وَسَبعِينَ فِرقَةً، وَافتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ إِلَىٰ اثنَتَينِ وَسَبعِينَ فِرقَةً، وَسَتَفتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ إِلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»(١).

رؤساء هذه الفرق جهَّال، والعلماء لا يبتدعون في دين الله شيئًا، وإنما يتقيَّدون بشرع الله، ويجدون في شرع الله ما يسع هذه الأمة في شئون دينها ودنياها، فلم يَضِق بهم دين الله -تبارك وتعالىٰ- فيذهبون كما يذهب هؤلاء الرءوس الجهال يبحثون عن البدع والضلالات المهلكة، ثم يوقعون الأمة في حمأتها.

لم يبتدع عالم قط -كما قال بعض العلماء-، وليس في رءوس البدع والضلال عالم، ولا يجوز أن يُسَمَّوا علماء، لأن العلماء في الشريعة

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٢).

الإسلامية هم الذين فقهوا دين الله، «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّههُ فِي الدِّينِ»(١)، يفقهه في هذا الدين، يفقه في عقائده، وعباداته، ومعاملاته، وسياساته، وما شاكل ذلك مما يهم الإسلام والمسلمين في دينهم ودنياهم، وما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وما يحفظ عليهم عزتهم وكرامتهم، أما الجهال فيقودون الناس إلىٰ البدع والضلالات، وإلىٰ ما يبعدهم عن الله، وإلىٰ ما يدخلهم النار.

كما قال الرسول -عليه الصلاة والسلام- حينما قرأ قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣] قال: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُستَقِيمًا، وَهَذِهِ السُّبُلُ...» خط عن يمينه وعن شماله خطوطًا وقال: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيسَ مِن سَبِيلٍ إِلَّا وَعَلَيهَا شَيطَانٌ يَدعُو إِلَيهَا»(٢).

وفي حديث آخر: «مَنِ استَجَابَ لَهُم قَذَفُوهُ فِيهَا»(٣): قذفوه في النار، وهم هؤلاء الرءوس الجهال.

وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ»(٤).

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة ﷺ.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢٢٩) من حديث ثوبان ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٣).

وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ حينما أنذرهم فتنة الدجال، وبين لهم صفاته وأخطاره، وما يجري علىٰ يديه الخبيثتين ممَّا ظاهره آيات، من الماء، ومن الجنان، ومن قوله للسماء: أمطري، فتمطر، وللأرض: أنبتي، فتنبت، فينبهر به الجهلاء فيؤلهونه، ويعتقدون أنه ربهم، وإلىٰ آخر الضلالات، ثم قال الرسول -عليه الصلاة والسلام- لما أهمهم أمر الدجال: **«غَيرُ الدَّجَالِ أَخوَفُنِي عَلَيكُم»**[1].

«الدجال يلبث في هذه الأمة أربعين يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الدنيا هذه»[2].

لكن هؤلاء منذ انقرضت القرون المفضلة الأولىٰ أمسكوا بزمام كثير من الأمة، وقادوهم إلىٰ الجهالات والضلالة، فخرجت هذه الفرق المنحرفة الموعودة بالنار علىٰ أيدي هؤلاء الدجاجلة الجهال، الذين خاف رسول الله ﷺ علىٰ أمته من خطرهم وشرهم، وحذَّرهم من خطرهم وشرهم، كما حذَّر هذه الأمة من الدجال بل أشد، قال: **«غَيرَ الدَجَالِ أَخوَفَنِي عَلَيكُم مِنَ الدَّجَالِ»**

هؤلاء الجهلة الدجاجلة أهلكوا هذه الأمة، أوبقوها، أوقعوها أو كثيرًا منها في المخازي في الدنيا وفي الآخرة، هذا يدلنا علىٰ خطورة الجهل

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) التخريج السابق.

والجهلاء، وذاك يدلنا علىٰ مكانة العلم والعلماء.

فعلىٰ الطائفة المنصورة التي بشر رسول الله ﷺ ببقائها وبنصرها، وأنه لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتىٰ يأتي وعد الله -تبارك وتعالىٰ-، علىٰ هذه الجماعة المباركة الطيبة أن تتآخىٰ في الله، وأن تتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وأن تشمِّر عن سواعد الجد، لتبقىٰ بهذه الميزة العظيمة أنهم علىٰ الحق ظاهرون، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، ولا يعرفون هذا الحق إلا بالعلم الموروث عن أنبياء الله ورسله، وعن خاتم الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

إذ العلماء هم ورثة الأنبياء في تبليغ دعوة الله في تبليغ رسالات الله، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر، وكم للأمة من خير في الدعوة إلىٰ الله، وفي الأمر بالمعروف، وفي النهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتطلب علمًا واسعًا.

فلا يأمر الجهال بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، لأن هذا من صفات المؤمنين الفاقهين لدين الله، وتلك من صفات المنافقين، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [التوبة:٧١].

و: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [التوبة:٦٧].

يأمرون بالشرك، يأمرون بالبدع، يأمرون بالضلالات، يأمرون بالفواحش،

يأمرون بالمخازي، هذا شأنهم، أما المؤمنون فيأمرون بالمعروف، وعلىٰ رأسه: التوحيد، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والسياسات العادلة.. إلىٰ آخر المحاسن التي يتحلىٰ بها العلماء العاملون وأتباعهم من المؤمنين الصادقين المخلصين، الذين يرجون لقاء الله، ويؤمنون بدينه حق الإيمان، ويؤمنون بهذا الوحي، ويحترمونه ويجلونه، ولا يقدمون عليه قول هذا أو ذاك.

فهذا ما أقوله حول هذا الحديث، وأسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يُفقه المسلمين في دينهم، وأن يبارك في الطائفة المنصورة الثابتة علىٰ دين الله، والمستقيمة علىٰ منهج الله.

وسأتكلم بكلمات حول الثبات وحول الاستقامة، وأحذر إخواني وأبنائي من اتباع الهوىٰ المضاد للاستقامة والثبات.

قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

يثبت الله الذين آمنوا الإيمان الصادق، والذين أتبعوه بالعمل الصالح، يثبتهم الله في الحياة الدنيا، فيثبتون علىٰ صراطه المستقيم، وعلىٰ منهجه القويم، فيكافئهم الله -تبارك وتعالىٰ- بأن يثبتهم في هذه الدنيا، فلا ينحرفون عن منهج الله -تبارك وتعالىٰ-، ويثبتهم عند الموت، ينزل الله

عليهم الملائكة الكرام يبشرونهم بمستقبلهم الزاهر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢]، هذا يقال لهم عند حضور الموت، وعند توديع هذه الحياة، يأتيهم الملائكة الكرام يبشرونهم بهذه البشائر العظيمة، ويؤمنونهم من المخاوف، ومن الأحزان والآلام.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾ لا تخافوا في المستقبل، لا تخافوا عذاب القبر، لا تخافوا الفزع عند البعث، لا تخافوا عند مرور الصراط، لا تخافوا من النار، إنما هو أمن وأمان، وجزاء عظيم عند الله -تبارك وتعالىٰ-.

﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ علىٰ ما خلَّفتم من الأبناء والذرية، فلا حزن ولا خوف.

﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾، لأن الله وعدهم بوعده الصادق، وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات وثبتوا علىٰ دينه واستقاموا عليه وعدهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾ [النبأ:٣١-٣٦].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ

عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

هؤلاء المؤمنون الثابتون المتقون المستقيمون وعدهم الله بهذه الجنان، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، تبشرهم الملائكة بهذه البشائر في حال الاحتضار، وفي حال توديع هذه الحياة، ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ هذه منزلة عظيمة، يتولاهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وتتولاهم الملائكة، ويتولاهم النبيون والصديقون في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩].

الله أكبر! الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون أولياء المؤمنين، أولياؤهم وإخوانهم في جنات عرضها السموات والأرض، فهذا جزاء المؤمنين الثابتين، وهذا من آثار هذا الثبات، ومن آثار هذه الاستقامة على دين الله، وعلى منهج الله الحق.

وبعد هذه اللمحة عن الثبات والاستقامة على دين الله، وما يلقاه الثابتون المستقيمون من الجزاء عند الله، وما أعده الله لهم من الكرامة، والمنازل العظيمة.

أحذِّر إخواني من الفتن، وليلجئوا إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- أن يثبتهم علىٰ دين الله، وليكثروا من الدعاء، لقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨]، ليكثروا من الدعاء بهذا الدعاء العظيم الذي علَّمه الله -تبارك وتعالىٰ- به في محكم كتابه، وبدعاء رسول الله -عليه الصلاة والسلام- الذي كان يكثر منه.

كما قال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يكثر من قوله: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّت قَلبِي عَلَىٰ دِينِكَ**». فقال الصحابة ﷺ: أتخاف علينا يا رسول الله؟ قال: «**نَعَم، كَيفَ لَا وَالقُلُوبُ بَينَ أُصبُعَينِ مِن أَصَابِعِ الرَّحمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيفَ يَشَاءُ؟!**»(١).

فالمؤمن لا يأمن مكر الله، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

فالمؤمن دائمًا يخاف الله، ويخاف ألا يقبل الله أعماله، ولا يغتر بالآمال، ولا يَعُدُّها شيئًا، وما بذل من الإنفاق في سبيل الله، وما بذل من إنهاك جسمه في طاعة الله، فإن ذلك كله في نظر المؤمن الصادق لا يقابل أدنىٰ نعمة من نعم الله، «**سُبحَانَكَ لَا أُثنِي عَلَيكَ أَنتَ كَمَا أَثنَيتَ عَلَىٰ نَفسِكَ**»(٢).

هذا محمد ﷺ الذي غَفَر الله من ذنبه ما تقدم وما تأخر كان يخاف الله

---

(١) تقدم تخريجه (ص٧٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص٤٩).

أشد الخوف، «وَاللهِ إِنِّي لَأَتقَاكُم لِلهِ وَأَخشَاكُم لَهُ»[(١)] -صلوات الله وسلامه عليه-.

وكان يقوم الليل حتىٰ تتفطر قدماه، فقالت له عائشة: لماذا تفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبدًا شَكُورًا»[(٢)].

فصلوات الله وسلامه عليه، فلنا فيه الأسوة الحسنة، فلنكثر من طاعة الله، ولنرتجف من الخوف من الله، إذ «كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل -يغلي-»[(٣)]، يسمع الاضطراب، قلبه يضطرب من الخوف من الله، فيسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل، وهو: القِدْر الذي يغلي من شدة اتقاد النار عليه، فهذا حاله -عليه الصلاة والسلام-، أكثر الناس خوفًا من الله، وأكثر الناس طمعًا فيما عند الله -تبارك وتعالىٰ-.

وهذا حال جميع الأنبياء، وحال كثير من المؤمنين، لكنهم لا يلحقون الأنبياء في هذه المنزلة العظيمة، الأنبياء الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

(١) أخرجه مسلم (١١٠٨) من حديث عمر بن أبي سلمة ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة ﵁.

(٣) أخرجه النسائي (١٢١٤) من حديث عبد الله بن الشخير ﵁، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٥٤٤).

فلنكثر من الطاعات، ولنحذر من الشبهات، ولنحذر من الشهوات، وإن الفتن لتعرض على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا كما روى ذلك حذيفة ﷺ عن رسول الله ﷺ، قال: «تُعرَضُ الفِتَنُ عَلَىٰ القُلُوبِ كَعَرضِ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّمَا قَلبٍ أُشرِبَهَا، نُكتَ فِي قَلبِهِ نَكتَةٌ سَودَاءُ، وَأَيُّمَا قَلبٍ أَنكَرَهَا، نُكتَ فِيهِ نَكتَةٌ بَيضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلبَينِ: قَلبٍ أَبيَضَ كَالصَّفَاةِ لَا تَضُرُّهُ فِتنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرضُ»[1].

لأن الله يثبتهم، لا بقوتهم، ولا بحيلتهم، ولكن بتثبيت الله لهم، كما سلف معنا في الآية السابقة: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فيكرمهم الله بالثبات، فلا تضرهم الفتن مهما عظمت، وقويت، وهبَّت أعاصيرها، هم كالجبال الشمخ لا تزلزلهم هذه الأعاصير الهوجاء.

وأضرب مثلًا، أقول: إن الناس أمام هذه الفتن منهم كما وصف الرسول -عليه الصلاة والسلام- ثابتون، ونقول: كالجبال، تأتي الرياح، تأتي السيول، تأتي الأعاصير والزوابع فلا تزلزل هذه الجبال، لأن الإيمان في قلوبهم كالجبال الراسخة، وقد جنَّبهم الله الفتنة، وثبتهم على دينه فلا تضرهم.

وهناك أناس آخرون أشبههم بالشجرة تميل بها الريح ذات اليمين

(١) أخرجه مسلم (١٤٤).

وذات الشمال حتىٰ تصرع في الأخير.

ومنهم من هو كالريش، وكورق الحناء، تطير به الفتنة بأقل حركة من حركات الفتنة، مثل الريح الضعيفة تطرح بهذه الأوراق الضعيفة إلىٰ مكان سحيق، فنسأل الله أن يثبتنا.

والقلب الثاني وصفه بأنه: «**أَسوَد مُربَادًّا كَالكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعرِفُ مَعرُوفًا وَلَا يُنكِرُ مُنكَرًا إِلَّا مَا أُشرِبَ مِن هَوَاهُ**»[1] هذا حال من يتشرب قلبه الفتنة، ويتقبلها، ولا ينكرها، فتأخذه شيئًا فشيئًا حتىٰ ينتكس قلبه، فيصير أسود كالكوز مجخيًا، فمه إلىٰ أسفل واسته إلىٰ أعلىٰ، مهما صببت عليه من المياه والدهون وغيرها لا يدخل فيه شيء، لا يقبل شيئًا.

وقد جرَّبنا كثيرًا من هذه الأنواع، إذا انتكست قلوبهم مهما سُقت من الحجج والبراهين من كتاب الله ومن سنة رسول الله لإبطال ما عنده من الباطل لا يقبل ذلك منك، ولا يرفع بذلك رأسًا، كيف وقد وصفه رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أن قلبه كالكوز مجخيًا، وأنه لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه، فما وافق هواه يقبله، لا لأجل أنه حق، وإنما لأنه وافق هواه، فهذا ، مثل اليهود يعرفون الحق، ويحاربونه، ويقبلون منه ما يوافق هواهم، ويردون منه ما خالف هواهم، ويحاربونه.

وهذا كثر في هذا العصر في كثير ممن انتكسوا، وانتكست قلوبهم،

(١) تقدم تخريجه (ص٢٠).

وصار مآلهم هذه الحال التي أخبر عنها الرسول الصادق -عليه الصلاة والسلام-، فكأننا نشاهده -عليه الصلاة والسلام- وهو يصف أناسًا أمامنا، ونرىٰ أفاعيلهم، ونرىٰ مواقفهم المخزية.

نسأل الله أن يعافي المسلمين من الفتن ما ظهر منها وبطن، ونسأل الله أن يقينا وإياكم فتنة القبر وعذاب القبر وفتنة الدجال، إن ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

* * *

عوائق في طريق طالب العلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَديِ هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وفي رواية: «وكل ضلالة في النار».

أما بعد:

قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

فالله بعث محمدًا لتزكية هذه الأمة، والعلم النافع والعمل الصحيح الصالح هو الذي يزكي النفوس ويطهِّرها، ويزكي الأرواح ويطهِّرها.

هذا هو العلم المنشود والممدوح، هو الذي يزكي النفوس من ضغوناتها ويصقلها من أدرانها، فإذا رأيت إنسانًا لم يزكه العلم فقد يكون هذا العلم وبالًا عليه.

والله -تبارك وتعالىٰ- قال لنبيه -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، ما أمره أن يطلب مزيدًا من الدنيا والملك والجاه والسلطان، وإنما علَّمه ربه أن يطلب منه الزيادة في العلم، وقد زاده الله، وزاده وزاده إلىٰ آخر لحظة من لحظات حياته -عليه الصلاة والسلام-، لأن هذه الآية مكية في سورة طه، وكم زاده الله من العلم الغزير -عليه الصلاة والسلام-.

فعلينا أن نطلب من الله المزيد، أن يرزقنا العلم النافع المزكي للنفوس، فالله -تبارك وتعالىٰ- أثنىٰ علىٰ العلماء، العلماء المخلصين الذي زكاهم العلم، وطهَّرهم من الأدناس، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ

ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

لأن العلم يجعلك مدركًا لما أمامك من مخاطر وأهوال، وما أمامك من نعيم مقيم يقض المضجع، هذا العالم المزكىٰ النقي، فيقوم آناء الليل ساجدًا، تراه آناء الليل ساجدًا وقائمًا، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦]، هذا هو العلم النافع، علم يقوم عليه العمل الخالص لله -تبارك وتعالىٰ-.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا، يُفَقِّههُ فِي الدِّينِ**»، ليس مجرد فقه، فقه يرافقه العمل، ومن الفقه الواعي أن تعمل، فإذا رأيت عالمًا لا يعمل فليس بفقيه، وليس بعالم.

ورسول الله -عليه الصلاة والسلام- قال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ العِلمِ وَالهُدَىٰ كَمَثَلِ غَيثٍ أَصَابَ أَرضًا، فَكَانَ مِنهَا طَائِفَةٌ أَنبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشبَ الكَثِيرَ، وكَانَت مِنهَا أَجَادِبُ أَمسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنهَا وَسَقَوا وَزَرَعُوا، وَطَائِفَةٌ أُخرَىٰ** -وصفها وصف الذم- **إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمسِكُ مَاءً وَلَا تُنبِتُ كَلأً**»، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، وَمَثَلُ مَن لَم يَرفَع بِذَلِكَ رَأسًا وَلَم يَقبَل هُدَىٰ اللهِ الَّذِي جِئتُ بِهِ**»[(١)].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٩).

فقسم العلماء قسمين: **الأول**: وهم العلماء العاملون، منهم علماء فقهاء استنبطوا الأحكام من النصوص القرآنية والنبوية، واستنبطوا الأصول والقواعد، وقدموها للأمة، ومنهم حفاظ يحفظون القرآن ويبلغونهم، هم أتقياء، وعندهم فقه، ولكن لا يلحقون أولئك، وحفاظ يحفظون سنة رسول الله، ويبلِّغونها للناس، فهؤلاء -إن شاء الله- يشملهم الفقه في دين الله -تبارك وتعالىٰ-.

والآخرون إما كفار، وإما جهال مفسدون، أعرضوا عن دين الله الحق، فهم مثل الأرض التي لا تنبت، لا يستقر فيها الماء، كالسباخ لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً، لا تمسك شيئًا ينفع الناس، ولا تنبت شيئًا ينفع الناس، وإنما فيها الضرر -والعياذ بالله-، ونرجو أن نكون من القسمين الأولين، ممن فقه في دين الله، ونفعه ما بعث الله به محمدًاﷺ.

العلم أمره عظيم، آثاره طيبة علىٰ صاحبه في حياته، وبعد مماته، «**إِذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ**» وقفٌ يحبسه في سبيل الله ﷻ علىٰ الفقراء والمساكين، والجهاد في سبيل الله، وما شاكل ذلك.

«**وَعِلمٍ يُنتَفَعُ بِهِ**» إما عَلَّم وَخَلَّف وراءه تلاميذ ينشرون العلم والدعوة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، أو له مؤلفات، آثاره ينفع الله بها الناس، فهذا أمر لا ينقطع.

والآخر الثالث: أو خلَّف ولدًا صالحًا يدعو له «**أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو**

لَهُ»(١). وكل الأعمال تنقطع إلا هذه الثلاث، ومنها العلم، وهو أنفعها، فنفعه عام للناس جميعًا.

الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلتَمِسُ فِيهِ عِلمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ**» هذه أولىٰ خطواته، لكن بشرط أن يكون مُخلصًا مُريدًا به وجه الله ﷻ. «**وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلمِ، رِضًا بِمَا يَصنَعُ**» هذه مَكرُمَة ثانية.

«**وَإِنَّ العَالِمَ لَيَستَغفِرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرضِ، حَتَّىٰ الحِيتَانُ فِي المَاءِ**» وهذه الثالثة كل من في السموات والأرض يستغفر لهذا العالم؛ لما له من النفع الكبير والآثار المباركة علىٰ الأمة، حتىٰ علىٰ الحيوانات، فتدعو له الحيوانات، لما له من الآثار عليها، لأن هذا العالم يُحَرِّمُ العبث بالحيوانات، ويحرم قتل الناس، ويحرِّم الفساد، ويبلِّغ الناس شريعة الله -تبارك وتعالىٰ-، فالناس يستفيدون، والحيوانات تستفيد من إرشاداته وتوجيهاته، فلذا يستغفر له من في السموات ومن في الأرض.

«**وَإِنَّ فَضلَ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ**» رجل يعبد الله ليلًا ونهارًا، ورجل يعبد الله لكن دونه في العبادة لكنه مشغول بالعلم ونشره، فهذا أفضل، وفضله علىٰ العابد المجتهد في العبادة المخلص فيها كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

«وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنبِيَاءَ لَم يُوَرِّثُوا دِينارًا وَلَا دِرهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلمَ» الله أكبر! «فَمَن أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

هذه مزايا وفضائل كلها للعالم المخلص المجتهد في نشر دين الله، ونشر الخير، وقمع الشر، وقمع الضلالات والبدع، آثاره طيبة علىٰ الناس ونافعة، فلهذا أعطاه الله هذه المزايا: يستغفر له من في السموات ومن في الأرض، وفضله علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، وهو من وُرَّاث الأنبياء، واحدة من هذه الفضائل وهذه المزايا تكفيه.

نقول هذا لتشمِّروا عن ساعد الجد لتحصيل العلم مخلصين فيه لله رب العالمين، وإلا فإن صاحبه -والعياذ بالله- علىٰ خطر شديد إذا هو لم يخلص لله -تبارك وتعالىٰ-، أو لم يبلِّغ هذا العلم، يبخل به ويكتمه .. إلىٰ آخر الأشياء التي تضر بصاحب العمل، وتدينه، وتكون حجة عليه أمام الله -تبارك وتعالىٰ-، لأن الله علَّمك، وأسبغ عليك هذه النعمة، فلماذا لا تقوم بشكرها؟

ولماذا لا تقوم بواجبها من العمل الصادق المخلص؟ ومن الإخلاص لله -تبارك وتعالىٰ- ومن نشر هذا العلم خالصًا لله -تبارك وتعالىٰ- قاصدًا بذلك مرضاة الله ونفع الآخرين؟

هذه لمحة عن فضل العلم الذي نرجو أن يزيح الله المعوقات التي تعترض طالب العلم في طريقه إلىٰ العلم.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٧).

من المعوقات التي تضمنها العنوان، وهي كثيرة جدًّا، ومنها في هذا العصر -مع الأسف الشديد-:

كثير من الشباب يتعطشون لطلب العلم، ولكن تعترضهم عقبات وعقبات تنشأ من بيئتهم، إما أن البيئة ليس فيها علماء، وإما أن الدولة التي يعيش فيها تَحُول بينه وبين طلب العلم، وإما أن الدولة التي تستقبله لها شروط قد تنطبق علىٰ القليل، وتحرم الكثير من الدخول في ميادين العلم.

ونسأل الله أن يوفق المسلمين وحكامهم أن يزيلوا هذه العقبات الكئيدة في وجه طلاب العلم، لأن الأمة الآن تحتاج إلىٰ علماء، الأمة الآن في الحضيض -والعياذ بالله-، في حياتها ذل وهوان ومشاكل، لا يخلِّصها إلا أن يوجد فيها علماء عباقرة يتعلمون، وينهلون العلم من معاقله، وينشرون هذا العلم الذي يوقظ الأمة من سباتها، العلم الحق، العلم الذي جاء به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

وعلىٰ رأس هذه الأمور: توحيد الله، فالعالَم الإسلامي انتشر فيه الضلال، انتشر فيه الجهل القاتل، انتشرت فيه الخرافات والبدع، لا يزيحها إلا الله بعلماء ينهلون العلم من مناهله الصحيحة، وينشرونه كما تلقوه غضًّا طريًّا من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فتجد الآن بيئات لا يوجد فيها علماء، يكون طالب علم فقيرا لا يستطيع أن يرحل، تواجهه عقبات تحول بينه وبين تحصيل العلم فهذه الأمور يجب أن ينظر فيها العلماء، وينظر فيها الحكام، ويتقوا الله في تذليل هذه العقبات

التي تقف في وجوه الألوف المؤلفة من الشباب، الذين يَحِنُّون إلىٰ العلم، ولكن تواجههم هذه العقبات والعوائق، وما يستطيع إلا الاستخذاء والاستسلام لهذه الأمور القاهرة.

من العوائق عن العلم والعمل: ما ينتشر الآن عن طريق الإعلام اليهودي والنصراني والشيوعي والرافضي والبعثي و.. إلىٰ آخره، من الإذاعات ومن الصحف والمجلات ومن المواقع ومن غيرها من الملهيات والمخزيات -والعياذ بالله- والمفسدات، والتي تدعو إلىٰ الفساد.

كثير من الصحف تدعو إلىٰ الفساد، تريد أن ترمي الأمة في أحضان اليهود والنصارىٰ، ليلًا ونهارًا يدأبون علىٰ بث الأفكار الهدامة التي تهدم الدين، وتهدم الأخلاق والمناهج، وتهدم العقول.

وكذلك المواقع العنكبوتية الكثيرة المنبثة في العالم هذه تفسد حتىٰ من عنده شيء من العلم، فضلًا عن الجهال، فهذه الأمور يجب أن يفكر فيها المسلمون ويتخلصوا منها، حفاظًا علىٰ دينهم وأخلاقهم، وحفاظًا علىٰ شبابهم، فلا يقدمون للشباب إلا ما ينفعه، ويرفع هذه الأمة وينتشلها من وهدتها.

هذه أمور قد تكون خارجة عن إرادة كثير من الناس، ولكن هناك أمور تنبع من نفس من يريد العلم، ثم لا يطلبه، أو يطلبه ويقصر في استكمال العلم اللازم لتبليغ الناس وتعليمهم وإرشادهم.

فمن هذه العوائق: الكبر -والعياذ بالله-، قال السلف كما في «البخاري»

قاله مجاهد: «لا ينال العلم مستكبر ولا مستح»(١).

والكبر داء قاتل، داء مهلك -والعياذ بالله-، مثقال ذرة منه يرمي صاحبه في الجحيم، لا يتهاون الإنسان في قضية الكبر، سواء علىٰ عامة الناس أو علىٰ العلماء، في ميدان طلب العلم أو في غيره، هذا الداء خطير، «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبرٍ**»(٢)، مثقال ذرة من الكبر!

قد يكون في الإنسان مثل الجبال من الكبر -والعياذ بالله-، فمثقال ذرة من هذا الكبر يرميه في هوة الجحيم، ويحرمه من الجنة، فيجب علىٰ المسلم أن يتنزه عن هذا الخُلُق المدمر المهلك.

فإن كان يعترضه وهو في سبيل العلم فعليه أن يضع نفسه تحت الأقدام، هذه النفس المتعالية المستكبرة يجب أن يذلها في سبيل تحصيل العلم، والله يبغض المستكبرين، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣]، أبغض الناس إلىٰ الله المستكبرون -والعياذ بالله-، وسمعتم الحديث.

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب الحياء في العلم (١/ ٢٢٨- الفتح)، ووصله الدارمي في «سننه» (١/ ١٤٧برقم٥٥١-زمرلي)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٨٧)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٠٤)، والبيهقي في «المدخل إلىٰ السنن» (١/ ٣٦٩ برقم٤١٠).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٢٢٩): «وَصَلَهُ أَبُو نُعَيمٍ فِي الحِلْيَة مِن طَرِيق عَلِي بن المَدِينِي عَن ابن عُيَينَةَ عَن مَنصُور عَنهُ، وَهُوَ إِسْنَاد صَحِيح عَلَىٰ شَرط المُصَنِّف». انظر: تغليق التعليق (٢/ ٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والله -تبارك وتعالىٰ- قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٣٧].

قد يكون الإنسان طوله شبر وزيادة وهو متكبر، يرىٰ هامته فوق السماء -والعياذ بالله-، فالله يقول له: أنت! علىٰ مَهلِكَ ... إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا، كيف تتكبر؟!! أنت إنسان ضعيف مسكين، يمكن ذرة تقضي علىٰ حياتك، ذبابة تقضي علىٰ حياتك، أنت أضعف الناس، فلماذا تستكبر؟! وبأي حق تتطاول علىٰ الناس؟!!

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، فالدار الآخرة أعدها الله للمتواضعين في الله، ومن يتواضع لله يرفعه الله -تبارك وتعالىٰ-، والمستكبرون يبغضهم الله، وهذا مصيرهم النار -والعياذ بالله-.

والكفر والبدع الكبيرة تحول بين الشخص وبين أن يتمتع بما جاء به الأنبياء من الحق والنور والهدىٰ وما يزكي النفوس، هذه الصفة الذميمة الوبيلة -والعياذ بالله-، فكم من الناس قد يحرمه الكبر من طلب العلم، كيف أطلب العلم علىٰ فلان وفلان ليس بعالم؟ وفلان جاهل؟ العلماء جهال، يحسب نفسه عالمًا وهو جاهل، لأن من رأىٰ نفسه عالمًا فهو جاهل، كما قال ابن مسعود: «من رأىٰ نفسه عالمًا، فهو جاهل».

فطلب العلم من المحبرة إلىٰ المقبرة -كما يقال-، من المهد إلىٰ

اللحد، يحيىٰ بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا حضرته الوفاة وهو عالم جليل، وضليع في العلم، وأعلم الناس بأحوال الرجال، ويحفظ من السنة الألوف المؤلفة- قيل له: ماذا تتمنىٰ؟ قال: «بَيتٌ خَالٍ، وَإِسنَادٌ عَالٍ»[(١)]، وهو يحتضر ما يشبع من العلم.

كانوا يشدون الرحال وهم علماء، يأخذ من علماء بلده كل ما عندهم، ويرحل من مشرق الأرض إلىٰ مغربها، ويطوف الحجاز ومصر والدنيا كلها والشام وغيرها، ولا يشبع، هذا النهم في العلم، لا يشبع أبدًا منه، وكم ألوف الألوف قاموا بالرحلات لتحصيل العلم، لأنه لو رأىٰ نفسه قد انتهىٰ ووصل إلىٰ درجة كما يتصور الجاهل أنه بلغ مبلغًا من العلم، ما يحتاج إلىٰ الرحلة وما شد الرحال، قد يضرب طول الأرض وعرضها في خلال ثلاثين سنة أو أكثر وهو ينتقل من مدينة إلىٰ مدينة، ومن بلد إلىٰ بلد، ومن شيخ إلىٰ شيخ يتعلم منهم، هؤلاء متواضعون، وكلما ازداد علمًا يرىٰ نفسه أنه ازداد جهلًا، كلما تعلم كلما اكتشف جهله، فالجهل بحر واسع -والعياذ بالله-.

فإذا نظر الإنسان إلىٰ نفسه أنه يحتاج إلىٰ العلم يأخذ من الصغير، ويأخذ من الكبير، ويرحل من أجله، ويتواضع لأهله، ويتعامل معهم بالأدب والأخلاق والتواضع، إلىٰ آخر متطلبات العلم، وهذا لا يُوَفَّق له إلا من أراد

(١) «مقدمة ابن الصلاح» (٤٩٣-محاسن الاصطلاح)، و«فتح المغيث» للسخاوي (٣/ ٩- ابن تيمية).

الله به خيرًا، «**مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، ومن الفقه في الدين أنك لا تتعالىٰ ولا تستكبر، فإذا استكبر فهو جاهل، فيكون الكبر هذا عقبةً بينه وبين العلم.

منها: حب الشرف، حب السيادة. قال عمر ﷺ: «تعلموا قبل أن تسودوا»، كما روىٰ ذلك عنه البخاري[1]، «**تعلموا قبل أن تسودوا**»، **يعني** إذا وصل إلىٰ مرتبة السيادة يصعب عليه حينئذٍ أن ينزل فيجلس في حلقات العلم مع الضعفاء والمساكين وهو قد نال مرتبة كبيرة في نظره.... فيأتي الشيطان يخيل له ويزين له أنت رجل شريف ولك منزلة، وكيف تطلب العلم علىٰ فلان؟ وهو فرع من فروع الكبر -والعياذ بالله-.

من المعوقات عن طلب العلم: كثرة الفتن، وقد ذكر رسول الله -عليه الصلاة والسلام- هذه الفتن، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ العِلمُ، وَتَظهَرُ الفَوَاحِشُ، وَيُلقَىٰ الشُّحُّ، وَيَكثُرُ الهَرجُ**»[2].

هذه الأمور أخبر الرسول ﷺ أنها ستقع: أنه يرفع العلم، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويُلقَىٰ الشح، ويكثر الهرج، والهرج: القتل، ترون الآن كيف المذابح في العالم الإسلامي وغيره، هذا من علامات الساعة، وهي من المعوقات، ترىٰ أن العلم قد قبض، فلهذا في الحديث هذا: «**يُقبَضُ العِلمُ**».

---

(١) كتاب العلم، باب الاغتباط بالعلم والحكمة (١/ ١٦٦- فتح الباري).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٧)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- قال في حديث آخر: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنتَزِعُ العِلمَ مِنَ النَّاسَ انتِزَاعًا بَعدَ أَن أَعطَاهُمُوهُ، وَإِنَّمَا يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، فَإِذا لَم يُبقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءوسًا جُهَّالًا، فَأَفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ، فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا**»(١).

وهذه الأيام قد تكون بداية -أو بدأت البداية قبلها-، لقبض العلم، كان العلماء في القرون المفضلة إلىٰ عهد أحمد إلىٰ عهد البخاري يبلغون ألوفًا مؤلفة، وكان عباقرة الأمة يتنافسون علىٰ علم الحديث، العلم النبوي يتنافسون فيه، حتىٰ إن الملوك كانوا يحسدونهم، فالعباقرة والأذكياء كانوا يتجهون لطلب الحديث، حديث الرسول ﷺ، وعلم الرجال، وما يتصل بعلم الحديث، يتسابقون إلىٰ هذا، وبرز منهم ألوف الألوف في مشارق الأرض ومغاربها.

ثم فترت همم الناس في طلب الحديث، ونشأت البدع وكثرت، وهي من الحواجز بين العلم النبوي، العلم الذي يحبه الله ويمدح أهله، وُجِدت حواجز، بسبب الجهل، بسبب البدع، بسبب الفتن، والفتن تكثر كلما قل العلم، كلما قل العلم اتسع مجال الفتن، واتسعت دائرته، وكثر الفساد، وكثر القتل، وكثرت كل ألوان الفساد من تبرج النساء، ومن الزنا، ومن علامات الساعة، ومن ظهور الفسق، ومن ظهور هذه الأشياء.

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٩٥).

هذه أيضًا من العوامل والحواجز التي تحرم من عنده تعطش للعلم، يبحث عن العلماء فلا يجد العالم الرباني في بلده لكثرة الفساد وغلبة الجهل، بعض البلاد الإسلامية لا تفرق بين يهودي ونصراني ومسلم، ولا بين المسلمة والكافرة واليهودية والشيوعية، متهتكات إلا من رحم الله، والرجل حالق اللحية، ولابس أفندي، فلا تكاد تفرق، هذه من الفساد، ومن آثار الجهل والضلال، ومن فقدان آثار العلم في مثل هذه المجتمعات.

بل تجد من العلماء أو المسمين بالعلماء من يلبس لباس إفرنجي، ويحلق لحيته، وإلىٰ آخره، أهذا عالم؟! هذا يصلح لحمل رسالات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؟!!

فهذا الذي يوجد وموجود الآن، وما ندري ماذا سيكون في المستقبل -والعياذ بالله-!!

من البلاء: عدم العمل، يتعلم لكن لا يعمل، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣].

فإذا كنت عالمًا وتبلغ العلم فلتكن أول من يبادر قبل الناس جميعًا إلىٰ تطبيق العلم، والعمل به خالصًا لله -تبارك وتعالىٰ-، تعمل به ظاهرًا وباطنًا، وفي الباطن أكثر من الظاهر، وقد يتخفىٰ المؤمن ببعض أعماله، ويكون باطنه أصلح من ظاهره.

فمنها: عدم العمل بالعلم -والعياذ بالله- يؤثر علىٰ العلم، ويُنسي صاحبه كثيرًا من الأشياء التي لو طبقها وعمل بها لما نسيها، فكثير من المعلومات لا يثبتها في قلب العالم والمتعلم إلا التطبيق العملي، مثل: الفرائض، الفرائض من العلوم التي تنسىٰ، ينساها طلاب العلم والعلماء إلا من مارسها، وعمل بها دائمًا، فالعلم ينسىٰ إذا لم تعمل به.

ثم الأشد من هذا: أن الله -تبارك وتعالىٰ- يذم من لا يعملون ذمًّا شديدًا -والعياذ بالله-: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

فهذا عدم العمل أوقعه في الكفر بالله -تبارك وتعالىٰ-، عدم العمل، وعدم الاحترام لهذا الوحي. وهذا العلم الذي تضلعت به عدم الاحترام له، وعدم تطبيقه يجرك إلىٰ البدعة، وقد يجرك إلىٰ الفسق، وقد يجرك إلىٰ الكفر، فهذا كان عالمًا مبرزًا لكنه انسلخ من العلم بسبب عدم العمل الذي كلفه الله -تبارك وتعالىٰ- به.

فكثير من الناس لا يعملون، فقد يجره عدم العمل إلىٰ الوقوع في الفسق، لأنه ما يعمل، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٣] -والعياذ بالله-، قد يجره إلىٰ الوقوع في البدع والضلالة، قد تكون البدعة التي يقع فيها كفرية، قد يقع في الكفر مباشرة -والعياذ بالله-.

فمن معوقات العلم وما يذهب بالعلم: عدم العمل بما تعلمت، فعلينا أيها الطلاب أن نعمل بما تعلمناه، فالعلم الصحيح هو الذي يزكي النفوس، كيف تزكىٰ نفسٌ لا تعمل؟!

كيف تتطهر من أدناس الصفات الذميمة الباطنة، ومن الصفات السيئة الظاهرة من سوء الأخلاق، من الكبر، من الحسد، من.. من.. من التهالك علىٰ الدنيا، من الرياء؟

كل هذه الأشياء تنشأ عن عدم تطبيق العلم، عندك علم لأي شيء ترائي والعلم يحثك علىٰ الإخلاص لله؟!

ويقول لك ربك -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]؟

وكم ذم الله اليهود والنصارىٰ، لأنهم لا يعملون؟ وضرب مثلًا سمعتموه لعالم من علماء بني إسرائيل، وقال الله فيهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

حملوا التوراة وما عملوا بها، أوصلهم هذا إلىٰ الكفر بالله -تبارك وتعالىٰ-، لو عملوا بما في التوراة لآمنوا بمحمد ﷺ، ولعملوا بالتوراة التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ -عليه الصلاة والسلام-، لكن لم يعملوا بما في التوراة، ولم يعملوا بما في الإنجيل، ولما جاءهم محمد ﷺ كذَّبوه.

إذن، هم تركوا العمل بالعلم الذي أوحاه الله إلىٰ بني إسرائيل، إلىٰ موسىٰ وعيسىٰ -عليهما الصلاة والسلام-، فشبَّههم الله هذا التشبيه: مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارًا، الحمار لا يميِّز ما فوقه من خير ومن شر، فالحمر لا تدري أنها تحمل حيات علىٰ ظهرها أو كتب، ما تدري.

فكذلك الذي لا يعمل فهذا مَثَلُه، فعلينا بالعمل، علينا بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام علىٰ الأوجه المشروعة التي شرعها الله -تبارك وتعالىٰ-، علينا بالاعتقادات الصحيحة كما شرعها الله لنا، الاعتقادات الصحيحة، نتجنب الشرك، نتجنب البدع، وهذا من العمل، نتجنب المعاصي بكل أشكالها وأصنافها.

نعمل بما علَّمنا الله -تبارك وتعالىٰ-، نعتقد الاعتقادات الصحيحة، نحارب الشرك، نحارب البدع كلها، نأمر بالمعروف، ننهىٰ عن المنكر، كل هذه تأتي في دائرة العمل، وبقدر ما تقصِّر في العمل في أي ميدان من الميادين بقدر ما ينقص منك العلم، وبقدر ما تنال من الذم الذي يستحقه من ترك العمل بما علَّمه الله -تبارك وتعالىٰ-.

من المعوقات التي تصد الناس عن العلم: أن يتصدىٰ للعلم الأصاغر -والعياذ بالله-، من علامات الساعة: أن يُلتَمَس العلم عند الأصاغر، عند الأحداث، يتعلم قليلًا فإذا به يرىٰ نفسه عالمًا، والإنسان هو صغير مسكين يرىٰ نفسه بلغ النهاية، ويتصدر، ويأتيه الجهال، ويلتفون حوله، وينقطعون عن العلماء -والعياذ بالله-، فهذا من علامات الساعة، من أشراط الساعة: أن

يترك الناس العلماء كبار العلماء، ويذهبون يأخذون عن الجهال الأصاغر المتعالمين، فهذا من البلاء.

ويقول عبد الله بن مسعود: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن كبارهم وأمنائهم وعلمائهم»(١). تأمل هذا الكلام «وإذا أخذوا العلم عن صغارهم، هلكوا» فهذا من المعوقات والعقبات الكأداء في طريق العلم.

قد يكون بعض الناس يريد العلم، فيغتر بهذا الصغير، فيرىٰ أنه أعلم الناس، ولو ذهب إلىٰ غيره لوجد أن هذا يجب أن يطلب العلم معه، ويجثو علىٰ ركبه بين يدي العلماء.

فمن البلاء الشديد ومعوقات العلم: أن يتصدىٰ هؤلاء فيكونوا بمثابة قطاع الطرق، يصدون الناس عن العلم والعلماء، وهذا من علامات الساعة،

---

(١) رواه معمر في «جامعه» (١١/ ٢٤٦ و٢٥٧- مصنف عبد الرزاق)، وابن المبارك في «الزهد» (٢٨٥برقم٨١٥)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١١٤برقم٨٥٨٩ و٨٥٩٠)، وابن الأعرابي في «معجمه» (ص٤٧٨برقم٩٢٦)، وابن منده في «مسند إبراهيم بن أدهم» (٣٤برقم٢٥)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٧)، والبيهقي في «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» (١/ ٢٤٦رقم٢٧٥)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٧٧١)، وفي «نصيحة أهل الحديث» (٢٨رقم٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣١٣برقم ٥٧٥-٥٧٨-زمرلي)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (١/ ٨٤رقم١٠١)، والهروي في «ذم الكلام» (٥/ ٧٧برقم١٤١٢-الأنصاري).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٤٩-بغية الرائد): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثقون».

من العلامات السيئة التي تتقدم الساعة، وكما قال ابن مسعود: «ما يزال الناس بخير» معناه إذا تغيرت هذه الحال صاروا في شر «ما أخذوا العلم عن صغارهم وأمنائهم وعلمائهم» هذا الصغير قد يفتي بما لا يعلم، قد يقول علىٰ الله بغير علم ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

يجب أن يتبصر طلاب العلم، وأن يتجهوا إلىٰ العلماء الكبار أهل العلم الواسع، الذين أفنَوا حياتهم في طلب العلم، وفي نشره، ولهم خبرات، وقد يعطيك في الجلسة الواحدة ما لا تصل إليه بعد سنين، يعطيك خلاصة علمية، لو ذهبت بنفسك تبحث أنت وشيخك الصغير ما تصلون إليها، فهذه أيضًا من المعوقات التي تعترض طلاب العلم، فليتنبه لها .

منها: العجلة، والفوضىٰ العلمية، يقرأ هنا، ويقرأ هنا وهنا، بدون تأصيل، كان الناس في الأزمنة السابقة لهم طرق توصلهم إلىٰ العلم في أزمنة محدودة فيبدءون بحفظ القرآن، والكتابة، ثم بعد حفظ القرآن يتعلمون في كتيب صغير في الفقه، يتعلمون الفرائض، الفرائض من الأساسيات، كان لا يبدأ طالب علم بعد حفظه القرآن إلا بعدما يعرف الصلاة .

الآن كثير من طلاب العلم ويمكن من العلماء ضيعوا الفرائض، وفيها حديث ضعيف، ولكن قد يصدقه الواقع أن علم الفرائض أول ما يفقد -والعياذ بالله-، نحن أدركنا واللهِ أن بداية التعليم يبدأ الشيخ عبد الله القرعاوي وتلاميذه

يبدءون بالفرائض والأصول الثلاثة، يا أخي دع العجلة تبدأ بالأصول والكتب والمتون التي تجمع لك أصولًا تسهل لك، وتكون سُلَّمًا إلىٰ هذه الكتب الكبار.

تبدأ العقيدة بـ«الواسطية»، وهي عقيدة جامعة علىٰ صغر حجمها، تحفظها قبل كل شيء، احفظها، تحفظ «كتاب التوحيد» وتفهمه، «الأصول الثلاثة» تحفظها وتفهمها، «بلوغ المرام» أو «العمدة» أو ما شاكل ذلك، وكتيب في أي فقه من فقه الفقهاء، ومن أحسنها «مختصر المقنع» ... «العمدة» وعليها شرح يسمىٰ «العدة»، يقرأ في هذه يتفهمها، ويتعقل فيها، ثم يقرأ عليها شروحها وما يتصل بها، شرح «الطحاوية» لها شروح، يقرأ في شروح «الطحاوية»، شرح «كتاب التوحيد»، له شروح يقرأ فيها، يثبت هذه المعلومات، وترتكز المعلومات الجديدة علىٰ هذه الأصول وتتسع.

وبعد مدة لا يستعجل بعدما يتجاوز هذه المرحلة يبدأ يقرأ في البخاري ومسلم وأبي دواد، ويقرأ في كتب الرجال، يقرأ في كتب المصطلح، هذه العلوم يحتاجها طالب الشريعة، فالمهم أنه يتدرج، لا يقفز إلىٰ العلم قفزًا هكذا، ويخبط هنا وهنا وهنا.

لهذا نجد كثيرًا من الناس ما عندهم تأصيلات، ليسوا مؤصلين، غير عارف لأصول العلم، تجده في الفقه عنده جهل، تجده في المصطلح عنده جهل، تجده في الحديث عنده جهل، تجده في علم الرجال ما عنده شيء، وهكذا، ولو سار بالتدريج علىٰ طريقة العلماء الأولين لوجدت عنده الخير الكثير، العلم النافع

من الحواجز والعوائق: التعصب، إما أن يكون مبتدعًا، رافضيًّا، صوفيًّا، جهميًّا، مرجئًا، معتزليًّا، عنده عقيدة ومنهج فاسد، هذه تحول بينه وبين العلم الذي أوحاه الله إلىٰ نبيه -عليه الصلاة والسلام-، وتداوله العلماء الأمناء بالبيان والتوضيح.

فترىٰ هذا لما يقرأ القرآن يحرِّفه لعقيدته، وإذا وصل إلىٰ شيء من السنن يحرفه لعقيدته، وهذا ليس بعلم، بل هذا بلاء ودمار عليه -والعياذ بالله-، فالتعصب سواء كان لحزب، أو كان لطائفة يحول بين طالب العلم وبين العلم الشرعي الصحيح الذي يجب أن يتعلمه، لا يقرأ لابن تيمية لماذا؟ لأنه حنبلي، لا يقرأ لمحمد بن عبد الوهاب! لا يقرأ لهذه الطائفة، لأنها ضالة ..إلىٰ آخره، وهو رافضي، أو صوفي قبوري.

فهذه التعصبات العمياء والتقليد الأعمىٰ من أكبر العوائق، تصد الناس عن طلب العلم الذي يرضاه الله والذي يزكي النفوس ويطهرها، البدع تدنس النفوس، وقد تفضي بأهلها إلىٰ الكفر، لأن البدعة مشتقة من الكفر، وآيلة إليه، فهذا لا يتنازل بأن يقرأ لابن تيمية لماذا؟ لأن علماء السوء من الروافض والباطنية والصوفية الغلاة وغيرهم قد شوَّهوا ابن تيمية، وشوَّهوا ابن عبد الوهاب، وشوَّهوا كتبهم، فما عنده إلا البلاء، وما عنده إلا الدمار، وما عنده إلا الضلال -والعياذ بالله-، ويرىٰ هذا علمًا وهو جهل، والجهل واللهِ خير منه.

واللهِ لو بقي جاهلًا لا يعرف شيئًا خير له من أن يتعلم هذه البدع التي تصده عن دين الله الحق، وعن العلم الصحيح الذي يزكي النفوس.

وهذا ما تيسر أن أقوله، وأكتفي بهذا القدر، وأسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يزكينا وإياكم بهذا العلم الذي أرسل الله ﷻ به محمدًا ﷺ، ليزكي النفوس، ويعلمها الحق والخير، إن ربنا سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

من يرد الله به خيرًا
يفقهه في الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

فإنَّها لفرصةٌ طيبةٌ مباركةٌ أن نلتقي فيها بأحبتنا وأبنائنا وإخواننا من طُلاب العلم ومن أهل العلم، نلتقي لنتذاكر ما ينفعنا في ديننا، ويُبصرنا فيه،

ويزيدنا حبًّا فيه، وتمسكًا به.

وأعظم وسيلة لذلك هي العلم والفقه في الدِين، وبه السَّعادة في الدنيا والآخرة، وبه أعزَّ الله هذه الأُمَّة وأكرمها، أكرمها بهذا القرآن العظيم وبهذا الدِين العظيم الذي جاء به محمَّدٌ ﷺ، فَسَعِدَت به الأمم والشعوب، السعادة في الدنيا وهناءٌ وعزةٌ وكرامةٌ، وسعادةٌ أعز وأكرم وأدوم لا تنتهي في الآخرة، كل ذلك يُنال بالعلم الذي جاء به محمدٌ ﷺ.

من فضل العلم: اتِّصافُ الله ﷻ به وثناؤه به على نَفسِه:

والعلمُ أمرٌ عظيم، مَدَحَ اللهُ به نفسَه في آياتٍ كثيرة، من أعظم صفات كمال ربِنا -تبارك وتعالىٰ-، وإنما تكون رفعة الإنسان إذا وهبهُ الله بفضله وجُودِه العلم.

فالله -تبارك وتعالىٰ- في كثيرٍ من الآيات يقول: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ويقول ﷻ يُمَجِّدُ نفسَه بالعلم: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢].

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن:٢٨].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

ويقول -تبارك وتعالىٰ-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد:٤]. ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ أي: بعلمِه واطِّلاعِه ومشاهدتِه.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن:٤] تبارك وتعالى.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣].

آياتٌ كثيرةٌ وكثيرة يثني الله تبارك وتعالى ويُمَجِّدُ نَفسَهُ بالعلم والإحاطة، والاطلاع علىٰ كلِ صغيرٍ وكبيرٍ في هذا الكون قبل أن يخلق الكون إلىٰ أبد الآبدين، لا يفوته مثقالُ ذرَّةٍ في السَّموات ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ إلا في كتابٍ مبين.

من فضل العلم: أنه أخص صفات الرسل الكرام والأنبياء العظام -عليهم الصلاة والسلام-:

والله تبارك وتعالى وَهَبَ من عِلمِهِ لأوليائه، من الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسَلام- والأنبياء والأصفياء من كل أُمة مَنَحَهُم هذا العلم الذي يعرفون به عَظَمَةَ الله وصِفَاتِه العُليا وأسمائِه الحسنىٰ، ويعلمون بها تشريعاتِه، الأوامر والنواهي، والحلال والحرام، وسائر شئون الحياة التي لا تقوم حياةُ الناس ولا يسعَدُون في الدنيا والآخرة إلا بهذا العلم الذي يوحيه الله إلىٰ أنبيائِه -عليهم الصلاة والسلام-.

فيهدي الله علىٰ أيديهم الأمم، ومن خالفهم نَزَلَ به الشقاءُ والهوانُ في الدنيا والآخرة، ومن آمن بهم وصَدَّقهم وتقبَّل هذا العلم برحابة صدر وإيمان وإخلاص سَعِدَ في الدنيا والآخرة، فلا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بما جاء به المرسلون -عليهم الصلاة والسلام-.

ولا يمكن أن نعرف عظمةَ الله وقدرتَه وكمالَه وحقوقَه علىٰ عباده إلا عن طريق الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام-، فبأيديهم وعلىٰ أيديهم يَسعَدُ الناس، لأنَّ اللهَ مَنَحَهُم هذا النور وهذا الهدىٰ وهو العلم، ومدح الله أنبياءَه بالعلم، ما أكرمهم بعد النبوة والرِّسالة بشيءٍ أفضلَ من العلم، لهذا يثني الله عليهم بالعلم: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣] علمُ الحُجَّة والبرهان، ورَفَعَهُ الله بها درجات، ورفع كذلك جميع الأنبياء درجات بهذا العلم.

وقال في يوسف -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢] آتاه الله حُكمًا وهو النبوة، وآتاه الله عِلمًا -عليه الصلاة والسلام-، أثنىٰ علىٰ هذا النبي الكريم بالنبوة والعلم.

وكذلك أثنىٰ علىٰ موسىٰ كليم الله -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص:١٤].

فانظروا يا إخوة كيف يُثني اللهُ ﷻ علىٰ أنبيائه ورُسُله، ويختار من بين صفاتهم العظيمة الجليلة يختار منها العلم، لأنه من أفضل صفاتهم، بل

أفضلُ صفاتهم بعد النبوة والرسالة.

وأثنىٰ الله علىٰ محمدٍ ﷺ وامتن اللهُ عليه بالعلم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣] والهدىٰ هو العلم النافع، ودينُ الحق العمل الصالح، وأظهر اللهُ بهذا العلم والعمل رسول الله ﷺ وأُمته علىٰ الأديان كلها.

وقال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

فأثنىٰ الله عليه وعلىٰ أُمته بالعلم والحكمة يُزكيهم بها ويُنقذهم بها من الضلال، كانوا يعيشون في ظلامٍ دامس من الجاهليات والضلالات، فأنقذهم الله بمحمدٍ ﷺ، وبما جاء به من الهدىٰ والعلم المُزكي للنفوس، والمُطهر للقلوب، والمُسعد لهذه الأُمة، والتي أخرجها الله واستنقذها بهذا العلم وبهذا النور وبهذا الهُدىٰ الذي جاء به محمدٌ ﷺ.

ثناءُ الله ﷻ علىٰ العلماء، ورفعةُ الدرجات تُنالُ بالعلم:

وأثنىٰ اللهُ علىٰ العلماء من هذه الأُمة وغيرها، أثنىٰ عليهم بالعلم، لا بالمال ولا بالجاه ولا بالسلطان ولا بشيء وإنما بالعلم، لأن العلم يحكُمُ الحياة كلها، يحكُمُ الحاكم والمحكوم، الملوكُ والسلاطين لابد لهم أن يحتكموا

لهذا العلم، وإلا إذا نبذوه ذلوا في الدنيا والآخرة، العلمُ له شأنٌ عظيم! لهذا مدح اللهُ به العلماء.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] لماذا؟ لأنهم يعلمون عظمة الله وجلاله، وأنه خلق هذا الكون ﷻ، ودبره ونظمه، وأن له صفات الكمال من القُدرة والإرادة والعلم والكلام، وأنه فوق العرش ﷻ، وأنه خلق جنةً ونارًا، وأنه يُحاسب الناس علىٰ كل دقيقٍ وجليلٍ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

يعرفون عظمة الله وكماله، وحقه عليهم، وحقوق العباد، يُميزُون بين الحلال والحرام، والضار والنافع، فيكونون من أشد الناس تقوىٰ لله وخشيةً له ومراقبةً له ﷻ، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

فالجاهل لا يعرف عظمة الله، ولا يعرف حقه، فكيف يخشاه، ولا يعرف الوعيد، ماذا احتوت النار، ماذا في البرزخ والقبور، ماذا يلاقي الناس من الأهوال.

النصوص الكثيرة التي وردت في الكتاب والسنة يعرفها العلماء، فيبعثُ ذلك في أنفسهم تعظيم الله وإجلاله وتعظيمه حق تعظيمه وقدرهُ حق قدره ﷻ، ويحترمون ما جاءت به الرُّسُل من عقائد وتعليماتٍ وأمورٍ عظيمة، فيكونون من أخشىٰ الناس لله وأتقاهم له.

ولهذا لما جاء ثلاثةُ رهطٍ إلىٰ أزواج النبي ﷺ يسألُون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبرُوا بها كأنهم تقالُّوها؛ فقالُوا: أين نحنُ من النبي ﷺ قد غُفر لهُ ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدُهُم: أما أنا فأُصلي الليل أبدًا، وقال الآخرُ: أنا أصُومُ النهار ولا أُفطرُ، وقال الآخرُ: أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوجُ أبدًا.

فجاء النبي ﷺ إليهم فقال: «**أنتُم الذين قُلتُم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكُم لله وأتقاكُم لهُ، لكني أصُومُ وأُفطر وأُصلي وأرقُد وأتزوجُ النساء، فمن رغب عن سُنتي، فليس مني**»[(١)].

أتقىٰ الناس وأخشىٰ الناس وأعلمُ الناس بالله رسولُ الله ﷺ: «**إن أتقاكُم وأعلمكُم بالله أنا**»[(٢)]، لما ترخص في بعض الأمور تنزه بعضهم عن ذلك الأمر الذي ترخص فيه رسولُ الله ﷺ، فبلغه ذلك فغضب وقام خطيبًا وقال: «**فوالله إني أعلمُهُم بالله، وأشدُّهُم لهُ خشيةً**»[(٣)] -عليه الصلاة والسلام-.

فهو أعلم الناس بالله، وأخشىٰ الناس لله، وأعبدُ الناس لله، والعبادة الصحيحة النافعة التي لا تضر بالإنسان لا في دينه، ولا في دنياه، ولا تضر بأسرته، ولا تُضيعُ شيئًا من حقوقه هي العبادة التي شرعها رسولُ الله ﷺ، وحارب الرهبنة، لا توجد رهبانية في الإسلام، فيه جهاد، فيه علم، فيه عبادة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

معتدلة متوسطة.

وأحب العبادة إلىٰ الله أدومُها، فإن الذي يُحملُ نفسهُ المشاق ويتكلف من العمل فوق طاقته لابد أن تخُور قُواه وتنهار، فيضعف وقد ينحرف، لأنه حمل نفسهُ فوق طاقتها، وضيع حق نفسه، وحق أهله، وحق الآخرين، «**إن لربك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كُل ذي حقٍ حقهُ**»(١).

وكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يصوم ولا يفطر، ويختم القرآن كل ليلة، فبين له رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فقال: «**فإن بحسبك أن تصُوم من كُل شهرٍ ثلاثة أيام**». قُلتُ: يا نبي الله إني أُطيقُ أفضل من ذلك. قال: «**فإن لزوجك عليك حقًّا، ولزورك عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا**، قال: **فصُم صوم داوُد نبي الله ﷺ، فإنه كان أعبد الناس**»(٢).

عبادةٌ معتدلةٌ يحتفظ الإنسان بقُواه، ويستطيع المداومة علىٰ عبادته، وهذا دليلٌ علىٰ كمال العقل وكمال العلم، فالذي يعتدل ويتوسط في أمور دينه ودنياه هذا دليلٌ علىٰ كمال علمه وعقله، والذي يزيد وينقص يدل علىٰ نقصٍ في العلم والعقل.

فالله سبحانه وتعالى وصف العلماء بالخشية يخشونه، لكن لا يخالفون نهج مُحمدٍ ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فيصومون ويفطرون، ويقومون وينامون، ويُؤدون حق الله علىٰ أكمل الوجوه، ويُؤدون حق الناس، وحق الأسرة وغيرها، فهم وسط، وهذا هو الميزان لعلم الرجُل وفضله ونُبله وعقله، وإذا خالف إما إلىٰ جفاء وإما إلىٰ إفراط، وكلُّ ذلك مذموم عند الله -تبارك وتعالىٰ-.

الفقه في الدين بمفهومه الشرعي الشامل:

«**من يرد اللهُ به خيرًا يُفقهه في الدين**» الناس يفهمون من الفقه فقه الفروع، إذا أُطلق عند الناس الفقه يفهمون منه كتب الفروع في الفقه، وهذا فهمٌ قاصر!

الفقه أولًا في العقيدة وفي التوحيد قبل كل شيء، هذا أعلىٰ درجات الفقه، لأن شرف العلم بشرف معلومه، فأفضل العلوم وأشرفُها علوم التوحيد، الذين يُعلِّمون الناس صفات ربهم، صفات كماله، ويدعونهم إلىٰ توحيده وعبادته وإخلاص الدين له.

فنتفقه في التوحيد من كتاب الله ومن سُنة رسول الله ﷺ، ومن فقه سلفنا الصالح، ونتفقه في سائر أبواب العلم، فقهًا في الحلال والحرام، في العبادات، في المعاملات، في السياسة، في الاقتصاد، في كل شيء، كل ذلك ولله الحمد متوفرٌ فيما جاء به محمدٌ ﷺ.

فإذا أُطلق الفقه فيُراد به فقه كل شيء يتعلق بديننا ودنيانا، وعلىٰ رأسها وفي قمتها علمُ التوحيد، علمُ التوحيد لا يُغني عنه شيءٌ، لابُد منه، وقد

يُغرقُ بعض الناس في العلوم والفنون لكنه لا يعرف هذا العلم، العلم الذي جاء به الرسول ﷺ.

حتىٰ إن كثيرًا من الناس تجده مُتضلعًا من اللغة ومن الفقه ومن الفلسفة ومن المنطق، لكنه والله لا يعرف معنىٰ لا إله إلا الله! التوحيد الذي بعث اللهُ به الرسُل جميعًا من أولهم إلىٰ آخرهم.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦] كل رسولٍ يأتي بهذا إلىٰ خاتمهم محمدٍ ﷺ والذي لبث ثلاثة عشر عامًا في مكة يدعو إلىٰ التوحيد، دعوتُه الرئيسة الأساسية إلىٰ التوحيد.

والصلاة التي هي الركن الثاني بعد شهادة أن لا إله إلا الله لم تُشرع إلا في السنة العاشرة، والزكاةُ بتفاصيلها لم تُشرع إلا في المدينة وسائر التشريعات، ما يدُل علىٰ أهمية التوحيد، كيف يجهله كثيرٌ من المنتسبين للإسلام ممن يتعاطىٰ العلم، فضلًا عن الجهال لا يعرفون معنىٰ لا إله إلا الله مع الأسف الشديد!

ولهذا انتشر الضلال والبدع وعبادةُ القبور، ونشأ عن الجهل بعلم أسماء الله وصفاته تعطيلُ صفات الله ﷻ مع الأسف الشديد، ودخل في الإسلام أناسٌ من أهل الأديان الأخرىٰ دسُّوا علىٰ الناس علومًا فاسدة، المنطق والفلسفة والتواريخ المُزيفة وما شاكل ذلك، فأفسدوا عقائدهم ومناهجهم.

فلابُد من الفقه في كتاب الله وفي سُنة رسول الله ﷺ بفهم سلفنا الصالح، بفهم الرسول ﷺ وفهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن تبعهُم بإحسان، هذه أمورٌ لابُد منها، ومن حاد عن شيءٍ منها ضل وتاه، وما أجمل كلمة قرأتها لابن تيمية نقلها عنه ابنُ القيم -رحمهما الله-: «من فارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول»(١).

دليلنا هو القرآن والسُنة، من فقدهما في أي ميدانٍ من الميادين ضل، هذا الكلامُ حق، وهو ما قاله الرسول ﷺ، وقاله الصحابةُ رضي الله عنهم ومضوا عليه في تلقي الفقه والدين، الدليل: قال الله، قال رسول الله، في أي قضيةٍ من القضايا.

الآن بعضُ القضايا تصل أدلتُها إلىٰ ألف دليل لا تجدها في قواميس أهل الضلال، ضلوا السبيل، ضيعُوا الأدلة الكثيرة مع الأسف الشديد! في تسميات الأحناف في الفقه يقولون: الفقهان، الفقه الكبير، والأكبر، الفقه الكبير يعنُون به فقه الأحكام والفروع وما شاكل ذلك.

هذا أمرٌ عظيم! لكن أكبر منه ولابد منه ولا يسعدُ الناسُ إلا به هو فقه التوحيد والإيمان، هذا الفقه الأكبر، يعني نتفقه في ديننا ونعرف الفقهين الكبير والأكبر، والأكبر: التوحيد والإيمان، والكبير: الفقه العظيم الذي نُميزُ به بين الحلال والحرام والحق والباطل، نستقيه من كتاب الله ﷻ، ومن

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٨٣).

سُنة الرسول ﷺ، ومن فقه سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم-، نستعين بفقههم، وما خلفُوه لنا من العلوم اللغوية، وأصول الفقه، وأصول الحديث، وتصحيح الأحاديث وتضعيفها، كل ذلك لابُد منه لطلاب العلم لا يُغني شيءٌ عن شيء.

فالذي يدرُس الفقه ولا يهتم بالأدلة ولا يُميز بين صحيحها وضعيفها يقع في أخطاءٍ كبيرةٍ جدًّا، فقد يتعبد الله بحديثٍ ضعيف أو موضوع، فلابُد له أن يُميز بين الصحيح والضعيف.

ومن هنا يقول أحمد وإسحاق -من أئمة الفقه والحديث رضوان الله عليهم-: الذي لا يُميِّزُ بين صحيح الحديث وضعيفه ليس بعالم[1]، لماذا؟ لأنه قد يتعبد الله ويُحللُ ويُحرم بأحاديث ضعيفة وموضوعة، فيضُر نفسه ويضُر الناس.

«من فقد الدليل ضل السبيل» قاعدة تأتي في كل مجال، فعليكم بالتفقه في دين الله ﷻ علىٰ طريقة السلف الصالح، يُسألُ الصحابي عن مسألةٍ فيُجيب بآيةٍ وحديثٍ في أي قضية، لا يقول: رأيي كذا ولا يخرج عن النص، إلا إذا ما بلغه فيجتهد، وقد يكون النص عند غيره، لأن هذا حفظ شيئًا، وهذا حفظ شيئًا آخر، وهذا فاته شيءٌ.

فيتقي الله ويجتهد في حدود طاقته، أول شيءٍ عنده: قال الله، قال

(١) انظر: «معرفة علوم الحديث» للحاكم (ص١٠٦).

رسول الله، فإذا لم يكن معه الدليل يجتهد ويقول: هذا رأيي، إن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأتُ فمني ومن الشيطان، يقولها ابن مسعود ويقولها غيره ﷺ.

وكان أبو بكر ﷺ إذا دهمته الحاجة وليس عنده نص عن الله ما يسأل عنه: ماذا قال رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ماذا قال رسول الله في هذه القضية، يسأل عمر ﷺ كذلك، إذا لم يكن معه دليل يسأل من هو أصغر منه فيجد الحديث عند من هو أصغر منه من الصحابة وممن جاء متأخرًا كالمغيرة ابن شعبة ﷺ، فيسألهم فيجيبونه: الرسول ﷺ قال في القضية الفلانية كذا، في المواريث وغيرها، ولا يأنف!

والإنسان حياته كلُها في طلب العلم من المهد إلى اللحد لا يأنف أن يأخذ الحق من الصغير أو الكبير، ولا يرد الحق أبدًا من مسلم أو كافر، نفسُه تتطلب الحق إن كان معه النص من كتاب الله وسُنة الرسول ﷺ فالحمد لله، فإن لم يكن معه ووجده عند غيره يقبله.

كما يقول ابنُ حزم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: قد يكون الإنسان يحفظ الآية والحديث تأتي الحادثة فينسى الآية والحديث فيُذكِّرُه غيرُه، الإنسان بغيره، لا يقدر أن يقوم في هذه الحياة في أمور دينه ودنياه إلا بالتعاون على البر والتقوى، فلا يأنف إذا جاءت حادثةٌ وما عنده فيها نصٌ، أو لم يستحضر فيها نصًا كان يحفظه فنسيه، أو ليس له فيها كلام عن الصحابة والتابعين يسأل ولا يأنف.

---

(١) انظر: «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٢/ ٢٤٤-٢٤٥).

فضل الرحلة في طلب العلم:

طلب العلم أمرٌ عظيم حث الله عليه في القرآن، وحث عليه رسول الله ﷺ، وقبل ذلك أخبر الله أن موسىٰ رحل -عليه الصلاة والسلام- في طلب العلم: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف:٦٠] حقبًا: سنين يريد بعض المسائل.

كان في مجلسٍ من مجالس بني إسرائيل فسأله رجلٌ: من أعلمُ الناس؟ قال: هل هناك أعلمُ منك؟ قال: لا، فأوحىٰ الله إليه: بلىٰ عبدُنا خضر، وقص الله هذه القصة في القرآن وقصها رسولُ الله ﷺ، نبيٌّ كلمه الله وأوحىٰ إليه التوراة فيها الهدىٰ والنور ولما عرف أن عند غيره من العلم ما ليس عنده قال: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ ذهب علىٰ أرجله ماشيًا، ما عنده سيارة ولا ركب فرسًا رحل ماشيًا، قال الله ﷻ عنه: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف:٦٤] لأجل العلم، لأنه لا يعرف الفضل إلا ذوو الفضل، لا يعرف فضل العلم إلا الفضلاء.

فلو أذل نفسه من أجل العلم فهذا عزٌّ، لا تُذل نفسك لأجل الدنيا عند أعظم الناس لا تذل نفسك، لكن لأجل العلم تواضع وتأدب وأذل نفسك، لأنه أعلىٰ شيء، وبه تعلو عند الله وعند الناس، إذا بذلت نفسك لنيل العلم هذا ليس ذُلًّا أبدًا، هذا تواضع، وهذا دليل علىٰ الأخلاق، وعلىٰ الصدق في طلب العلم والحق.

قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢] انظر! العلم له غاية، لا يُحصل العلم ليتباهىٰ به علىٰ الناس، لتُنذر به قومك، تعلم العلم لوجه الله، وأخلص فيه لله، ويكون قصدك بعد الإخلاص لله أن تنفع الناس، وأولىٰ الناس أن تنفعهم الأقربون والعشيرة، لهم حقٌّ عليك قبل كل الناس.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ أولًا يتلقىٰ ويعرف الدين، يعرف حق الله، يعرف حق العباد، يتفقه، والأمر الثاني: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾، قال الله ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:٤٦] نذيرٌ بالعلم، فهذا يرجع نذيرًا إلىٰ قومه من عذاب شديد، كيف يعرفون حق الله، ويعرفون حق البشر، ويعرفون طريق الجنة، وطريق النار، إلا بهذا العلم وهذا التفقه، هذا هو طريقُ النجاة وطريقُ السعادة.

فيتفقه أولًا، ينفر ويرحل، إلىٰ بلاد العلم، إذا كنت في أقصىٰ الدنيا وتسمع بعالم في الطرف الآخر شُد الرحال لتُحصل علىٰ هذا الخير، تتفقه في دينك، وترجع إلىٰ قومك فتكون من أسباب سعادتهم وأسباب إنقاذهم من الجهل والضلال.

وقد كان الناسُ في عهد رسول الله ﷺ يرحلون من أنحاء الجزيرة إلىٰ النبي ﷺ كما جاءنا في التأريخ وفي السنة، رحل وفدُ عبد القيس وسألوا النبي ﷺ فأجابهم بالتوحيد والصلاة وغيرها.

ورحل إليه ضمامُ بنُ ثعلبة الهُذلي وسأله عن شرائع التوحيد وشرائع الإسلام وأجابه الرسولﷺ.

ورحل مالكُ بنُ الحُويرث هو وعددٌ من الشباب فأقاموا عشرين ليلةً، ورحل الناس من أنحاء الجزيرة إلىٰ الرسول الكريمﷺ يتعلمون منه العلم والفقه في دينهم، ويعود كلُ واحدٍ إلىٰ قومه يُنذرُهم ويعلمُهم، مالكُ بنُ الحُويرث أقام هو وشببة معه يعني شبابًا أيامًا، فلما رآهم رسولُ اللهﷺ أنهم قد اشتاقوا إلىٰ أهاليهم وكان رءوفًا رحيمًا -عليه الصلاة والسلام-، فقال لهم: «**ارجعُوا إلىٰ أهليكُم وعلمُوهُم، وإذا حانت الصلاةُ فليؤذن أحدُكُم وليؤمكم أكبركم وصلُّوا كما رأيتمُوني أُصلي**»[(١)].

فرجعوا إلىٰ قومهم وهم لا يعرفون كيف يُصلُّون، فعلَّموهم الصلاة وكانوا يُصلُّون بهم.

وهكذا كلُّ وافدٍ يفدُ إلىٰ الرسولﷺ وفد مجموعةٍ أو أفراد، كلُّ واحدٍ يرجع إلىٰ قومه يقول: إني رسولُ رسول اللهﷺ، وأرسل رسولُ اللهﷺ مُعاذًا إلىٰ اليمن وأبا موسىٰ رضي الله عنهما لتعليم الناس وتفقيههم، لأن مُعاذًا أصلُه من اليمن وأبو موسىٰ من اليمن، وأرسلهم إلىٰ عشيرتهم يُعلِّمونهم دينهم.

﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ هذه الآية فُسرت تفسيرين:

---

(١) تقدم تخريجه (ص٧٩).

التفسير الأول: لا ينفرُ الناس كلهم إلىٰ الجهاد: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ فرقةٌ تنفرُ إلىٰ الجهاد، وفرقةٌ تبقىٰ، فإذا عادت تفقهت عند التي بقيت، يمكثون لتحصيل العلم وهو أفضل الجهادين، وطائفة نفرت، لأن العلم لا يستطيع كل واحدٍ أن يخُوض فيه ويتحمَّل مشاقه، هو أشق من الجهاد، ليس كل واحدٍ يصلُح لحمل العلم وحمل ميراث النبوة، الجهاد يخوض فيه الجاهل والعالم، لكن العلم لا يخوض فيه إلا خواص الناس، فتبقىٰ طائفةٌ تتعلم حتىٰ ترسخ في العلم، فتأتي التي نفرت إلىٰ الجهاد وتتعلم من الفرقة التي بقيت.

التفسير الثاني: وقال الحسن: هذا التفقه والإنذار راجع إلىٰ الفرقة النافرة، ومعناه: هلا نفر فرقة ليتفقهوا، أي: ليتبصروا بما يريهم الله من الظهور علىٰ المشركين ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله رسولهﷺ والمؤمنين لعلهم يحذروا أن يعادوا النبيﷺ، فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار.

وأخيرًا: فشد الرحال أمر مشروع، وقد حصل في عهد رسول اللهﷺ إذ كان يغدو إليه الناس من أنحاء الجزيرة ليتعلموا من رسول الله أمور دينهم.

ورحل جابرُ بن عبد الله وأبو أيوب رضي الله عنهما، كل واحدٍ منهم رحل شهرًا من أجل حديثٍ واحد، أبو أيوب رضي الله عنه رحل إلىٰ مصر من أجل حديث واحد ذهب إلىٰ عُقبة بن عامر ليذكره هذا الحديث، هو سمع الحديث لكنه يريد أن يتأكد هل ضبطهُ أو لم يضبطه.

انظر الجد في تحصيل العلم، شدَّ الرحال علىٰ بعير في ذلك الوقت من أجل أن يستذكر هذا الحديث، وجاء إلىٰ الأمير وقال: دُلوني علىٰ فلان، أبىٰ أن يدخل عند الأمير حتىٰ أوصلوه إلىٰ صاحب الحديث عُقبة بن عامر، فسأله عن الحديث وأمسك زمام ناقته ورجع، لا غرض له إلا أن يسمع هذا الحديث، يسمع ويعود ما لحقته جائزتُه إلا وهو في العريش.

ورحل جابرُ بنُ عبد الله ﷺ إلىٰ الشام إلىٰ عبد الله بن أُنيس من أجل حديثٍ واحد.

وسار علماءُ الأُمة وطُلاب العلم علىٰ هذا المنوال، يرحل أحدُهم من أقصىٰ المشرق، من خراسان إلىٰ العراق: الكوفة والبصرة ثم إلىٰ الحجاز: مكة والمدينة، وربما يذهب إلىٰ قُراها ليتعلم، ويذهب إلىٰ مصر وإلىٰ الشام، هكذا يُطوف في العالم الإسلامي، ويرحل الآخر من الأندلس فيأتي إلىٰ هذه البلدان: مصر والشام والحجاز والعراق، ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

فيا أيها الشباب، عليكم بهذا الميراث، ميراثُ النبوة، لأن العلماء ورثةُ الأنبياء: «من سلك طريقًا يطلُب فيه علمًا سلك اللهُ به طريقًا من طُرُق الجنة، وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع»[1].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٣).

إذا أخلصت لله وأردت وجه الله بهذا العلم والتفقه في الدين ونفع نفسك وإنقاذها أولًا، ثم نفع من تستطيع أن توصل إليه هذا الخير وهذا الهدىٰ وهذا الفقه بهذه النية الصادقة تسير في طريق إلىٰ الجنة.

الملائكة تضع أجنحتها لك تواضعًا واحترامًا وتقديرًا رضًا بما تصنع، لأن الملائكة يُحبون الله ويُحبون كل ما يُحبه الله، والعلم يُحبه الله، لأن العلم هذا علَّمه وأوحاه إلىٰ رُسُله، لبيان ما يُسعد الناس في الدنيا والآخرة، وما يُجنِّبهم الشقاء، وهذا أمرٌ محبوب عند الملائكة، تضع لك أجنحتها رضًا بما تصنع.

«**وإن العالم ليستغفرُ لهُ كُل شيءٍ حتىٰ الحيتاُن في البحر**» لأنه ينفع الناس، وحتىٰ الحيوانات تستفيد منه، يبيِّن الحلال والحرام من الحيوانات، وكيف تُركب، وكيف تتعامل مع هذا الحيوان، وكيف تذبحه: إذا ذبحته أن تحسن الذبحة، كل شيءٍ يحبه الله، يقذفُ الحُب في نفسه فيستغفر له من في السموات ومن في الأرض.

ما هذه المنزلة؟ أنت رجُلٌ مسكين، واللهُ ﷻ يُجند لك هذه الجنود تدعو لك، وتستغفر لك، وتتواضع لك الملائكة، إذا عرفت هذا تزدادُ تواضعًا وحُبًّا لله، وتزدادُ حرصًا علىٰ العلم.

وفي حديث: «**إن طالب العلم لتحُفه الملائكةُ بأجنحتها ثُمَّ يركبُ**

بعضهم بعضًا حتىٰ يبلغوا السماء الدُّنيا من محبتهم لما يطلُبُ»(١).

تحميه وتحرصه وتفرح به وتسمع لهذا العلم، يقرأ القرآن يُفسره، يقرأ الحديث يشرحه للناس فتفرح الملائكة، شيءٌ عظيم!

إكرامٌ من الله ﷻ ما نتصوره، وما يخطر بِخَلَدِ كثيرٍ منا، عناية ربانية بهذا الذي يتعلم الوحي، ليكون وارثًا للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في تعلم العلم، وفي تبليغه للناس، وإسعاد الناس، وإنقاذ الكثير منهم من الضلال، بعضهم في ضلال الكفر ينقذهم الله بيدك، بعضهم في ضلال البدع والخرافات، بعضهم في ضلال الجهل، أنت تنفع هنا، وتنفع هنا، تُقدِّم هذا الخير للناس أحسن من بذل الأموال، المال الذي تُحصلُه قد تستعين به علىٰ معصية، لكن العلم ينفعك.

أقسام الناس في الانتفاع بالعلم:

والرسول ﷺ يضرب مثلًا للعلم الذي جاء به: «**مثلُ ما بعثني اللهُ به من الهُدىٰ والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضًا، فكان منها نقيةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير وكان منها أجادبُ أمسكت الماء فنفع اللهُ بها الناس فشربُوا وسقوا وزرعُوا، وأصابت منها طائفةً أُخرىٰ إنما هي**

(١) رواه الآجري في «أخلاق العلماء» (ص٣٨-٣٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٧٦-٧٧برقم١١٩-زمرلي)، من حديث صفوان بن عسال ﷺ، وأورده الألباني في «الصحيحة» برقم (٣٣٩٧).

قيعانٌ لا تُمسكُ ماءً ولا تنبتُ كلأً، فذلك مثلُ من فقه في دين الله ونفعهُ ما بعثني اللهُ به، فعلم وعلم ومثلُ من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هُدىٰ الله الذي أُرسلتُ به»(١).

فالناس أقسام في الانتفاع بالعلم:

قسمٌ منهم: مثل الأرض الطيبة، قلبُه يقبل الخير، فيُثمر مثل الأرض تقبل المطر، فتنبت، وتثمر، وتُقدم للناس المراعي، للدواب والطعام والفواكه والثمار، استفادت من هذا الغيث وأفادت، فهذا مثلُ الذي يتفقه: يحفظ العلم ويتفقه فيه، ويستنبط منه الأحكام والعقائد والقواعد، ويُقدِّمها للناس فيستفيدون منها.

وقسمٌ ثانٍ: ناسٌ تحفظ، لكن ما عندهم ذلك الفقه، فهذا مثل الأرض التي تمسك الماء يسقي منها الناس ويزرعون وينقلون هذا الماء الذي حبسته الأرض إلىٰ أرضٍ أخرىٰ، كما في قوله ﷺ: «**رُب مُبلَّغٍ أوعىٰ من سامعٍ**»، فيكون قد وعىٰ شيئًا نقله إلىٰ غيره، هذا المبلَّغ قد يكون أفقه منه فيستنبط الأحكام ويستخرج المسائل، أما المؤدي فحظُّه: «**بلغُوا عني ولو آية**»(٢) فهذا مُبلِّغ.

وقسمٌ ثالث: لا رواية ولا دراية، لا يحفظ ولا يفهم، ولا يرفع بالعلم

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص٨٤).

رأسًا، فهذا مع الأسف إما أن يكون كافرًا، وإما أن يكون مسلمًا جاهلًا لا يهتم بعلم ولا بدين، فهذا المثل الثالث.

الأول أفضل، الثاني قريب منه، الثالث بعيد عن هذا الخير، فكن واحدًا من هاتين الطائفتين التي شبهها بالأرض الطيبة والأرض التي تمسك الماء، يعني تحفظ العلم وتعيه وتبلغُه وتُفقه فيه الناس، أو تحفظ للناس وتبلغُهم: قال الله، قال الرسول ﷺ، تحفظ القرآن فتعلم مجموعةً من الناس وتُحفظُهم القرآن، تحفظ مجموعةً من الأحاديث قدِّمها للناس، قدَّمت خيرًا، وأنت بلا شك ممدوحٌ لأنك ممن عَلِم وعَلَّم.

لكن هناك تفاوت ومراتب في العلم والفقه، فإن لم تكن ذاك الفقيه المستنبط المستخرج للأحكام من القواعد والأصول، فكن علىٰ الأقل ممن يحفظ، وقد يُفقهُك غيرُك، وانقل هذا الخير الذي عندك إلىٰ غيرك، فاجتهدوا وشمرُوا عن ساعد الجد في تحصيل العلم.

آدابٌ لا يستغني عنها طالبُ العلم:

وهنا فوائد أقولها لكم: يقال أن العلم لابُد فيه من حُسن السؤال من الوسائل التي تُقرب إليك العلم: حُسنُ السُّؤال، اجعل سؤالك طيبًا، واجعله غير مُتعنت، وليكن قصدك الاستفادة، لا تسأل تعنتًا، فإن العالم إذا أدرك أنك تتعنت في السؤال ولا تحسن السؤال قد لا يفيدك، يرىٰ أنك لست أهلًا لأن تُجاب، فلابُد أن يرىٰ عليك ملامح الرغبة من كلامك ومن سؤالك لمعرفة الحق وطلبه، هذا حُسنُ السؤال.

وبعد: ذلك حُسنُ الإنصات والاستماع، تسمع تصغي لتعي، بعضهم يكون شارد الذهن يسأل ثم يشرُد ذهنُه ولا يبالي كيف تكون الإجابة، لا، احرص وألق سمعك وأحضر فؤادك، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

الإجابة تتضمن آياتٍ وتتضمن أحاديث وتتضمن تفاصيل، فلتكن علىٰ غاية الاستعداد لتلقي هذه الإجابة، أحسن السؤال وأحسن الاستماع والإصغاء، فإن هذه الطرق توصل إليك العلم.

وبعد ذلك: احفظ، لا تسمعها ثم ترميها، دوِّنها عندك في الكتاب، واحفظها في قلبك.

ثم يأتي بعد ذلك: التعليم، تسأل السؤال الجيد، وتصغي وتعي، تحفظ ذلك فلا يضيع، ثم بعد ذلك تُعلِّم وتدعو إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، هذه الطرق التي تؤهلك للعلم وتُحصِّل العلم بهذه الأسباب الطيبة.

ثم العمل هو ثمرة العلم كما يقول البخاري ﷺ: باب العلم قبل القول والعمل، تعلم لتقول الحق ولتعمل بهذا العلم، فالعلم هو المرتبة الأولىٰ، تعلم لتتكلم بهذا العلم وأنت علىٰ بصيرة، وتعمل علىٰ بصيرة، وتدعو بعد ذلك علىٰ بصيرة، علمٌ تنطلق منه إلىٰ الدعوة إلىٰ الله، إلىٰ توجيه الناس، إلىٰ تعليم الناس، والعمل لابُد أن يكون مطابقًا للعلم الذي جاء به محمدٌ ﷺ، ولابُد أن يكون ناشئًا عن العلم الذي جاء به محمدٌ ﷺ.

فهذه من الطرق التي تساعدكم علىٰ تحصيل العلم: حُسنُ السؤال،

حسن الإصغاء، والفهم الدقيق، والحفظ، والتعليم، لأن التعليم يُنَمِّي العلم، ويدفعك إلىٰ المذاكرة، وترسيخ المعلومات، حتىٰ تُقدِّم للناس علمًا نافعًا، فبهذه الأسباب ينمو العلم ويزداد ويزكو.

ثم الإخلاصُ لله وتقوىٰ الله ومراقبتُه فيما تقول، وفيما تعمل، وفيما تُعلِّم، وفيما تدعو، لابُد من هذه الأشياء، ويستفيد منك الناس ويسعدُ كثيرٌ من الناس بسببك، وإياك والرياء! ونعوذ بالله من الرياء، «**من يُرائي يُرائي اللهُ به، ومن يُسمِّع يُسمع اللهُ به**»(١).

يعني يعمل ويتعلم ليقال فلانٌ عالم! فلانٌ يُصلي! فلانٌ يُزكي! فلانٌ يتصدق! هذا وبالٌ ومُحبطٌ للأعمال، فلابُد أن تراقب الله في طلب العلم، وفي حفظه ووعيه وفهمه، وفي تبليغه للناس، وفي دعوة الناس إليه، تريد بذلك كله وجه الله -تبارك وتعالىٰ-، وإلا مع الأسف يذهب هذا الجهاد.

كما في الحديث: «**إن أول الناس يُقضىٰ فيه يوم القيامة ثلاثةٌ: رجُلٌ استُشهد فأُتي به فعرفهُ نعمهُ فعرفها، فقال: وما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتىٰ قُتلتُ، قال: كذبت، ولكنك قاتلت، ليُقال: هُو جريءٌ، فقد قيل**» يعني هذا الذي عملت من أجله حصل، تريد الثناء والمدح من الناس هذا حصل، وما لك شيءٌ غيره!

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٠٩).

«ثُم أمر به فيُسحبُ علىٰ وجهه حتىٰ أُلقي في النار» قاتل وقدَّم نفسه وماله، والنتيجة هي هذه! ما الذي ضيعها؟ والله الرياء نعوذ بالله منه! نسأل الله أن يحفظنا وإياكم، وهذا أمرٌ يحتاج إلىٰ جهادٍ عظيم ومراقبةٍ في كل كلمة تقولها.

قال سليمانُ بنُ داود العباسي وكان عالمًا تقيًّا -وكان أحمدُ يقول: إن هذا يصلُحُ للخلافة- يقول: «ربما أحدث بحديث واحد ولي نية، فإذا أتيت علىٰ بعضه تغيرت نيتي، فإذا الحديث الواحد يحتاج إلىٰ نيات» لأن الشيطان يدخل.

فأنت تُحدثُ بحديثٍ فتنتقل منه إلىٰ الآخر يدخل عليك الشيطان ويُفسد عليك نيتك، يدخل عليك الرياء وحُبَّ السُمعة، يقال: فلانٌ عالم، فلانٌ حافظ، فقال: فإذا كل حديثٍ يحتاج إلىٰ نية، فلابُد أن تستحضر النية دائمًا فيكون عملُك لله تَعَالَى.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «ورجُلٌ تعلم العلم وعلمهُ وقرأ القُرآن، فأُتي به ليُعرفهُ نعمهُ فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ فيك العلم وعلمتُهُ وقرأتُ فيك القُرآن، فقال: كذبت، ولكنك تعلمت ليُقال: هُو عالمٌ، فقد قيل، وقرأت القُرآن ليُقال: هُو قارئٌ، فقد قيل، ثُمّ أمر به فيُسحبُ علىٰ وجهه حتىٰ أُلقي في النار» ذاك الجهد في تحصيل العلم وتحفيظ القرآن ذهب هباءً!! كيف؟ لأنه يُحبُّ الثناء فقتل نفسه وضيع جهاده، قد يُعمر ستين أو سبعين سنةً -نسأل الله العافية- فتكون هذه نهايته!

ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: «**ورجُلٌ وسع اللهُ عليه وأعطاهُ من أصناف المال كُله، فأُتي به فعرفهُ نعمهُ فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحبُّ أن يُنفق فيها إلَّا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ذلك، ليُقال هُو جوادٌ، فقد قيل**» لأن هذا هو جزاؤك.

أنت تريد هذا إذن حصل لك مطلوبك، الناس يُثنون عليك: فلانٌ جواد، وبذل كذا وكذا في الباب الفلاني، وفي السبيل الفلاني، ما هو قصده؟ قصدُه أن يقال: جواد، تحدث الناس عنك كثيرًا هذا جزاؤك! إذن قضية الإخلاص قضيةٌ عظيمةٌ جدًّا، يقول ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

لابُد من الإخلاص، شرطٌ أساسيٌّ في قبُول الأعمال، الإخلاص لله وموافقة ما جاء به محمدٌ ﷺ لابد من هذين الشرطين في قبول الأعمال، شرطان مهمان لا يجوز لمسلمٍ أن ينساهما: أن يكون عملُك ناشئًا عن كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ موافقًا لهما، وأن تخلص فيه لله.

كل عملٍ تتقربُ به إلىٰ الله لابُد من هذا الأمر، ويجب أن يكون علىٰ بال كل مسلم يتقرب إلىٰ الله بأي عبادةٍ، والخطر كل الخطر أن يفوتك الإخلاص، إذا فاتك الإخلاص كنت من المرائين، وإن الله قال: «**أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركتُهُ وشركهُ**»(١)

(١) تقدم تخريجه (ص١٨٦).

الله غنيٌّ عن العالمين ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦].

هذه إساءةٌ عليك، لأن الله أمرك بالإخلاص كيف ترائي بهذا العمل؟ كيف تُسمع بهذا العمل؟ فلابُد من الإخلاص لله، ولابُد من موافقة الشرع، وإلا وقعت في البدع والضلالات وما أخطرها وما أسوأها؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ في جُلِّ خُطبه أو كُلها يقول: «**إياكُم ومُحدثات الأمور**»(١).

مجالات العمل كثيرةٌ جدًّا فأنت لا تستطيع أن تقوم بالتشريعات التي شرعها الله ﷻ من عقائد وعبادات فليسعك شرع الله، فَلِمَ تُضلُّ نفسَك في العقيدة أو في العبادة أو في المعاملة أو غيرها فتُحدث ما لم يشرعه الله وما لم يأذن به الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورىٰ:٢١].

ورسول الله ﷺ يقول: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منهُ فهُو ردٌّ**»(٢).

لو عبدت الله ليل نهار بهذه البدعة لا تزدادُ من الله إلا بُعدًا، ولا ينفعك، لماذا؟ لأنك تركت تشريع الله واتبعت هواك، ما اتبعت شرع الله، اتبعت هواك، والله -تبارك وتعالىٰ- يقول: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [القصص:٥٠].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والرسول ﷺ كان في كل خُطبة أو في جُل الخُطب يقول: «**أما بعدُ: فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُ مُحمدٍ، وشر الأمور محدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكُل بدعةٍ بدعةٍ ضلالةٌ**»[1] ماذا تريد بالمحدثات والبدع والضلالات؟!

مع الأسف الشديد كثيرٌ من الناس يقعون في البدع العقائدية والمنهجية وفي العبادات وغيرها، فيُنبَّه فلا ينتبه، ويُنصح فلا ينتصح، فهذا والله من الخذلان! ومن علامة السعادة أنك تحرص علىٰ الحق، وتبحث عنه، وتفرح إذا نُبهت علىٰ خطئك، ورحم الله امرأً أهدىٰ إلي عيوبي، إنسان يُهدي لك خطأك، يُبين لك خطأك أنك تسير في طريق الضلال -والعياذُ بالله-، تسير علىٰ غير منهج الله وعلىٰ غير صراط الله ﷻ.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] صراطه هو ما جاء في القرآن والسنة من أوامر، ونواهٍ، وعقائد، وأخبار، ووعد، ووعيد، وما شاكل ذلك، هذا صراط الله، آمن بها واعمل بها، بل اعمل بما استطعت، لا تستطيع أن تعمل بكل ما شرعهُ الله ﷻ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

تبذل بأقصىٰ ما عندك من جهد في القيام بما شرع الله ﷻ من عقائد وعبادات، فإذا عجزت عن شيءٍ، فإن الله يعذُرُك، أما أن تترك ما شرعه وتتبع

(١) تقدم تخريجه (ص١١).

هواك فهذا طريق الهلاك.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] تعلم الصراط المستقيم واطلب من الله الهداية إلىٰ هذا الصراط المستقيم، واحرص كل الحرص ألا تحيد ولا تميل عنه يَمنةً ولا يَسرةً.

قال حذيفة ﷺ: «يا معشر القُراء استقيمُوا، فلئن استقمتُم لقد سبقتُم سبقًا بعيدًا، ولئن ملتُم يمينًا ويسارًا لقد ضللتُم ضلالًا بعيدًا».

وهذا مأخوذ من الآية ومن الحديث، ما جاء عن الرسول ﷺ: خط لنا رسُولُ الله ﷺ خطًّا، فقال: «هذا سبيلُ الله» -هذا الصراط الذي يوصل إلىٰ الله وإلىٰ الجنة-، **ثُم خط خُطُوطًا عن يمينه، وعن شماله، فقال: «هذه سُبُلٌ علىٰ كُل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعُو إليه»** -شيطان من شياطين الإنس أو شياطين الجن-، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

سبحانك اللهُم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص٢٠).

العمل بالعلم

(تعليق على كلام للإمام ابن القيم

في كتابه الفوائد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الفوائد:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول علىٰ الله غير الحق في فتواه وحكمه، وفي خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي علىٰ خلاف أغراض الناس ولاسيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا.

فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولاسيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوىٰ فيخفىٰ الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم علىٰ مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة.

وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالىٰ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩].

وقال الله تعالىٰ فيهم أيضًا: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٩]).

التعليق:

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد:

فالعلم شأنه عظيم عند الله، ولأهله الصادقين المخلصين العاملين بما تعلَّموه من دين الله الجزاء العظيم يرفعهم الله به درجات، وهم الذين يخشون الله، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨].

فالعالم الذي يخشىٰ الله ويراقبه لابد أن يكون عاملًا بما علم، فيتبع رضوان الله ويتجنب مساخطه، ويعرف ما الذي يرضي الله ﷻ وما الذي يسخطه.

وقد أثنىٰ الله ورسوله ﷺ علىٰ العلم والعلماء، وأخبر أن العلماء ورثة الأنبياء، ولكن ليس كل من كان عالمًا كان وارثًا للأنبياء، فلابد من الإخلاص في العلم ولابد من تطبيق هذا العلم والعمل به ونشره في الناس، فيصلح نفسه بهذا العلم ويُصلح الآخرين، وإذا لم يعمل به كان العلم أداة

فساد وهدم والعياذ بالله.

ولهذا ذم الله من لم يعمل بعلمه وتوعدهم أشد الوعيد، قال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة:٣٤] فذمهم الله أشد الذم وتوعدهم أشد الوعيد.

وقال تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

فمن أكبر المقت أن تقول بالعلم وتعظ من منطلق العلم ثم لا تعمل، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

فينبغي للأمة الإسلامية أن تتجنب طرق هؤلاء الضالين من أهل الكتاب الذين تعلموا العلم ولم يعملوا به فقست قلوبهم وفسق أكثرهم، لأن عدم العمل بالعلم يورث هذه القسوة، وهذه القسوة إذا أصابت القلب أهلكته فلا يقبل الحق ولا يعمل بالعلم والعياذ بالله، ويؤدي إلىٰ كتمان العلم والعمل بضده، ويؤدي إلىٰ اتباع الهوىٰ ورد الحق الواضح كالشمس.

وهذا قد وُجد في هذه الأمة، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: **«خيرُكُم قرني ثُمَّ الذين يلونهم ثُمَّ الذين يلونهم ثُمَّ يكون بعدهم قومٌ يخونُون ولا يُؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يُوفون،**

ويظهرُ فيهم السمن»(١).

يشهدون الزور ويخونون ولا يؤتمنون ويقومون علىٰ الفجور ويتبعون الشهوات والعياذ بالله، إلا من سلَّم الله من الطائفة المنصورة التي أثنىٰ عليها رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فعلينا أن نتعلَّم العلم لوجه الله ﷻ ونعمل به، فالجهل داء قاتل، والعلم سلاح فتاك إذا لم تعمل به والعياذ بالله.

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه: «**يُؤتىٰ بالرجل يوم القيامة فيُلقىٰ في النار فتندلقُ أقتابُ بطنه فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ في الرحىٰ، فيجتمع إليه أهلُ النار فيقُولون: يا فُلان ما لك ألم تكُن تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المُنكر؟ فيقول: بلىٰ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهىٰ عن المنكر وآتيه**» وقد يكون من هو أسوأ منه، فيأمر بالمنكر وينهىٰ عن المعروف فكيف يكون حاله والعياذ بالله؟!

فتعلم العلم يكون لوجه الله والعمل به كذلك، وإلا سيكون العلم وبالًا فيبقىٰ المرء بين داءين، إما داء الجهل وإما داء العلم غير النافع بل العلم الضار.

والعلم الذي جاء به محمدٌ ﷺ في ذاته نافع، ولكن إذا لم يعمل به الإنسان صار وبالًا عليه وضارًّا له، وقد يضر به الآخرين.

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٣٦).

قال تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥].

فاعملوا بالعلم، واعرفوا الله بأسمائه وصفاته من كتابه ومن سنة رسوله ﷺ، واعبدوا الله بما جاء به رسول الله ﷺ وما نص عليه القرآن، فلا تعبدوا الله بجهل ولا بهوىٰ وإنما بالعلم.

والمطلوب من تعلم العلم العمل به، والعمل لا يأتي إلا بعد العلم كما قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ [محمد:١٩]، وبوَّب عليها البخاري: بابٌ العلمُ قبل القول والعمل، لأنه يجب علينا ألا نعمل إلا بعلم ولا نعبد الله إلا به، فلا نعبده سبحانه بالجهل أوالهوىٰ.

فعلينا جميعًا أن نتعلم العلم الذي جاء به محمد ﷺ ونعمل به، فلا نرضىٰ لأنفسنا الجهل فنكون من الضالين، ولا نرضىٰ لأنفسنا أن نكون من المغضوب عليهم، فالمغضوب عليهم هم اليهود لأنهم يعلمون الحق ويجحدونه ويخالفونه ويعادون أهله، والضالون هم النصارىٰ الذين يعبدون الله علىٰ جهل، فيجب ألا نكون من المغضوب عليهم ولا الضالين، ونعوذ بالله من هاتين الصفتين، ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال المؤلف: (كل من آثر الدنيا).

تكلم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا عن الدوافع التي تدفع الإنسان المتعلم إلىٰ عدم تطبيق هذا العلم.

فمن ذلك: إيثار الدنيا، بمعنىٰ ترجيحها علىٰ الآخرة، فيؤثرها ويحتفي بها ويهتم بها ويجعل الآخرة خلف ظهره، فهذا من الأسباب والدوافع إلىٰ ترك العمل بالعلم وإلىٰ محاربة الحق والعياذ بالله.

وهذه قاعدة: «كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول علىٰ الله غير الحق في فتواه وحكمه، وفي خبره وإلزامه» يخالف الحق في كل هذه الأمور، وإذا فعل ذلك هلك والعياذ بالله، فإذا أفتىٰ قال غير الحق، لأنه آثر الدنيا علىٰ الآخرة، فإما أن يرتشي أو يطلب بهذا الأمر الرياسة أو غيرها من المطامع الدنيوية التي تدفعه إلىٰ كراهية الحق ومخالفته والقول بغيره.

فإن أفتىٰ أفتىٰ بغير الحق، وإن حكم فكذلك، وإن أخبر يخبر عن الله كذبا، فإما أن يأتي بأحاديث موضوعة، أو يفتري علىٰ الله ويحرف آياته، وهذا موجود كما هو الحال في أهل الرفض وأهل التصوف وأهل الكلام وأهل البدع قاطبة.

ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام-: «**وإن هذه الأُمة ستفترق علىٰ ثلاثٍ وسبعين ملةً** -يعني الأهواء- **كُلها في النار إلا واحدةً**»[1] يعني أنهم

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٤٩٠) من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يقعون في هذه الأشياء.

فما الذي يجعله يصر علىٰ البدعة طول حياته ولا يرجع إلىٰ الحق إلا أنه اتبع هواه وآثر دنياه علىٰ أخراه وحرص علىٰ الرئاسة وعلىٰ حب المال، فيوقعه ذلك في هذه المهالك والعياذ بالله، فتراه طول عمره مصرًّا علىٰ الباطل إمامًا فيه -والعياذ بالله- يحمل وزره وأوزار من وراءه ومن تأسىٰ به إلىٰ يوم القيامة.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**من سن سُنةً في الإسلام حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ من عمل بها إلىٰ يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سُنةً سيئةً فعليه وزرُها ووزرُ من عمل بها إلىٰ يوم القيامة**»(١) فيحمل أوزاره وأوزار الذين يضلهم عياذًا بالله.

فلو ذهبنا إلىٰ أهل الطرق الصوفية ونظرنا كيف أنهم أهلكوا أنفسهم وأهلكوا الناس بالعقائد الفاسدة والمناهج الضالة والأوراد الشركية والتعلق بالقبور، فهؤلاء يقولون غير الحق ويتعمدون ذلك، وكثير منهم يعرف الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن حرصه علىٰ الدنيا وعلىٰ المناصب والرئاسة وما شاكل ذلك يجعله لا يتزحزح عن موقعه ومكانته التي أحله الشيطان فيها وزينها له، والعياذ بالله.

يذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب مخالفة العالم للحق في فتواه وحكمه

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وخبره وإلزامه، فيقول: (**لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي علىٰ خلاف أغراض الناس، ولاسيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا**).

لأن الجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات، فكثير من الناس يميلون إلىٰ الشهوات، والشهوات وحب الرياسات تأتي منافية للحق مخالفة له، فحب الشهوات من الباطل والحرص علىٰ الرئاسات والتفاني فيها باطل، فهناك معارضة ومصادمة بين الحق والباطل.

فانظروا إلىٰ هؤلاء الذين ينافسون علىٰ الكراسي في الانتخابات ويدفعون الملايين للوصول إليها، وكم يكذبون ويُلَبِّسُون علىٰ الناس.

فطرق الروافض والصوفية والجهمية والمعتزلة والأحزاب الضالة الآن في هذا العصر كلهم أهلكهم الحرص علىٰ الدنيا واتباع الشهوات وحب المناصب، ويُلَبِّسُون علىٰ الناس، لأن باطلهم لا يمشي إلا إذا ألبسوه لباس الحق، وهذا من صفات أعداء الله اليهود والنصارىٰ، ورؤساء النصارىٰ في غاية الخبث، وقد يكون فيهم من هو أخبث من اليهود، وقد يكون فيهم زنادقة، كما أن في رءوس الروافض زنادقة وفي رءوس الصوفية زنادقة فعلًا.

لذلك تجد عند الصوفية أنهم يقولون بالحلول ووحدة الوجود، فهذه زندقة من أين جاءت؟ من الزنادقة، وكثير من رؤساء الصوفية أخذوا الزندقة من باطنية الروافض، فأهلكوا أنفسهم وأهلكوا الكثير من الناس، ونشروا

البدع والضلالات، وكثير منهم قد يعرف الحق ولكن حرصه علىٰ الرياسة والمال جعله يتفانىٰ في نصرة الباطل ومقاومة الحق ورده.

فتجردوا لله وتعلموا العلم لوجهه ﷻ وأخلصوا له، وآثروا الآخرة علىٰ الدنيا، وإلا يكون العلم حجة عليكم وسببًا في هلاككم.

ثم ساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الآيات في الذين لا يعملون بالعلم، كقوله تعالىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [الأعراف:١٦٩].

فعندهم علم لأنهم ورثوا الكتاب عن أسلافهم، وأسلافهم كان فيهم أهل فضل وخير، وفيهم من فيه فسق، ولكن هذا الخَلْف انحرف انحرافًا كاملًا عما كان عليه أسلافه، فورثوا منهم الكتاب لكنهم لم يعملوا به.

ونحن ورثنا كتاب الله وسنة الرسولﷺ فعلينا أن نعمل بهما، لأن كثيرًا ممن ورثوا الكتاب تجدهم يتعلمون القرآن ويتعلمون القراءات، وقد يكون تعلم الحديث وعلوم الحديث، ولكن لا يعمل، ومثالًا علىٰ ذلك: ابن عربي الطائي كان مُحدثًا يعرف الحديث وقال بوحدة الوجود والحلول والضلال والشرك والبلاء، فهذا ورث الكتاب، ولكن مع الأسف وقع في الضلال والإلحاد لأنه متبع لهواه.

النبهاني عرف الحديث وألَّف فيه، ومع ذلك ألف كتابًا سماه: «شواهد الحق في جواز الاستغاثة بسيد الخلق»، مليء بالكفر والضلال، وأيده علماء السوء فأيدوا هذا الكتاب وقرَّظوه، علماء سوء وكبار في مناصبهم ومنازلهم

عند الناس، فضلوا وأضلوا والعياذ بالله، وله أيضًا كتاب: «جامع كرامات الأولياء».

وهذا النبهاني من أشد الناس حربًا للدعوة السلفية، وقد هلك في القرن الماضي، وكان يُلبِّس علىٰ الناس ويقول: ابن تيمية جدي في العلم، وهو كالبحر تارة يرمي بالدر والصدف وتارة يرمي بالنتن والجيف -قبَّحه الله-، وله مؤلفات بعد هذا الكتاب، ولكن من أخبثها كتابه هذا: شواهد الحق في جواز الاستغاثة بسيد الخلق، وهو في الحقيقة شواهد الكفر والباطل والعياذ بالله.

فالقرآن كفَّر من يدعو غير الله سواء كان المدعو نبيًّا مرسلًا أو ملكًا مُقرَّبًا وجعله أضل الناس، وهذا يكذب علىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- في هذا الكتاب: «شواهد الحق في جواز الاستغاثة بسيد الخلق»، وكذلك كتابه: «جامع كرامات الأولياء»، في مجلدين فيهما من الضلال والإلحاد والزندقة ما لا يستطيع الإنسان أن يحكي بعضه، كرامات مخجلة من الفسق والفجور والخبث والضلال.

فهؤلاء من علماء السوء الذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا كما قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف:١٦٩].

الشاهد: أن أعراض الدنيا تأتيه فيترك الحق، ويقول غير الحق، ويحكم بغير الحق، ويخبر بغير الحق، ليحصل على هذا العرض الدنيوي، ويقول سيُغفر لي، وهو مُصرٌّ على الباطل، ويجيئه عرض آخر فيتكالب عليه ويقول سيُغفر لي، وهذا من الأماني الباطلة.

فالله ﷻ يقبل التوبة من العبد إذا أذنب وتاب، ولكن هؤلاء ليس عندهم توبة صادقة، وإنما أماني كاذبة، وهذا حال الذين ورثوا الكتاب ولم يعملوا به، ويقولون غير الحق ويؤثرون الدنيا على الآخرة، هذا حالهم وهذا وصفهم، ولهم أوصاف أخرى في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يعلم ويعمل، وأن يجنبنا حب الدنيا وحب الشهوات والرئاسات فإنها مهلكة نسأل الله أن يجنبنا هذه المهالك، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

العلم أفضل ما تكسبه النفوس وتحصله القلوب

[من كلام الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله
في كتابه الفوائد]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب، ونال به العبدُ الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله:** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٥٦]. وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١].

وهؤلاء هم خلاصةُ الوجود ولبه المؤهلون للمراتب العالية، ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمىٰ العلم والإيمان اللذين بهما السعادة والرفعة وفي حقيقتهما، حتىٰ إن كل طائفة تظن أن ما معها من العلم والإيمان هو الذي به تنال السعادة.

وليس كذلك بل أكثرهم ليس معهم إيمان ينجي ولا علم يرفع، بل قد سدوا علىٰ نفوسهم طرق العلم والإيمان اللذين جاء بهما الرسول ﷺ ودعا إليهما الأمة، وكان عليهما هو أصحابه من بعده وتابعوهم علىٰ منهاجهم

وآثارهم.

فكل طائفة اعتقدت أن العلم ما معها وفرحت به، ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٣].

وأكثر ما عندهم كلام وآراء وخرص، والعلم وراء الكلام، كما قال حماد بن زيد: قلت لأيوب: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر والعلم فيما تقدم أكثر.

ففرق هذا الراسخ بين العلم والكلام، فالكتب كثيرة جدًّا والكلام والجدال والمقدرات الذهنية كثيرة، والعلم بمعزل عن أكثرها، وهو ما جاء به الرسول ﷺ عن الله.

قال تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٦١].

وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقال القرآن: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦] أي: وفيه علمه).

التعليق:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان)، العلم الذي جاء به محمدٌ ﷺ، وهو هذا الكتاب العظيم الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت:٤٢].

والسنة المطهرة التي أخبر الله عنها فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ

رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

فالحكمة هي السنة، وهي شارحة للقرآن ومبينةٌ لمجملاته، ومقيدةٌ لمطلقاته، ومخصصة لعموماته، فمن ظفر بعلم الكتاب والسنة -وهما الوحيان اللذان أوحاهما الله إلىٰ نبيه -عليه الصلاة والسلام- نال السعادة في الدنيا والآخرة، وظفر بها علمًا وعملًا وإيمانًا.

هذا هو العلم الذي مدحه الله وأثنىٰ علىٰ أهله، وأشاد بمكانتهم ومنزلتهم عنده سبحانه، وأخبر أنهم هم الذين يخشونه فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، العلماء بالعلم الذي أوحاه الله تعالىٰ إلىٰ محمدﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

وهذا وعيد شديد لمن آمن بمحمدﷺ وآمن بهذا الوحي وخالفه بعدما جاءه العلم، فهذا العلم يلزم الأمم كلها علىٰ اختلاف أجناسهم -أسودهم وأبيضهم وأحمرهم- يجب عليهم أن يأخذوا بهذا العلم، ويؤمنوا به ويتقربوا به إلىٰ الله وينقادوا لأوامره ويجتنبوا نواهيه، فإن رسول الله ﷺ أُرسل إلىٰ الأسود والأبيض والأحمر.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «من سمع بي من أُمتي أو يهُوديٌّ أو نصرانِيٌّ

ثُمَّ لم يُؤمن بي دخل النار»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فالعلم الذي جاء به محمدٌ ﷺ علىٰ هذه الأمم جميعها وأهل الملل جميعًا أن يتخلوا عن أديانهم ومللهم ونحلهم وأهوائهم ويتبعوا هذا الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

فالعلم الذي أوحاه الله إلىٰ محمد ﷺ يلزم البشر جميعًا، بل الجن والإنس، يلزمهم أن يؤمنوا بما جاء به محمد ﷺ وأن يطيعوه ويتبعوه -عليه الصلاة والسلام-، فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

قال ﷺ: «**كُل أُمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**» قيل: ومن يأبىٰ يا رسُول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن:٢٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٠٦٨) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما المطيعون فقال تعالىٰ في حقهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩].

فالعلم النافع هو ما جاء به محمدٌ ﷺ، ولابد من العمل به، ولا ينجو ولا يسعد إلا إذا آمن به حق الإيمان وعمل به، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:٣].

فيجب الأخذ بهذا العلم، بالعكوف عليه ليل نهار وتقديمه علىٰ كل شيء في هذا الوجود والعناية به غاية العناية، وتبليغه للناس، فقد بلَّغه محمدٌ ﷺ وبلَّغه الصحابة، باللسان والبيان، جاهدوا في الله حق جهاده، وبلَّغوا هذا الدين بكل صور التبليغ الممكنة والتي حصلت لهم، فبارك الله فيهم وفتح لهم الدنيا بإخلاصهم وصدقهم وإيمانهم وعلمهم النافع وعلمهم الصالح، وفتح لهم البلدان والقلوب، ومن تأسىٰ بهم إن لم يكن له أثر مثل آثارهم فلا يبعد كثيرًا عن حالهم.

فعلينا أن نتأسىٰ بهم، ونتعلم هذا القرآن كما تعلموه، فقد كانُوا يقترئُون من رسُول الله ﷺ عشر آياتٍ فلا يأخُذُون في العشر الأُخرىٰ حتىٰ يعلمُوا ما في هذه من العلم والعمل قالُوا: فعلمنا العلم والعمل، ولهذا نزل الله القرآن في خلال ثلاث وعشرين سنة، ليربي ويفقه، وليس للقراءة فقط.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «من يُرد اللهُ به خيرًا يُفقهه في الدين»،

فيحفظ الإنسان خمس أو عشر آيات في اليوم، ويراجع كتب التفسير وكتب الحديث ويفهم ويعمل، وما استشكل عليه يراجع فيه من هو أعلم منه فقد قال تعالىٰ: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾.

ولا يخجل الإنسان أن يسأل من هو دونه ويستفيد منه فضلًا عمن فوقه، فبعض الناس يغتر فلا يتلقىٰ العلم علىٰ العلماء فيسبب مشاكل لا تطاق للأمة، لأنه أول من يزدري العلماء، ويرىٰ أنه ولد علىٰ العلم.

فبعض الناس يقول أنه ما وقع في خطيئة من أول حياته ولا وقع في بدعة ولا وقع في مخالفة، ويعتقد الناس فيه أنه معصوم، فهؤلاء هم التائهون المغرورون، ومن أشد الناس دعاوىٰ.

فإياكم والدعاوىٰ وإياكم والغرور، وعليكم بالتواضع لله رب العالمين، والتواضع من أجل العلم وشد الرحال من أجله بقدر الاستطاعة، كما فعلنا أسلافنا.

فكان الرجل يرحل من أجل حديث واحد ومن أجل كلمة واحدة، ويشدون الرحال لأن العلم عندهم فوق كل شيء، فالدنيا لا تساوي شيئًا، والحديث الواحد خير من الدنيا وما فيها، من فضتها وذهبها وبترولها، وقد قيل هذا الكلام في مجلس سفيان بن عيينة، فقيل: ما أحسن هذا الحديث أحسن من كذا وكذا، فقال: أحسن من الدنيا كلها ومن الذهب والفضة(١).

---

(١) رواه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص٥٧٨)، والخطيب البغدادي في «الجامع =

عرفوا قيمة ما جاء به محمدٌ ﷺ، وأن به السعادة، وأن الإنسان قد يقول الكلمة يسعد بها.

فهذا العلم خير، فعلينا أن نحرص على هذا العلم الذي هو كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

والإيمان القائم على العلم، على كتاب الله وسنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وكل الأعمال تدخل في مسمى الإيمان إذا أفرد، والإسلام يدخل في الإيمان بأصوله وفروعه.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شُعبةً، أعلاها: قول لا إله إلا اللهُ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**»(١).

فنعرف الإيمان بمعناه الواسع الشامل، لأنه قد يذكر الإيمان والإسلام في سياق واحد، فيفرق بينهما، فيكون الإيمان ما يتعلق بأعمال القلوب وهي الأمور الباطنة، والإسلام ما يتعلق بالجوارح وهي الأعمال الظاهرة.

في أخلاق الراوي» (٢/ ١٧٧برقم١٤١٥-الرسالة) ولفظه: عن علي بن المديني قال: «كنا في مجلس سفيان بن عيينة فحدث بحديث عن النبي ﷺ، فقال رجل: ما أحسنه! فقال سفيان: أتقول لحديث النبي ﷺ ما أحسنه؟ ألا قلت: هو أحسن من الجوهر، أحسن من الدر، أحسن من الياقوت، أحسن من الدنيا كلها!!».

(١) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولهذا جاء في حديث جبريل عليه السلام: يا محمد أخبرني عن الإسلام ما الإسلامُ؟ قال رسول الله ﷺ: «**الإسلامُ أن تشهد أن لا إله إلا اللهُ وأن محمدًا عبدهُ ورسولهُ، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت السبيل**». فقال الرجُل: صدقت، قال عمر: عجبنا لهُ يسأله ويصدقه.

ثُم قال: يا محمد أخبرني عن الإيمان ما الإيمان؟ فقال: «**الإيمان أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كُله خيره وشره**». فقال: صدقت.

فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال: «**الإحسان أن تعبُد الله كأنك تراهُ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

فهذا الحديث أصل من أصول الإسلام العظيمة، بل يجمع الأصول الكبيرة، ولهذا ألف فيه العلماء كتبًا، فينبغي للمسلم أن يحفظ هذا الحديث كما يحفظ الفاتحة، ويستفيد منه ويتفقه فيه لأنه جامع لأصول الإيمان والإسلام، وجامع للخير الكثير، وهذه مراتب، مرتبة الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان.

فالإسلام العمل الظاهر، وقد يدخل فيه المنافق، ولكن الإيمان لا يدخل فيه المنافق لأنه مكذِّب لله -تبارك وتعالىٰ-.

والإسلام أشمل من الإيمان، وإذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا،

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، هذا دخل فيه الإيمان بأصوله وفروعه، ودخل فيه الإسلام بأصوله وفروعه، وإذا قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ دخل الإسلام في الإيمان، وقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ذكر هنا الإيمان فدخل فيه الإسلام كله، فلابد علىٰ الإنسان أن يجمع بين العلم النافع والإيمان الصادق والعمل الصالح.

يذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الناس مختلفون في فهم هذا الإيمان ما هو، فكل طائفة تدعي أن الإيمان عندها وأن العلم عندها، وكثيرٌ منهم ليس عندهم إلا دعاوىٰ، فالجهمية يدعون أنهم أعلم الأمة، والروافض والصوفية بطرقها والجبرية والمرجئة وغيرهم من طوائف الضلال، كل فرقة تدعي أن الإيمان والعلم عندها.

وليس الأمر كذلك، إنما العلم هو كتاب الله وسنة رسولهﷺ، فمن أخذ به كما أخذ به رسول اللهﷺ وصحابته الكرام إيمانًا وتصديقًا وعلمًا وتطبيقًا فهذا هو العلم الذي تترتب عليه السعادة في الدنيا والنجاة من النار في الآخرة والفوز بجنات النعيم.

أما علم اليهود والنصارىٰ وعلم السحرة والكهنة وعلم أهل البدع والضلال وغيرهم من الثنتين والسبعين فرقة التي قال رسول اللهﷺ عنها أنها في النار، فهذه ما حظيت بالعلم النافع والإيمان المنجي من الدخول إلىٰ النار أو الخلود فيها، وإن كان عند بعض الفرق إيمان منج ولكنه منجٍ من الخلود

لا من الدخول إلىٰ النار، لأن الفرق الضالة كلها متوعَّدة بالدخول إلىٰ النار لأنهم ما أخذوا بالعلم الذي جاء به محمدﷺ ولا سلكوا الصراط المستقيم والنهج السوي الذي كان عليه رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

ولهذا لما أخبر -عليه الصلاة والسلام- في الحديث أنه: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقةً وافترقت النصارىٰ علىٰ ثنتين وسبعين فرقةً، وستفترقُ هذه الأُمةُ علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقةً، فواحدةٌ في الجنة وثنتان وسبعُون في النار**» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «**من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي**»[1] من كان علىٰ كتاب الله وسنة رسولهﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾.

فالرسول ﷺ كان يتبع ما يوحىٰ إليه، ويأخذ بهذا الوحي أخذًا جادًّا صادقًا، ولهذا لما سئلت عائشة ﵂ عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: «**كان خُلُقُه القرآن**»[2].

فكان ﷺ يعلم ويعمل، علم مضامين القرآن، قواعده وأصوله وفروعه وحلاله وحرامه، وما فيه من الصدق والإيمان والإخلاص والمحبة لله -تبارك

(١) تقدم تخريجه (ص٢٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٦٣).

وتعالىٰ- إلىٰ آخر مضامين القرآن، كلها استوعبها رسول الله ﷺ إيمانًا وعلمًا وعملًا وتطبيقًا وتربية لغيره علىٰ هذا القرآن، وعلىٰ هذه السنة المفصلة والمبينة للقرآن.

وما مات -عليه الصلاة والسلام- حتىٰ أكمل الله له هذا الدين وأظهره علىٰ أعدائه، وما مات -عليه الصلاة والسلام- حتىٰ أطبقت الجزيرة علىٰ الإسلام، ثم أكمل أصحابه -رضوان الله عليهم- الفتوحات، وأظهر الله هذا الدين بعقائده وأعماله وإشراقه ونوره، وسعدت به الإنسانية، لأنه دين الله الحق الذي به العلم في الدنيا والسعادة في الآخرة.

فعلينا جميعًا أن نتفقه في دين الله -تبارك وتعالىٰ- في ضوء المنهج الذي تلقاه السلف عن الصحابة -رضوان الله عليهم-، وعن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وأن نتعلم هذا القرآن بجد وإخلاص، ونرجع إلىٰ المصادر الأصلية التي نقلت لنا تفسيره من التفاسير السلفية، لا تفاسير أهل البدع والضلال من الخوارج والمرجئة والمعتزلة وسائر الفرق الضالة.

وإنما نُربِّي أنفسنا علىٰ فهم القرآن مستعينين في ذلك بهذه الكتب التي منَّ الله بها وجاءت تكملة للحجة علىٰ الناس، لأنها بيان للقرآن الحق، ففيها تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير السنة للقرآن، وتفسير الصحابة للقرآن بما تلقوه عن رسول الله ﷺ، وتفسير التابعين مثل مجاهد وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وغيرهم من الأئمة الذين يُنقل عنهم التفسير إذ هم تلقوه من الصحابة الكرام، فهذا هو التفسير الموثوق والمعتبر في فهم القرآن ومعرفة دلالاته بمختلف

أنواعها، وهو الذي يساعدنا علىٰ فهم القرآن.

وكذلك السنة كلها تفسير للقرآن، كالبخاري ومسلم وما صح من السنن، كأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وما صح من المسانيد والمعاجم، فهذه كلها ترجع إلىٰ الارتباط الوثيق بالقرآن، الارتباط القائم علىٰ أصول القرآن وقواعده، وتفسير مجملاته ومشكلاته، وقولي ما صح، هذا في غير الصحيحين.

لأن الصحيحين تلقتهما الأمة بالقبول، والتزم صاحباهما الصحة في كل ما روياه في هذين الكتابين العظيمين الذين سلَّمت الأمة بصحتهما، ويعتقد كل خيرٍ من هذه الأمة أن أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ صحيحا البخاري ومسلم -رحمهما الله-، ولم يستوعبا الصحيح ولم يلتزما استيعابه وصرحا بذلك.

فالبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث ضعيف، ولم يُضَمِّن صحيحه إلا حوالي أربعة آلاف حديث[1]، ومع ذلك ملأت كتاب البخاري فقهًا.

وأما مسلم فيسرد الحديث في باب واحد مع ذكر طرقه، لهذا في

(١) ومع المكرر ترجع إلىٰ ألفين وثمانمائة أو سبعمائة، فالبخاري قد يكرر الحديث حسب ما فيه من الفقه، فالحديث قد يورده في كتاب الصلاة وفي كتاب الزكاة وفي كتاب الحج وفي كتاب الإيمان، وهذا لفقهه رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال العلماء فقه البخاري في تراجمه. [تعليق للشيخ]

حسن الصناعة يُقدَّم مسلم علىٰ البخاري، وفي الصحة يُقدم البخاري علىٰ مسلم[١].

فهذه لمحة عن أهمية السنة وأنها لابد منها في فهم كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، والناس يتشاغلون بأمور كثيرة عن العلم النافع خاصة في هذا العصر، فقد اشتغلوا بالعلوم الدنيوية وذهب إليها الأذكياء والعباقرة، بينما كان العباقرة في العصور الزاهرة يتجهون إلىٰ دراسة كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ وحفظهما.

فلما تسمع بمثل الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وهؤلاء من كبار الأمة وعباقرتها وأقدر الناس علىٰ الحفظ إذ يحفظ الواحد منهم كلما يسمع، كما قال الزهري: لا أسمع شيئا إلا أحفظه[٢]، عامر بن شراحيل، الشعبي،

(١) وفي هذا تفاصيل ليس هذا موضوعها، وخلاصتها وإن كثر الكلام فيها أنهم رجحوا البخاري علىٰ مسلم ترجيحًا مطلقًا، وللإمام الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام جيد، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هناك أحاديث متفق عليها وأسانيد متفق عليها، فلا فرق بين ما يوجد من هذه الأحاديث والأسانيد في صحيح مسلم والبخاري.
فهم اتفقوا علىٰ كثير من الأحاديث، فهذه الأحاديث إن وجدت بأسانيدها ومتونها في صحيح مسلم وفي صحيح البخاري فلا فرق في صحتها، ويبقىٰ ما انفرد به كل واحد عن الآخر فيفضل ما انفرد به البخاري علىٰ ما انفرد به مسلم. [تعليق للشيخ]

(٢) روىٰ البخاري في «تاريخه» (١/ ٢٢١) والفسوي في «المعرفة» (١/ ٣٤٨ و٣٥٤-٣٥٥)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٧٢)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٩-٤٠)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٥٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٦٢-٣٦٣)، =

الهمداني[١]، والبخاري يسمع في المجلس الواحد ألف حديث فيحفظه[٢].

الدارقطني الناس يقرءون وهو يكتب ويسمع -وهذا شيء من النوادر

=

والخطيب في «الجامع» (٢/ ٣٩٦برقم١٨٦٦-الرسالة) عن الزهري قال: ما استودعت قلبي شيئًا قط فنسيته.

وروىٰ ابن سعد في «الطبقات» -الجزء المتمم- (١/ ١٦٦)، وأحمد كما في «العلل» لعبد الله (١/ ١٨٦برقم١٦٠-وصي الله)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٣)، والخطيب في «الجامع» (٢/ ٣٧٩-٣٨٠برقم١٨٣٠) عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري قال: ما استعدت حديثًا قط، ولا شككت في حديث إلا حديثًا واحدًا، فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت!

(١) روىٰ أبو خيثمة في «العلم» (ص١٢برقم٢٨)، والدارمي في «سننه» (١/ ١٣٥برقم٤٨٢)، والهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٣٣٣-٣٣٤برقم١٢٠٣)، والخطيب في «الجامع» (٢/ ٣٨٠برقم١٨٣١ و١٨٣٢)، وابن عبد البر في «الجامع» (١/ ١٣٧برقم٢٥٥ و٢٥٦). قال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء قط، وما سمعت من رجل حديثًا قط فأردت أن يعيده عليَّ!

(٢) روىٰ الخطيب البغدادي في «تاريخه» (٢/ ١٤-١٥) وعنه ابن أبي يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٧٦-٢٧٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٦١): عن حاشد بن إسماعيل قال: كان أبو عبد الله -يعني محمد بن إسماعيل- البخاري يختلف معنا إلىٰ مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتىٰ أتىٰ علىٰ ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما معناك فيما تصنع؟ قال لنا يومًا بعد ستة عشر يومًا: إنكما قد أكثرتما عليَّ وألححتما، فاعرضا عليَّ ما كتبتما، فأخرجنا ما كان عندنا فزاد علىٰ خمسة عشر ألف حديث، فقرأها علىٰ ظهر القلب، حتىٰ جعلنا نُحكم كُتُبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني اختلف هدرًا وأضيِّع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدَّمه أحد.

العجيبة- فقال له أحد جلسائه من طلبة العلم: لا يصح سماعك! الشيخ يملي وأنت تكتب؟ فقال الدارقطني له: كم أملىٰ الشيخ من حديث إلىٰ الآن؟ فقال: لا أدري، -هذا متفرغ للسماع وحريص عليه ولم يدر كم أملىٰ الشيخ- فقال الدارقطني: إن الشيخ أملىٰ إلىٰ الآن ثمانية عشر حديثًا ثم سردها حديثًا حديثًا.

فكان العباقرة من هذا النوع يتجهون إلىٰ دراسة القرآن ودراسة سنة رسول الله ﷺ، فحفظ الله بهم هذا الدين وتحقق فيهم وعد الله بحفظ دينه.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، فحفظ الله الدين بهؤلاء، ولو وكل إلىٰ أمثالنا لضاع، ولكن الله هيأ له هؤلاء الناس صنعهم علىٰ عينه ورعايته لحفظ دينه فحفظوه وحموه من كل دغل ودس، وحفظوا ألفاظ الأحاديث ومتونها وفقهها وحفظوا أسانيدها وعرفوا رجالها(١).

هؤلاء الأثبات العباقرة هم الذين حفظوا لنا هذه الأشياء، ونحن الآن لا نستطيع أن نقرأ، مجرد قراءة لا نستطيع، إلا من وفقه الله، فإذا وُجد أناس يعرفون من أنفسهم قوة الحفظ وقوة الفهم فليتجردوا لطلب العلم، لأن الأمة تحتاج إلىٰ العلم، وتحتاج إلىٰ الإيمان، فبعض الناس في الإيمان

(١) فهذا ثقة عدل ضابط، وهذا حجة، وهذا إليه المنتهىٰ في الحفظ، وهذا كذاب وهذا إليه المنتهىٰ في الكذب، وهذا وضاع، وهذا واهٍ، وهذا متروك وهذا سيئ الحفظ...إلخ، ما شخص إلا وله ملف خاص، يعرفونه تمامًا، إن كان من العلماء الحفاظ المتقنين الناصحين المخلصين تعرفه علىٰ حقيقته كأنك تراه وتعيش معه.[تعليق للشيخ]

مشوشون، وليس عندهم الإيمان الصحيح الذي جاء به محمدﷺ، ومعظم الشعوب الإسلامية يسيطر عليها الخرافيون والقبوريون والروافض وأهل البدع والضلال.

وأهل السنة قليلون جدًّا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، فيجب أن يجتهدوا في إنقاذ كثير من الناس بالعلم الصحيح وتكثير سواد أهل السنة، ولا يحصل ذلك إلا بالجد في تحصيل العلم والجد في نشر الدعوة وتوطين الإنسان نفسه علىٰ نشر هذا الحق الذي جاء به محمدﷺ، فهو أمانة في أعناقنا يجب أن نؤديها إلىٰ الناس ونسعىٰ في إخراجهم من ظلمات الجهل والشرك والكفر والبدع والضلالات بهذا النور.

أسأل الله أن يفقهنا في الدين ويجعلنا من المؤمنين والعلماء العاملين، إن ربنا لسميع الدعاء.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ولما بعد العهد بهذا العلم آل الأمر بكثير من الناس إلىٰ أن اتخذوا هواجس الأفكار وسوانح الخواطر والآراء علمًا، ووضعوا فيها الكتب وأنفقوا فيها الأنفاس فضيعوا فيها الزمان، وملئوا بها الصحف مدادًا، والقلوب سوادًا.

حتىٰ صرح كثير منهم أنه ليس في القرآن والسنة علم وأن أدلتهما لفظية لا تفيد يقينًا ولا علمًا، صرخ الشيطان بهذه الكلمة فيهم وأذن بها بين أظهرهم حتىٰ أسمعها دانيهم لقاصيهم، فانسلخت بها القلوب من

العلم والإيمان كانسلاخ الحية من قشرها والثوب عن لابسه).

قال الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم: (أخبرني بعض أصحابنا عن بعض أتباع تلاميذ هؤلاء أنه رآه يشتغل في بعض كتبهم ولا يحفظ القرآن فقال له: لو حفظت القرآن أولًا كان أولىٰ، فقال: وهل في القرآن علم).

قال ابن القيم: (وقال لي بعض أئمة هؤلاء: إنما نسمع الحديث لأجل البركة لا لنستفيد منه العلم، لأن غيرنا قد كفانا هذه المؤنة، فعمدتنا علىٰ ما فهموه وقرروه، ولا شك أن من كان هذا مبلغه من العلم فهو كما قال القائل:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبطحاء أبعد منزل

قال: وقال لي شيخنا مرة في وصف هؤلاء: إنهم طافوا علىٰ أرباب المذاهب ففازوا بأخس المطالب، ويكفيك دليلًا علىٰ أن هذا الذي عندهم ليس من عند الله ما ترىٰ فيه من التناقض والاختلاف ومصادمة بعضه للبعض.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ الآية [النساء:٨٢] وهذا يدل علىٰ أن ما كان من عنده سبحانه لا يختلف.

وأن ما اختلف وتناقض فليس من عنده وكيف تكون الآراء والخيارات وسوانح الأفكار دينًا يدان به ويحكم به علىٰ الله ورسوله ﷺ ؟

سبحانك هذا بهتان عظيم وقد كان علم الصحابة الذي يتذاكرون فيه

غير علوم هؤلاء المختلفين الخراصين كما حكىٰ الحاكم في ترجمة أبي عبد الله البخاري قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا إنما يتذاكرون كتاب ربهم وسنة نبيهم ليس بينهم رأي ولا قياس.

ولقد أحسن القائل:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها ... حذرًا من التمثيل والتشبيه

التعليق:

قال الشيخ -حفظه الله-: يواصل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تمييزه بين العلم النافع، العلم الصالح، العلم الحقيقي وبين الوساوس والأوهام التي كما قال: ملئوا بها الصحف مدادًا، والقلوب سوادًا، كلام كثير ولكنه يضر ولا ينفع.

وجعل من علامات فساد هذه العلوم أمرين:

الأول: التناقض، فتجد تناقضات كثيرة في المذهب الواحد من المذاهب، كالجهمية والمعتزلة والخوارج وأمثالهم، فكم من المصادمات بين أئمة المعتزلة وبين أئمة التشيع، وبين الأشاعرة والطرق الصوفية، فتجد هذا يكذب هذا، وهذا يُكفر هذا، ضلالات لا أول لها ولا آخر.

وذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أهل العلوم الضالة صرَّح كثيرٌ منهم أنه ليس

في القرآن والسنة علم وأن أدلتهما لفظية لا تفيد يقينًا ولا علمًا، وإنما يفيد العلم ما اخترعته عقولهم الفاسدة، مما يسمونه عقليات، وهي جاهليات.

وهذه الأصول ينتقلون منها إلىٰ وصف الله ﷻ بما لا يليق بجلاله وتعطيل صفات كماله سبحانه، فتعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وهذا الأصل أخذوه من قولهم إن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم إنما تفيد الظن.

وسمىٰ ابن القيم هذه العلوم طاغوتًا، لأنها من أخبث الطواغيت التي تهدم الإسلام وتهدم بها دلالات الكتاب والسنة التي تدل علىٰ الهدىٰ وعلىٰ الحق وتحذر من الضلال والانحراف في باب أسماء الله وصفاته أو في باب عبادته أو في تشريعاته وأحكامه، كل هذه الدلالات هدىٰ ونور، والظلام والضلال والجهل إنما فيما اخترعوه من العقائد لمواجهة ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، فهم لا يعتمدون إلا علىٰ العقل وحكّموه علىٰ الشرع، والعقل إنما وظيفته التتلمذ علىٰ الشرع والانقياد له، فإذا لم يكن كذلك ضل أهله وهلكوا، وهذا أمر عظيم أضر بالمسلمين.

والثاني: أنهم ما يقرءون القرآن أو الحديث إلا للبركة، وقالوا كفانا غيرنا، ووالله لو اكتفوا بما استخرجه الأئمة مثل مالك والشافعي وأحمد وغيرهم رحمهم الله من الأصول والفروع لهان الأمر، ولكنهم خالفوهم في الأصول والفروع وأدخلوا في المذاهب من الضلالات الأصولية والفرعية ما يتبرأ منه الإسلام وما يتبرأ منه هؤلاء الأئمة، فكما أنهم لم يعوِّلوا علىٰ القرآن والسنة لم يعوِّلوا علىٰ كلام الأئمة.

ولهذا ترىٰ أنهم لا يعتمدون ما كتبه الشافعي وما دوَّنه مالك في الموطأ وما دُوِّن عنه في المدونة، بل لهم أمور أخرىٰ شحنوا بها كتبهم من الضلالات التي أخذوها من المتكلمين ومن الصوفية الخرافيين وغيرهم من أهل الضلال(١).

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن علم الصحابة إنما كان كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وأن العلم إنما هو الذي جاء به رسول الله ﷺ، وساق الأدلة علىٰ ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦].

والعلم الحق هو العلم النافع والعلم الذي يوصل إلىٰ أعلىٰ مراتب السعادة هوالعلم الذي جاء به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، لاسيما خاتم الأنبياء محمدﷺ فيه السعادة وفيه النجاة، لأنه تنزيل من حكيم حميد.

قال تعالىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤]، فيعلم ما يحتاجه البشر مما يُسعدهم في هذه الحياة الدنيا ويجنبهم الشقاء والضنك

(١) وقد جلست مرة مع قوم يقرءون صحيح البخاري وقد بلغوا كتاب التوحيد منه، فمروا عليه مرور الصراط اللهم سلم سلم؛ لأن كتاب التوحيد صريح في إثبات منهج السلف في باب صفات الله العليا وأسمائه الحسنىٰ، وهم لا يريدون هذا ولا يستطيعون ألا يختموا الكتاب، فيمرون ولا يقفون عند أي نص وهم في غاية التوحش من سماع هذا الكلام. [تعليق للشيخ]

في الدنيا، ويجنبهم الشقاء والهلاك والعذاب الخالد في الآخرة، هذا هو العلم.

أما علوم الكلام والفلسفات والكهانات والسياسات الفاسدة، علوم الصوفية وعلوم الخوارج وعلوم الروافض وعلوم جميع الفرق الضالة كلها من طرق الضلال والهلاك وليست من طرق السعادة.

ولهذا قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقةً وافترقت النصارىٰ علىٰ ثنتين وسبعين فرقةً، وستفترقُ هذه الأمة علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقةً فواحدةٌ في الجنة وثنتان وسبعُون في النار**»(١) فهذه الطرق كلها تؤدي إلىٰ النار.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- خط خطًّا ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: «**هذه سُبُل علىٰ كُل سبيلٍ منها شيطانٌ يدعُو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

وما أكثر الطرق التي عليها شياطين من الإنس والجن، قال -عليه الصلاة والسلام- عنهم: «**من أجابهُم إليها قذفوه فيها**»(٢) أي في النار، شياطين تقذف من يسلك هذه السبل في جهنم.

فالطريق المنجي والإيمان المنجي هو العلم الذي جاء به محمدٌ ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٩٨).

والإيمان المستمد منه، أصوله وفروعه وأعماله كلها مستمدة من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

العلم هو ما كان عند الصحابة الكرام ومن سلك جادتهم وطريقهم وتابعهم بإحسان، فإن هذا هو العلم النافع، وهو قليل ولكن القلة منه خير من المجلدات من الوساوس والخطابات والخيالات لأهل الضلال والباطل.

ومما أذكر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «وأصحاب محمدٍ كانوا -مع أنهم أكمل الناس علمًا نافعًا وعملًا صالحًا- أقل الناس تكلفًا، يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف ما يهدي الله بها أمة»[1].

بينما تقرأ مجلدات لغير هؤلاء الأئمة فلا تزداد إلا ضلالًا وحيرة ولا تقودك إلىٰ الهدىٰ، إنما كتاب الله وسنة رسولهﷺ هي التي يهدي الله بها الناس ممن اتبع رضوان الله سبل السلام، والسلام يعني النجاة من المهالك، وتقوده إلىٰ دار السلام ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

والتقوىٰ تأتي من الإيمان بنصوص الكتاب والسنة واتباع ما فيهما من الأخبار وامتثال ما فيهما من الأوامر واجتناب ما فيهما من النواهي، من هذا يأتي الهدىٰ والتقىٰ ويُسلك بك إلىٰ سبيل النجاة.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٣٨).

مقدمة في علم الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك لهُ وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسُولهُ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، أرسله الله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، وليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، من ظلمات الشرك والجهل والكفر والظلم إلىٰ نور التوحيد والإيمان والعلم والعدل.

جاء بأعظم رسالة وأعلاها مكانة وأشملها لمصالح البشر وأحقها بالبقاء والخلود، ولهذا تعهد الله بحفظها فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

وتنفيذًا وتحقيقًا لهذا الوعد الصادق الأكيد كان كل ما قامت به الأُمة الإسلامية من جهود عظيمة واهتمام بالغ لا يُعرف الأقل منه لأُمةٍ من الأمم ولا لدينٍ من الأديان لحفظ القرآن العظيم في الصدور والمصاحف، والعناية الفائقة بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، في البيوت والمساجد والمعاهد، والاهتمام بدراسته وتفسيره واستنباط أحكامه والاعتبار بقَصَصِه وأمثاله

وعظاته، والتأليف في شتىٰ العلوم التي تخدمه، وتُبيِّن بلاغتَه وإعجازَه من لغوية وبلاغية وتاريخية وغيرها.

وما من سورة من سُوره ولا آيةٍ من آياته ولا كلمة من كلماته إلا وقد دار حولها بحث وكان لها شأن ونبأ، وقد شرَّف الله محمدًا خاتم النبيين وأكرم الرسل -صلوات الله وسلامه عليه- وأعلىٰ مكانته ومنزلته وأنزله المنزلة الكريمة التي يستحقها، فأسند إليه مهمة بيان ما في القرآن من إجمال وشرح ما يحتاج إلىٰ شرح وتفصيل.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

فقام ﷺ بما أُسند إليه من واجب أكمل قيام بأقواله وأفعاله وأحواله وجهاده العظيم وسيرته العطرة حتىٰ ترك الناس علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وأسند تبليغ ذلك إلىٰ خير أُمةٍ أُخرجت للناس، وقال ﷺ: «**بلِّغوا عني ولو آيةً**»(١).

وقال ﷺ: «**فليُبلغُ الشاهدُ الغائب**»(٢).

فقام الصحابة الكرام بتبليغ تلك الرسالة، وأداء تلك الأمانة علىٰ أحسن الوجوه وأقومها، وتلقت ذلك الأُمة الإسلامية جيلًا عن جيل، حتىٰ وصلت إلينا تلك الرسالة الغراء غضةً طرية، ولا تزال كذلك حتىٰ يأذن الله

(١) تقدم تخريجه (ص٨٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٣٥).

لهذا العالَم بالزوال ولشمس حياة البشرية بالأفول.

ولقد حظيت السنة المطهرة بيان الرسول الكريم ﷺ وشرحه للقرآن بحظها الوافر من وعد الله لتنزيله وذكره بالحفظ، فإنها والقرآن الكريم من مشكاة واحدة، وضياع شيء منها وهي بيانه وشرحه ينافي ما وعد الله به من حفظ القرآن الكريم.

إذن فالسنة المطهرة داخلة في ذلك الوعد الصادق بالحفظ والضمان الأكيد، وكان من مظاهر تنفيذ ذلك الوعد ما نراه ونلمسُه من جهود بُذلت لحفظها وصيانتها والذود عن حياضها والتأليف في العلوم التي تخدمها، سَرِّح طَرْفَكَ في ذلك التراث العظيم وقَلِّب صفحاته ترىٰ العجب العجاب وما يُدهش الألباب.

وخُذ ما شئت من نصوص هذه السنة المطهرة وتابعه في عشرات الكتب فستجد أنه ما من نص إلا وله شأن وأيُّ شأن ودراسة وتحليل واستنباط وتمحيص وتحقيق وأخذ وإعطاء، ولقد أعدَّ الله لحفظ هذه السنة المطهرة وصيانتها رجالًا صنعهم علىٰ عينه وأمدَّهم بشتىٰ المواهب النفسية والعقلية والذكاء المتوقد والحفظ المستوعب والقدرة الهائلة علىٰ الاطلاع، مما يُبهر العقل ويستنفذ العجب ويجعل في المطَّلع علىٰ أخبارهم وأحوالهم ما يملأ قلبه يقينًا بأن هؤلاء العباقرة ما أُعدُّوا هذا الإعداد العجيب إلا لغاية سامية هي إنفاذ وعد الله الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

فكان من آثار هؤلاء العظماء ما تزخر به المكتبات الإسلامية اليوم وقبل اليوم من مؤلفات قيمة مختلفة المناهج والمواضيع متحدة الغاية، وهي خدمة السنة المطهرة.

فمؤلفات وُضعت علىٰ المسانيد وجوامع، وسنن علىٰ الأبواب العقائدية والتأريخية والفقهية، ومُستخرجات وأجزاء وتخريجات وشروح وتأليف في أنواع علوم الحديث وفي الموضوعات والناسخ والمنسوخ وفي تواريخ الرجال وجرحهم وتعديلهم، وأخرىٰ في غريب الحديث وفي المسانيد من حيث الإرسال والوصل والرفع والوقف.

نشأة علوم الحديث وتطورها:

كان الصحابةُ -رضوان الله عليهم- أول من احتاط لحفظ السنة وصيانتها من أن يشوبها شائبةٌ من غيرها أو يتطرق إليها خطرٌ أو خلل، فاتخذوا للرواية عن رسول الله ﷺ منهجًا يضمن عدم تسرب أي خللٍ إليها من طريق السهو أو العمد، فمن ذلك:

أولًا: تقليل الرواية عن رسول الله ﷺ خوفًا من الوقوع في الخطأ والنسيان مما يؤدي إلىٰ شبهة الكذب علىٰ رسول الله ﷺ من حيث لا يشعرون، وكان أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود والزبير بن العوام وغيرهم من الصحابة -رضوان الله عليهم- يُقلون من الرواية ويُحذِّرون الناس من الإكثار منها.

ثانيًا: التثبت من الرواية عند أخذها وأدائها، قال الإمام الذهبي في

ترجمة أبي بكر -رضي الله تعالىٰ عنه-: وكان أول من احتاط في قبول الأخبار، فروىٰ ابن شهاب عن قبيصة بن ذويب أن الجدة جاءت إلىٰ أبي بكر ﷺ تلتمس أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئًا، ثم سأل الناس فقام المغيرة بن شعبة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس، فقال: هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة لمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر ﷺ(١).

وإذن فنشوء هذا العلم قد بدأ من عهد الصحابة ولا زال ينمو وتتسع دائرته في أذهان أهل العلم.

ثالثًا: حتىٰ جاء عصر التدوين، فبدأ يساير تدوين الحديث ويواكبه جنبًا إلىٰ جنب وإن كان في دائرة ضيقة ومُوزعًا هنا وهناك.

قال الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا وقد كتب العلماء فيه من عصر التدوين إلىٰ يومنا هذا نفائس ما يُكتب، من ذلك ما تجده في أثناء مباحث الرسالة للإمام الشافعي وفي ثنايا «الأم» له، وما نقله تلاميذ الإمام أحمد في أسئلتهم ومحاورتهم معه، وما كتبه الإمام مسلم بن الحجاج في مقدمة صحيحه، ورسالة الإمام أبي داود السجستاني إلىٰ أهل مكة في بيان طريقته في سننه الشهيرة.

وما كتبه الحافظ أبو موسىٰ الترمذي في كتابه «العلل المفردة» في آخر جامعه، وما بثه في الكلام علىٰ أحاديث جامعه في طيات الكتاب من

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٩٤)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (١٦٨٠).

تصحيح وتضعيف وتقوية وتعليل.

وللإمام البخاري التواريخ الثلاثة ولغيره من علماء الجرح والتعديل من معاصريه ومن بعدهم بيانات وافية لقواعد هذا الفن تجيء منتشرة في فضائل كلامهم.

حتىٰ جاء من بعدهم فجرد هذه القواعد في كتب مستقلة ومصنفات عدة أشار إلىٰ أشهرها الحافظ بن حجر في فاتحة «نخبة الفكر» فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن أول من صنف في ذلك القاضي أبو محمد الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن الذي عاش إلىٰ قريب ثلثمائة وستين في كتابه «المُحدث الفاصل» لكنه لم يستوعبه، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري لكنه لم يهذب ولم يرتب، وتلاهما أبو نعيم الأصبهاني فعمل علىٰ كتابه مُستخرجًا وأبقىٰ أشياء...

ثم جاء بعدهم الخطيب أبو بكر البغدادي فصنف في قوانين الرواية كتابًا سماه «الكفاية» وفي آدابها كتابًا سماه «الجامع لآداب الشيخ والسامع»، وقل فنٌّ من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتابًا مفردًا، وكان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطة: كل من أنصف عَلِمَ أن المحدثين بعد الخطيب عيالٌ علىٰ كتبه.

ثم جاء بعدهم بعض من تأخر عن الخطيب فأخذ من هذا العلم بنصيب فجمع القاضي عياض كتابًا لطيفًا سماه «الإيماء»، وأبو حفص الميانجي جزءًا سماه: «ما لا يسع المحدث جهله»، وأمثال ذلك من التصانيف التي اشتهرت وبُسطت ليتوفر علمها واختُصرت ليسهل فهمها.

إلىٰ أن جاء الحافظ الفقيه تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشهرزوري نزيل دمشق فجمع لما وُلي تدريس الحديث في المدرسة الأشرفية كتابه المشهور، فهذب فنونه وأملاه شيئًا بعد شيء، فلهذا لم يحصل ترتيبه علىٰ الوضع المناسب واعتنىٰ بتصانيف الخطيب المُفرقة فجمع شتات مقاصدها وضم إليها من غيرها نُخب فوائدها فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره، ولهذا عكف الناس عليه وساروا بسيره فلا يُحصىٰ كم ناظم له ومختصر ومستدرك عليه ومقتصر ومعارض له ومنتصر.

فنحن نرىٰ أن التأليف لم يقف عند كتاب ابن الصلاح وإن كان علىٰ صغر حجمه قد جمع شتات ما قبله، بل كان هذا الكتاب حافزًا للعلماء علىٰ السير قُدُمًا في مضمار التأليف في هذا الفن ما بين مختصر ومطول.

ومما أُلف في هذا الفن بعده: «الإرشاد» للنووي اختصر فيه مقدمة ابن الصلاح، و«التقريب» للإمام النووي لخص فيه كتابه الإرشاد، و«اختصار علوم الحديث» للحافظ إسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير، و«الخلاصة» للطيبي لخص فيه مقدمة ابن الصلاح، و«المنهل الروي» لبدر الدين بن جماعة لخص فيه مقدمة ابن الصلاح، «محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح» للإمام البلقيني، و«النكت» للزركشي علىٰ مقدمة ابن الصلاح.

و«التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح» للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي، و«المقنع» لابن ملقن وهو تلخيص لمقدمة ابن الصلاح، و«ألفية الحديث» للحافظ عبد الرحيم العراقي وشرحاه

له وهما مطبوعان، و«الألفية» له وهي لمضمونات مقدمة ابن الصلاح، و«النكت» لابن حجر علىٰ مقدمة ابن الصلاح.

و«التقييد والإيضاح» للعراقي، و«النكت الوفية في شرح الألفية» للبقاعي، و«فتح المغيث» للسخاوي وهو شرح لألفية العراقي، و«فتح الباقي شرح ألفية العراقي» للشيخ زكرياء الأنصاري، و«الاقتراح» لابن دقيق العيد، و«الموقظة» للذهبي، و«تدريب الراوي» للسيوطي وهو شرح التقريب للنووي، و«نخبة الفكر» للحافظ ابن الحجر وشرحها، «وشرح النخبة» للملا علي قاري، و«اليواقيت والدرر» للمناوي وهو شرح علىٰ النخبة، وحاشية «نزهة النظر» «تلقيح الأنظار» لابن الوزير وشرحه «توضيح الأفكار» لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني وغيرها من المؤلفات.

وفي عصرنا هذا أيضًا أُلفت بعض الكتب لا يتسع المقام لذكرها.

وبعد هذا نتعرض لتقسيم الحديث، فقد قسم العلماء علم الحديث إلىٰ قسمين: علم الحديث رواية وعلم الحديث دراية.

فأما علم الحديث رواية: فهو نقل السنة من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وخَلْقه وخُلُقه وغير ذلك، وحفظها في الصدور وإثباتها في السطور وضبطها وتحليل ألفاظها وإسناد ذلك إلىٰ من عُين إليه بتحديث أو إخبار وغير ذلك، وشروطها كتحمل راويها لما يرويه بنوع من أنواع التحمل من سماع أو عرض أو إجازة أو نحوها، وأنواعها من الاتصال والانقطاع

ونحوهما، وأحكامها من القبول والرد، وحالة الرواة العدالة والجرح ونحو ذلك، وشروطهم في التحمل والأداء، وأصناف المرويات والمصنفات من السنن والصحاح والحسان والجوامع والمسانيد والمعاجم والأجزاء و....

وأما علم الحديث بالدراية: فيُعرف بعلم مصطلح الحديث وموضوعه بيان قواعد البحث في آحاد السنة عن أحوال السند والمتن وما يتعلق بهما، والسند هو الطريق الموصل إلىٰ المتن والمتن هو ما انتهىٰ إليه السند من الكلام، فإن كان من كلام النبيﷺ أو ما في حكمه قيل له حديث وخبر وأثر ويقال له إذا عزاه لربه ﷻ الحديث القدسي، وإن كان من كلام غير النبيﷺ قيل له خبر وأثر ولم يقل له حديث.

ومقصوده: معرفة المقبول والمردود.

وفائدته: حماية الدين من أن يُدخل فيه ما ليس منه، فيبحث في أحوال السند من حيث انتهاؤه من مرفوع وموقوف ومقطوع، وفي ذاته من متصل ومنقطع ومسلسل وعال ونازل وأنواع كل منها.

ويبحث في أحوال المتن باعتبار طرقه: من مشهور وعزيز وغريب.

وباعتبار مراتبه: من صحيح وحسن وضعيف ومحفوظ وشاذ ومعروف ومنكر ومتابع وشاهد.

وباعتبار الاستدلال به والعمل به من مُحكم ومُعارض وناسخ ومنسوخ وراجح ومرجوح وما يتعلق بها

وباعتبار علله: من مُعلق ومرسل ومعضل ومنقطع ومدلس وموضوع ومتروك ومعلل ومدرج ومقلوب ومزيد ومضطرب ومُصحَّف ومُحرَّف ومجهول ومُبهم ومختلط.

وعن صيغ الأداء: من سماع وتحديث وإخبار وإنباء وقراءة ومناولة ومشافهة ومكاتبة وإجازة وعنعنة ووصية ....

وعن أسماء الرواة وكناهم وألقابهم وأنسابهم ومتفق ومفترق ومؤتلف ومختلف ومبهم ومتشابه وغير ذلك.

وعن طبقاتهم ومواليدهم ووفياتهم وبلدانهم وسيرهم وأحوالهم تعديلًا وجرحًا ومراتب كلٍّ منهم، وآداب الشيخ والطالب، وصفة التحمل والأداء، وصفة كتابة الحديث وسماعه وإسماعه والرحلة فيه وسببه وتصنيفه وغير ذلك.

فهذه أنواع علوم الحديث: علوم الدراية وعلوم الرواية.

ولهذه الأُمة خصائص لا يشاركها فيها أُمةٌ من الأمم وسيأتي الكلام علىٰ هذا إن شاء الله ومن خصائص الأُمة الإسناد.

والآن نريد أن نتحدث عمن قدم هذه الخدمات العظيمة الجليلة لسنة رسول الله ﷺ ولدينه عمومًا: ألا وهم أهل الحديث وأئمة الجرح والتعديل فنُعرج علىٰ الكلام عليهم فنقول:

هم من نَهَجَ نَهْجَ الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب

والسنة، والعض عليهما بالنواجذ وتقديمهما علىٰ كل قول وهدي سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو السياسة والاجتماع، وهم ثابتون في أصول الدين وفروعه علىٰ ما أنزله الله وأوحاه إلىٰ عبده ورسوله محمدٍ ﷺ.

وهم القائمون بالدعوة إلىٰ ذلك بكل جدٍّ وصدق، وهم الذين يحملون العلم النبوي وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وهم الذين وقفوا بالمرصاد لكل الفرق التي حادت عن المنهج الإسلامي كالجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والمرجئة والقدرية وكل من شذ عن منهج الله واتبع هواه في كل زمان ومكان لا تأخذهم في الله لومة لائم.

وهم الطائفة التي مدحها رسول الله ﷺ وزكاها بقوله: «**لا تزالُ طائفةٌ من أُمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمرُ الله وهم كذلك**»، هم الفرقة الناجية الثابتة علىٰ ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابه الذين ميزهم رسول الله وحددهم عندما ذكر أن هذه الأُمة ستفترق إلىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**من كان علىٰ ما أنا عليه وأصحابي**».

لا نقول ذلك مبالغةً ولا دعاوىٰ مُجردة وإنما نقول الواقع الذي تشهد له نصوص القرآن والسُنة ويشهد له التأريخ وتشهد به أقوالهم وأحوالهم ومؤلفاتهم.

هم الذين وضعوا نصب أعينهم قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]. فكانوا أشد الناس بُعدًا عن مخالفة أمر رسول الله ﷺ وأبعدهم عن الفتن

وهم الذين جعلوا دستورهم قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

فقدَّروا نصوص القرآن والسنة حق قدرها وعظَّموها حق تعظيمها وقدَّموها علىٰ أقوال الناس جميعًا، وقدَّموا هديها علىٰ هدي الناس جميعًا، واحتكموا إليها في كل شيء عن رضًا كامل وصدور منشرحة بلا ضيق ولا حرج وسلَّموا لله ولرسوله التسليم الكامل في عقائدهم وعبادتهم ومعاملاتهم.

هم الذي يصدق فيهم قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

هم بعد صحابة رسول الله جميعًا وعلىٰ رأسهم الخلفاء الراشدون سادة التابعين وعلىٰ رأسهم: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن الحنفية وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق والحسن

البصري ومحمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهري.

ثم أتباع التابعين وعلىٰ رأسهم: مالك والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد.

ثم أتباع هؤلاء وعلىٰ رأسهم: عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والإمام محمد بن إدريس الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي ويحيىٰ بن سعيد القطان وعفان ابن مسلم.

ثم تلاميذ هؤلاء الذي سلكوا منهجهم وعلىٰ رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين وعلي بن المديني ثم تلاميذهم كالبخاري ومسلم وأبي حاتم وأبي زرعة وأبي داود والترمذي والنسائي.

ثم من جرىٰ مجراهم في الأجيال بعدهم كابن جرير وابن خزيمة والدارقطني في زمنه والخطيب البغدادي وابن عبد البر النمري وعبد الغني المقدسي وابن قدامة وابن الصلاح وابن تيمية والذهبي وابن كثير.

وأقران هؤلاء في عصورهم ومن تلاهم واقتفىٰ أثرهم في التمسك بالكتاب والسنة إلىٰ يومنا هذا، ولهم مؤلفات في نصرة العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون.

وهذه المؤلفات كثيرة لا تحصىٰ أذكر منها ما يأتي: «الرد علىٰ الجهمية» للإمام أحمد، «السنة» لعبد الله بن أحمد، و«الإيمان» لابن أبي شيبة، و«الإيمان» لأبي عبيد، و«خلق أفعال العباد» للبخاري، وقد ضمن كتابه الصحيح «كتاب

الإيمان»، و«كتاب التوحيد»، و«كتاب الاعتصام»، وكتاب «السنة» للخلال جامع علم أحمد، وكتاب «الرد علىٰ الجهمية» وكتاب «الرد علىٰ بشر المريسي» كلاهما للإمام عثمان بن سعيد الدارمي.

وكتاب «السنة» للأثرم، وكتاب «الشريعة» للآجري، و«السنة» لابن أبي عاصم، و«السنة» لابن شاهين، و«الاستقامة» للشيخ الأصرم، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة، و«الإيمان» لابن منده، و«كتاب الإيمان بالقدر»، وكتاب «الأسماء والصفات» لأبي بكر أحمد بن إسحاق المشهور بالصبغي، وكتاب «السنة» لأحمد ابن محمد العسال، وكتاب «الصفات»، وكتاب «النزول»، وكتاب «الرؤية» الثلاثة للإمام الدارقطني.

و«الإبانة الكبرىٰ»، و«الإبانة الصغرىٰ»، و«السنة» ثلاثتها لابن بطة العكبري، و«شرح أصول السنة» للإمام اللالكائي، و«الحجة في بيان المحجة» لأبي القاسم التيمي وكتاب «الصفات» في جزأين لعبد الغني المقدسي ومؤلفات كثيرة للإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وتتابعت تآليفهم في خدمة السنة والعقيدة إلىٰ يومنا هذا.

وقد ألَّفوا في الرجال الكتب الكثيرة، وألَّفوا في الموضوعات وفي الرجال الكذابين وغيرها مؤلفات أخر، فهذه خدماتهم وهذه جهودهم وهم والحمد لله سادة الأُمة وقادتها في الحديث والرجال والعقيدة والفقه.

وهم الذابون عن دين الله عقيدة وشريعة والقامعون لأهل الإلحاد

وأهل البدع في كل زمان ومكان.

وقد أحصيت في كتابي: «جماعة واحدة لا جماعات» لأهل الحديث والسنة في هذا العصر حوالي خمسين ومائة كتاب في الرد علىٰ الملاحدة وأهل البدع من الروافض وغيرهم من أهل الضلال.

وهذا غيضٌ من فيض جهادهم في رفع راية السنة وإزهاق الأباطيل والضلالات التي انحرف أهلها عن جادة الإسلام وتنكبوا الصراط المستقيم، كل هذا ناشئٌ عن إدراكهم لعظمة الحق الذي جاء به محمدٌ ﷺ وخطورة ما يخالفه من الكفر والشرك والبدع.

هناك شهادات كثيرة لأئمة الحديث أنهم هم الذين قاموا بهذا الدين وحموه من كيد الكائدين وعبث العابثين وإفك الكذابين، وذكرت ذلك في كتابي: «مكانة أهل الحديث» وفي كتابي الجديد الذي صدر قبل أيام ذكرت بعضًا منها: «أئمة الجرح والتعديل هم حماة الدين».

أسوق هذا ردًّا علىٰ بعض السفهاء الذين يقولون إن أهل الحديث لا علاقة لهم ببيان البدع هذا من اختصاص العلماء، والعلماء هؤلاء لا وجود لهم، كما قال هذا المفتري، فنحن ذكرنا هذا بهذه المناسبة وأذكر الآن من الشهادات لهؤلاء الأئمة وأنهم هم الذين حافظوا علىٰ الدين.

ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم، وذاك أنه لم يكن أمة لنبي قط حفظت

عليه الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة، حتىٰ لا يتهيأ أن يزاد في سُنَّة من سنن رسول الله ﷺ ألف ولا واو، كما لا يتهيأ زيادة مثله في القرآن فحفظت هذه الطائفة السنن علىٰ المسلمين، وكثرت عنايتهم بأمر الدين، ولولاهم لقال من شاء بما شاء.

قال أبو حاتم: «فرسان هذا العلم الذين حفظوا علىٰ المسلمين الدين، وهدوهم إلىٰ الصراط المستقيم، الذين آثروا قطع المفاوز والقفار علىٰ التنعم في الديار والأوطان في طلب السنن في الأمصار، وجمعها بالوجل والأسفار والدوران في جميع الأقطار.

حتىٰ إن أحدهم ليرحل في الحديث الواحد الفراسخ البعيدة، وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلَّا يُدخِل مُضِلٌّ في السنن شيئًا يُضِلُّ به، وإن فعل فهم الذابون عن رسول الله ﷺ ذلك الكذب، والقائمون بنصرة الدين».

قال أبو محمد بن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن نقل المسلمين لكل ما ذكرنا ينقسم أقسامًا ستة، أولها: شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلًا جيلًا، لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة وهو القرآن المكتوب في المصاحف في شرق الأرض وغربها، لا يشكون ولا يختلفون في أن محمدَ بنَ عبد الله بن عبد المطلب أتىٰ به، وأخبر أن الله ﷻ أوحىٰ به إليه، وأن من اتَّبعه أخذه عنه كذلك، ثم أخذ عن أولئك حتىٰ بلغ إلينا.

ومن ذلك: **الصلوات الخمس**؛ فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد أنه صلاها بأصحابه كل يوم وليلة في أوقاتها المعهودة، وصلاها كذلك

كل من اتَّبعه علىٰ دينه حيث كانوا كل يوم هكذا إلىٰ اليوم، لا يشك أحد في أن أهل السِّند يُصَلُّونها كما يصلِّيها أهل الأندلس، وأن أهل أرمينية يصلُّونها كما يصلِّيها أهل اليمن.

وكصيام شهر رمضان؛ فإنه لا يختلف كافر ولا مؤمن، ولا يشك أحد في أنه صامه رسول الله ﷺ وصامه معه كل من اتَّبعه في كل بلد كل عام، ثم كذلك جيلًا جيلًا إلىٰ يومنا هذا.

وكالحج؛ فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد في أنه عليه السلام حج مع أصحابه وأقام المناسك، ثم حج المسلمون من كل أفق من الآفاق كل عام في شهر واحد معروف إلىٰ اليوم.

وكجملة الزكاة وكسائر الشرائع التي في القرآن من تحريم القرائب والميتة والخنزير وسائر شرائع الإسلام، وكآياته من شق القمر، ودعاء اليهود التي تمنىٰ الموت، وسائر ما هو في نص القرآن مقروء ومنقول وليس عن اليهود ولا عند النصارىٰ في هذا النقل شيء أصلًا؛ لأن نقلهم لشريعة السبت وسائر شرائعهم إنما يرجعون فيها إلىٰ التوراة ويقطع نقل ذلك، ونقل التوراة إطباقهم علىٰ أن أوائلهم كفروا بأجمعهم وبرئوا من دين موسىٰ، وعبدوا الأوثان علانية دهورًا طوالًا.

ومن المحال أن يكون ملك كافر عابد أوثان هو وأمته كلها معه كذلك يقتلون الأنبياء، ويخنقونهم ويقتلون من دعا إلىٰ الله تعالىٰ يشتغلون بسبب أو بشريعة مضافة إلىٰ الله ﷻ عن هذا الكذب الذي لا شك فيه، ويقطع

بالنصارىٰ عن مثل هذا عدم نقلهم إلا عن خمسة رجال فقط وقد وضح الكذب عليهم إلىٰ ما أوضحنا من الكذب الذي في التوراة والإنجيل القاضي بتبديلهما بلا شك.

والثاني: شيء نقلته الكافة عن مثلها حتىٰ يبلغ الأمر كذلك إلىٰ رسول الله ﷺ، ككثير من آياته ومعجزاته التي ظهرت يوم الخندق وفي تبوك بحضرة الجيش، وككثير من مناسك الحج وكزكاة التمر والبر والشعير والورق والإبل والذهب والبقر والغنم ومعاملته أهل خيبر، وغير ذلك مما يخفىٰ علىٰ العامة؛ وإنما يعرفه كواف أهل العلم فقط وليس عند اليهود والنصارىٰ من هذا لنقل شيء أصلًا؛ لأنه يقطع بهم دونه وما قطع بهم دون النقل الذي ذكرنا قبلُ من إطباقهم علىٰ الكفر الدهور الطوال، وعدم إيصال الكافة إلىٰ عيسىٰ ؏.

والثالث: ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتىٰ يبلغ إلىٰ النبيﷺ يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان، علىٰ أن أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف إما إلىٰ رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة ﵃، وإما إلىٰ الصاحب وإما إلىٰ التابع وإما إلىٰ إمام أخذ عن التابع يعرف ذلك مَن كان مِن أهل المعرفة بهذا الشأن والحمد لله رب العالمين.

وهذا نقل خصَّ الله تعالىٰ به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضًّا جديدًا علىٰ قديم الدهور مذ أربعمائة عام وخمسين عامًا في المشرق والمغرب والجنوب والشمال، يرحل في طلبه من لا يحصىٰ

عددهم إلا خالقهم إلىٰ الآفاق البعيدة، ويواظب علىٰ تقييده من كان الناقد قريبًا منه قد تولىٰ الله تعالىٰ حفظه عليهم والحمد لله رب العالمين، فلا تفوتهم زلَّة في كلمة فما فوقها في شيء من النقل إن وقعت لأحدهم، ولا يمكن فاسقًا أن يقحم فيه كلمة موضوعة ولله تعالىٰ الشكر.

وهذه الأقسام الثلاثة التي نأخذ ديننا منها ولا نتعداها إلىٰ غيرها والحمد لله رب العالمين.

وهذا قاله في «الملل والنحل» (٨١-٨٣).

أسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يوفق الأمة للتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها، وأن يسلك بهم مسلك السلف الصالح ومسلك الطائفة المنصورة الناجية التي من الله بها علىٰ هذه الأمة، فحفظت عليها دينها وحفظت لها هذه العلوم التي نعتز بها.

أسأل الله أن يبارك في شبابنا وأن يأخذ بنواصيهم وأيديهم إلىٰ الهدىٰ وإلىٰ طلب العلم الشرعي وإلىٰ احترام هذا التراث العظيم فيتجهون إليه ينهلون ويرتوون وينشرونه في أجيالهم القادمة، حقق الله ذلك.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

والحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحاتُ

*   *   *

الأسئلة

أسئلة رسالة: «شرف الطالب وكمال زينته بمعرفة فضل العلم وعظيم أهميته»

س: ما حكم الأناشيد الإسلامية والمشاهد الإسلامية الهادفة والتربوية؟ وما هو البديل لها من مراكزنا الصيفية ؟

الجواب: واللهِ هذه الأناشيد ما عرفها السلف ولا كانوا يعملونها، قامت مدارس ومدارس ومدارس وقامت لها دول سلفية ما كانت علىٰ الأناشيد، الأناشيد هذه مأخوذة من الصوفية ومن الروافض، وهي وسيلة لجر السلفيين وسحبهم من الصف السلفي إلىٰ صف أهل البدع وصف الإخوان، التمثيل، الأناشيد، الألاعيب الكثيرة، كلها هذه يقولون من وسائل الدعوة، وهي وسائل دعوة الشيطان، ودعوة البدع، وفتنة الناس عن الحق إلىٰ الباطل، فهذه يجب أن تترك.

والبديل القرآن، والبديل السنة، وعندكم نونية ابن القيم في التوحيد والسنة، اقرءوها، وهناك منظومات تدعو إلىٰ العقيدة والمنهج السلفي، وتندد بأهل الفتن وأهل البدع.

أما التمثيل، التمثيل أصله عبادة وثنية وضعت لعبادة الأوثان، وضعها

اليونان وأخذها عنهم الرومان، وكان أيام الاستعمار الروماني لمصر والشام قبل الإسلام يقومون بهذه التمثيليات، فلما جاء الإسلام محاها تمامًا، حتىٰ أعادها الإخوان المسلمون وجاءوا بها إلىٰ هذا البلد، والجزيرة لا تعرف التمثيل لا في جاهلية ولا إسلام، حتىٰ جاء بها الإخوان المسلمون، لماذا؟ لنصرة الإسلام؟! لا، لإفساد الشباب وصرفهم عن المنهج السلفي!

التمثيل كذب، ابن باز مفتي البلاد يقول: هذا كذب، ما يجوز، الألباني كذلك، وغيرهما من علماء الإسلام، الفوزان وغيرهم يقولون: حرام، هذا لا يجوز[1].

ومع ذلك كشفت الأيام والدراسات أن أصل التمثيل عبادة وثنية، فكيف يليق بمسلم أن يتعاطاها ويتخذها وسيلة للدعوة ؟!!

الوسيلة للدعوة القرآن والسنة، «قال الله، قال رسول الله»، هذه دعوة الرسل، تقوم علىٰ البيان وعلىٰ الحجة والبرهان، ما تقوم علىٰ الرقص واللعب والكذب.

س: النصح خاص بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم هو عام لكل مسلم حسب ما يعلمه ؟

الجواب: عام لكل مسلم علىٰ الوجه الشرعي، «مَن رَأَىٰ مِنكُم مُنكَرًا،

---

(١) انظر: «مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن باز» (٥/ ٢٧١-٢٧٢)، و«المنتقىٰ من فتاوىٰ الفوزان» (ج٣/ س١٩٣)، و«فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (٢٦/ ٢٦٥-٢٦٨ الفتوىٰ برقم٢١٠٢٣ و٤٣٣٦)، و«إيقاف النبيل علىٰ حكم التمثيل» للشيخ عبد السلام بن برجس رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(١).

وبالحكمة والموعظة الحسنة علىٰ الطريقة الشرعية التي قررها كتاب الله وسنة الرسول والسلف الصالح وفقهاء الإسلام، هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب علىٰ كل أحد الإنكار بالقلب، فرض عين علىٰ كل أحد، في شركته يستطيع، بلسانه يستطيع، العالم يستطيع أن يتكلم في المسجد، هذا الكلام فيه كثير من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التحذير من البدع أفضل وأرقىٰ درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فنحن -إن شاء الله- دائمًا في أمرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن منكر، وإذا رأينا منكرًا والله ما نسكت، واللهِ ما نسكت، أنا أدخل مسجد الرسول فأرىٰ واحدًا علىٰ منكر أنصحه وأبيِّن له الحق.

بينما هؤلاء ما ينكرون شيئًا من الشركيات، لا ينكرون شيئًا من الشركيات والبدع، يريدون التشهير فقط، والفتنة علىٰ طريقة الخوارج، هذا ليس أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر إلَّا علىٰ طريقة الخوارج، وهناك أمر بمعروف ونهي عن منكر علىٰ طريقة الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح علىٰ الترتيب الذي بيَّنه الله وبيَّنه الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلىٰ مفاسد هو

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢١).

كغيره لا يجوز، يعني إذا كنت تزيل مفسدة تأتي بأكبر منها والمفسدة موجودة هنا، توسع الدائرة، هذا طريق الخوارج، إذا كانت المصلحة ترجح على المفسدة وتقضي على المفسدة تفضّل

فالعلماء وضعوا ضوابط، منهم: أحمد بن حنبل له كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1]، ومنهم: ابن تيمية له كتاب في ذلك [2]، ومنهم غيره وغيره وغيره، ووضعوا الضوابط الشرعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن هؤلاء واللهِ ما يحاربون البدع، البدع أنكر المنكرات، حتى البدع الشركية لا يحاربونها، فالمنكر عندهم الدشوش وبعض المعاصي فقط.

قلت لمجموعة منهم: أنتم في بيوتكم دشوش؟ قالوا: لا، قلت: أصلحوا عقائد الناس، العاكفون على الدشوش أكثرهم أهل عقائد فاسدة! أصلحوا عقائد الناس حتى يحطموا هذه الدشوش، الذين عقائدهم صحيحة كاملة ومنهجهم صحيح مستقيم ما يأتون بهذه الدشوش.

واحد صوفي قبوري رافضي فاسق من أتباع هؤلاء يستعمل الدش، وغيره!

فإذا أصلحنا عقائد الناس وبينا لهم المنهج الصحيح فسيتركون هذه الأشياء إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواية أبي بكر الخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو مطبوع.

(٢) وهو «الحسبة» وهو ضمن مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٠-١٢٠).

أما تترك هذا وتقول: العلماء مداهنون، والحكام مفسدون! فهذا لا يحل المشاكل!

العالم يتمنىٰ من أعماق نفسه ألا يوجد هذا البلاء في الدنيا كلها، واللهِ ننكر هذه المنكرات -والحمد لله-، وإذا علمنا أن إنسانًا عنده مشكلة فننصحه بلطف، والذي يرابي ننصحه كذلك، ولكن السياسيين المناهضين للعلماء لهم مسلك آخر فتجد أحدهم له علاقات بالتجار المرابين وله صلات وودٌّ لأهل البدع والضلال!!

ثم من أبرز الباطل ما يجري في السودان، ما يجري في اليمن، وغيرهما، لا كلام علىٰ هذه المنكرات أبدًا، واللهِ نحن نحب ناسًا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لكن بطريقة شرعية، ويشاركون ويتقدمون بإنكار البدع والشركيات، هذه النوعيات التي نريدها.

فوفق الله الجميع، نحن واللهِ ننكر المنكرات ونبغضها، ونبرأ إلىٰ الله من كل منكر علىٰ وجه الأرض في أي مكان.

س: لقد انتشر في الفترة الأخيرة الإخوانية والتبليغية والقطبية والسرورية وكل من هذه الأحزاب تدعي أنها علىٰ منهج أهل السنة والجماعة، ونحن هنا في هذه المدينة لا ندري إلىٰ من ننضم، فنرجو توضيح الحق -جزاكم الله خيرًا-.

الجواب: يقولون: ما يوجد إخوان ولا تبليغ، البلاد كلها سلفية!!

ويدسون رءوسهم في الرمال.

الحق في المنهج السلفي، الحق في ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم-، فمن كان علىٰ ما عليه رسول الله وأصحابه هم أهل الحق، وما عداهم هم منحرفون عن هذا المنهج، من الإخوان والتبليغ وغيره.

فالحق في المنهج السلفي الذي أنقذ الله به هذه البلاد، ثم هذه الفرق، الآن هذه الأحزاب تجر الناس إلىٰ الهاوية التي انتزعهم الله منها بتنفيرهم عن المنهج السلفي وعن أهله، ورميهم في أحضان أهل الفتن والبدع، فاحذروا أهل الفتن وعلىٰ هؤلاء أن يرجعوا.

انتهت بحمد الله وحسن توفيقه.

* * *

[أسئلة رسالة:
«فضل العلم النافع»]

س: فضيلة الشيخ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كيف نَجمَعُ بين قَولِهِ ﷺ في فَضلِ الصحابة: «لَو أَنفَقَ أَحَدُكُم مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ...»[1] الحديثَ، وبين قَولِه في المُتَمسِّك بدينه في آخر الزمان بأن أجرَهُ يَعدِلُ أجرَ خمسين من الصحابة[2]؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله.

هذا الحديثُ أنا درستُه يا إخوة، في الجملة هو صحيح، إلا جملة: «أجرُ خَمسِين مِنَا أو منهم؟ قال: منكم»، هذه فيها نظر، هذه الجملة: أجر خمسين من الصحابة فيها نظر، أنا لا أذكر الآن سبب ضعفها، درستها من مدة طويلة ووافقتُ الشيخ الألباني في تصحيح هذا الحديث، إلا هذه الجملة: «خمسين منا أو منهم؟ قال: منكم»، فهذه فيها نظر.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤١) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٤٩٤).

ثانيًا: علىٰ فرض صحتها، هذا الأجر فيما عدا الصحبة، الصحبةُ منزلة عظيمة لا تُلحَق، لا يمكن أن يلحق الصحابة فيها أفاضِلُ التابعين، فضلًا عمَن بعدهم، قال رسول الله ﷺ: «**خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ يَأتِي بَعدَهُم قَومٌ يَشهَدُونَ وَلَا يُستَشهَدُونَ، وَيَنذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَكثُرُ فِيهِ السِّمَنُ**»[1].

فخير القرون قرنه -عليه الصلاة والسلام-، ثم الذين يلونهم من التابعين، ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين ﷻ، هؤلاء خير القرون.

التابعون مثل: سعيد بن المُسَيب، وعمر بن عبد العزيز، والزهري، وغيرهم علىٰ اختلاف طبقاتهم، لا يمكن أن يلحقوا أدنىٰ صحابي من صحابة محمد ﷺ، حتىٰ إن ابنَ المبارك سئل: أيهما أفضل معاوية، أم عمر ابن عبد العزيز؟ قال: الغُبارُ الذي دخل أنفَ معاويةَ وهو يغزو مع رسول الله أفضل مِن عمر بن العزيز[2].

علىٰ كل حال، الغرباء الذين في آخر الزمان يواجهون من أنواع الأذىٰ والكذب والإشاعات والفتن والمشاكل ما هم مأجورون عليه-إن شاء الله-، ولَهُم أجرٌ عظيم عند الله -تبارك وتعالىٰ-، ويمكن أن يكون لهم أجر خمسين من غير الصحابة، علىٰ القول بعدم صحة لفظة «منكم».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين ﷺ.

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» (٥/ ٢٤٦٦برقم١٩٥٥)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٠٣-ط٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٧-٢٠٨).

والصحبة لا تُلحَق، فأدنىٰ الصحابة وأصغرُهم وأقلهم شأنًا -وليس فيهم من هو قليلُ الشأن ﭫ- لا يُلحَقُون في فضيلة الصحبَة ﭫ.

س: أحسن الله إليكم، وهذا سائل عبر الشبكة من السويد يقول: السلام عليكم، نحن في السويد نريد أن نُحضِر مشايخ الدعوة السلفية، ويقول شخص: يجب إحضارُ العلماء فقط، مع العِلم أنه مِن الصعب إحضار العلماء، فهل هذا القول صحيح -يعني في توقف الدعوة علىٰ عدم حضور العلماء-؟ وبارك الله فيكم.

الجواب: الدعوة لها شروط: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، والبَصِيرة هي العلم، ورسول الله يَتَحَلَّىٰ بهذه البصيرة، وأتباعُه في الإيمان والعمل والدعوة عندهم هذه البصيرة.

فمن كان عنده علم وبصيرة فليذهب إلىٰ أوربا، إلىٰ فرنسا، إلىٰ بلجيكا... إلىٰ أي بلد، يذهب يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة، البصيرة من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

ليس شرطًا أن يكون الداعي في أعلىٰ درجات العلم، عنده علم بما يدعو إليه، وما يُبَلغُه، وما يُنكِرُه من المنكرات من الشرك والبدع والخرافات وما شاكل ذلك، عنده أسلحة من العلم، هذه القضية فيها الباب الفلاني، فيها الحديث الفلاني، فيها الآية الفلانية، فيها قول الأئمة فلان وفلان وفلان،

عنده من هذا النوع، يتفضل يدعو إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، ليس شرطًا أن يكون ابنَ باز ولا أمثاله.

س: يسأل صاحبه يقول: هناك بعض الدعاة ينتسب الىٰ الشيخ الفلاني أو الشيخ الفلاني، مع أنه لا يعلم عليه جلوس إلا بضعة جلسات لا تتجاوز عدد الأصابع، فنريد منكم تحديدًا وإلقاء الضوء: متىٰ يكون الطالب أو الرجل من طلاب ذلكم الشيخ ويُعَدُّ فيهم؟

الجواب: إذا رجعت إلىٰ تراجم السلف، يعني شيوخ هذا الإمام الذي يُترَجِمُ له وتلاميذه، تجدهم يَعُدُّون في شيوخهم من روىٰ عنهم حديثًا واحدًا أو حديثَين، وتجد في تلاميذه مَن يَعُدونهم مِن تلاميذهم مَن رووا عنه حديثًا أو حديثين.

ولكن الاصطلاحات اختلفت -والله أعلم-، فإذا قال: أنا من تلاميذ فلان، ودرست علىٰ فلان موهمًا الناسَ أنه درس عليه صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، والعقيدة الطحاوية... إلخ، إذا كان يوهم هذا والناس تفهم هذا، فيجب عليه أن يُبعِد هذا، ويُبَين لهم مقدار ما أخذ عليه.

لا يغرر بالناس، لأن كثيرًا من الناس يقول: أنا درستُ علىٰ الشيخ ابن عثيمين، درست علىٰ الشيخ ابن باز، درست علىٰ الشيخ الألباني، قال شيخنا... يوهم الناس أنه من تلاميذه الذين لازموه وأخذوا منه العلوم، يوهم

الناس هذا، إذا كان الناس يتوهمون هذا، فعليه الإيضاح يقول: والله درست عليه في جلسة واحدة في الكتاب الفلاني، قرأت عليه شيئًا من صحيح مسلم، قرأت عليه شيئًا من صحيح البخاري، قرأت عليه شيئًا من الأحاديث الصحيحة أو الضعيفة، أو... إلخ، جلست معه في لقاء يبين للناس.

له أن يقول: أنا من تلاميذه، لكن بشرط ألا يوهم الناس أنه كان ملازمًا له، وأنه أخذ منه كذا وكذا وكذا.

س: وهذا سائل يقول: بارك الله فيكم، وأحسن إليكم، هل السؤال عن الرجال من هدي السلف؟

الجواب: نعم، السؤال عن الرجال من منهج السلف، كما قال ابن سيرين: «**إن هذا العلمَ دينٌ، فانظروا عمَن تأخذون دينكم**».

لكن في الناس من يسأل بصدق وإخلاص، يريد أن يأخذ دينه من الأكفاء، من أهل العلم والعقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح، فهذا له أن يسأل.

وبعض الناس يسأل للفتن، في هذا الوقت كثير من الأسئلة: ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في منهج فلان؟ وليس قصدُه الاستفادة منه، أو الابتعاد عنه، وإنما قصده شيء آخر هو: الإشاعات، ونشر الفتن بين الناس... فهذه الأسئلة لا تجوز، لأنها للفتن، والأمورُ بمقاصدها.

وأما إذا كان السائل يريد الخير، ويريد أن يتعلم، ويأخذ دينه الصحيح، فيجب أن تَدُلَّهُ علىٰ من يأخذ منه العلم -بارك الله فيكم-. نعم.

س: وهذا سائل يعني جاء بحديث أنا أول مرة أسمعه، يقول: هل هذا الحديث صحيح: «مَن طَلَبَ العِلمَ فِي مَسجِدِي كَانَ لَهُ كَحَجةٍ وَعُمرَةٍ»؟

الجواب: لا أعرِف درجته، كأنه مرَّ عليَّ، لكن لا أذكر درجته.

ابحثوا يا شباب، يا طلاب العلم، عندكم -والحمد لله- الوسائل متوفرة جدًّا للحصول علىٰ الحديث ودرجته ، عندكم (الإنترنت) فيها كتب مُخَزَّنة وبرامج تسهل لكم البحث، عندكم كتب الشيخ الألباني -بارك الله فيكم-، عندكم كتب الحافظ ابن حجر، كتب ابن تيمية، ابن القيم، كتب أئمة الدعوة .

س: نعم، وهذا سؤال آخر أيضًا عبر الشبكة يقول: أيهم أحسن: طلب العلم مع المجاهدة لترك المعاصي -يعني: عنده بعض المعاصي-، أو أتوقف حتىٰ أترك المعاصي؟

الجواب: توقف عن المعاصي واطلب العلم، توقف، تُب إلىٰ الله ﷻ من الذنوب، والذنوبُ تميت القلوب -والعياذ بالله-، فتُب إلىٰ الله ﷻ من المعاصي واطلب العلم -بارك الله فيكم-، فإذا قلت: لا أطلب العلم حتىٰ أتوب، أو حتىٰ أتخلص من المعاصي وأنت متمادٍ في ذلك، فقد لا تصل إلىٰ درجة طلب العلم، فتموت -والعياذ بالله- قبل أن تصل إلىٰ هذه الدرجة.

س: وهذا سائل يسأل فيقول: فضيلة الشيخ، يعلم الله أنني أحبك في الله، وسؤالي هو: نرىٰ كثيرًا من إخواننا الطلاب مَن لا يحرص علىٰ دروس

المشايخ والعلماء الكبار المشهود لهم بصحة المُعتَقَد وسلامة المنهج، ويحرص فقط علىٰ دروس الجامعة -علمًا أن فيها الخير الكثير-، من أجل أن يحصل علىٰ الماجستير، أو حتىٰ يكون له منصب كبير في بلده، كأن يكون أستاذًا جامعيًّا مثلًا، فما النصحية والتوجيه لمن يشاهَدُ منه مثل هذا؟

الجواب: طلب العلم يجب أن يكون خالصًا لله ﷻ، العلم من أفضل العبادات، العلم أفضل من جهاد التطوع، وأفضل من حج التطوع .

فطلب العلم أمر عظيم وعبادة عظيمة يجب أن يُخلِصُ فيها الإنسان لله، لا يريد بذلك إلا وَجهَ الله والدار الآخرة، فإذا طلب العلم لغرض من الدنيا هلك -والعياذ بالله-.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن تَعَلَّمَ عِلمًا مِمَّا يُبتَغَىٰ بِهِ وَجهُ اللهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِن الدُّنيَا لَم يَجِد عرفَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ؛ يَعنِي: رِيحَهَا**»(١).

فالعلم عبادة كالصلاة ، إن صليت تريد وجه الله في ذلك وأخلصت فيها، هذه الصلاة صحيحة ومقبولة عند الله ﷻ، وإذا طلبت العلم ترائي.. مثل الصلاة ترائي فيها -والعياذ بالله-.

فأخلص في هذا العلم، لا ترد به إلا وجه الله، لا ترد شهادة ولا غيرها، تريد بهذا العلم وجه الله -تبارك وتعالىٰ-، أما أن يكون هدفك الشهادة

(١) تقدم تخريجه (ص٥٣).

متناسيًا الإخلاص لله في هذه العبادة، فهذا أمر مذموم وخطيرٌ جدًّا علىٰ صاحبه ، فاطلب العلم لله -تبارك وتعالىٰ-، وإذا رزقك الله العلم عُد إلىٰ بلدك وادعُ إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-.

س: وهذه سائلة تسأل أيضًا عبر الشبكة: فضيلة الشيخ فتقول: ما حكم دخول الحائض المسجد بحجة طلب العلم؟

الجواب: فيه حديثٌ: «**لَا أُحِل المَسجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا لِجُنُبٍ**»(١) ولكنه ضعيف ولنا أن نأخذ من حديث عائشة رضي الله عنها لما قال لها رسول الله-عليه الصلاة والسلام-: «**ناوليني الخُمرَة**»، الخمرة: سجادة صغيرة يصلي عليها رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، قالت: إني حائض. قال -عليه الصلاة والسلام-: «**لَيسَت حَيضَتُكِ فِي يَدِكِ**»(٢).

فهذا يؤخذ منه أن الحائض ما تَدخُل المسجد، عائشة رضي الله عنها فهمت أنه ليس لها حق أن تدخل المسجد، أن تمد يدها إلىٰ المسجد، فقال لها: «**لَيسَت حَيضَتُكِ فِي يَدِكِ**»، معناه أنها لو دخلت لارتكبت خطأ .

فينبغي أنها لا تدخل المسجد، تجلس خارج المسجد، تستمع قدر الإمكان، وإلا تحبس نفسها، حتىٰ إذا طهرت وبعد ذلك تحضر حلقات العلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦١١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨).

س: أحسن الله إليكم، وهذان سؤالان عن المنهج الذي ينبغي لطالب العلم السير عليه إذا حصل خطأ من بعض المشايخ، وهم مشايخ وعلماء، ويَسمَع بعض طلاب العلم ينبزهم أو يقع فيهم ويطعن فيهم، فما توجيهكم لمثل هذا خاصة إذا حصل من بعض هؤلاء المشايخ خطأ؟

الجواب: المنهج الحق في هذا أن العالم قد يُخطِئ، والعالم قد يجهل، وبعض الناس إذا أخطأ العالم قالوا: جاهل، هذا منهج هدام، مالك كان يُسأل عن أربعين مسألة، فيجيب عن ثمان مسائل أو أربع أو ست فقط، ويقول في الباقي: الله أعلم، الله أعلم، لا أعلم(١).

عبد الرحمن بن مهدي يقول: جاء رجل إلىٰ مالك بن أنس يسأله عن شيء، فقال له مالك: لا أدري. قال الرجل: فأذكر عنك أنك لا تدري؟ قال: نعم، احك عني أني لا أدري(٢).

فالعالم الصادق المُخلِص لا يبالي أن يقال فيه عالم أو جاهل، وطالب العلم يجب أن يكون مُؤَدبًا، ولا يكون عنده هذا الميزان الجائر.

---

(١) انظر: «الانتقاء» لابن عبد البر (ص٣٨)، و«ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/ ١٤٦)، و«رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب» للسبكي (١/ ٢٤٥).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في «مسائله» كما في «إعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ٣٣-الجيل)، والآجري في «أخلاق العلماء» (ص١١٣-١١٤)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١١١٧).

الإنسان إذا أخطأ يخطئ خطأين، عشرة، عشرين، لا تتنقصه، عنده علم يا أخي، وما يعلم كل شيء، وما أحاط بكل شيء علمًا، وما أحد أحاط بالعلم، لا الشافعي، ولا أحمد، ولا مالك، ولا الصحابة، وكان أكابر الصحابة، تفوتهم بعض الأحاديث ويحفظها من هو دونهم، فما أحد يحتقرهم، وما أحد يرى أنهم جهلة -والعياذ بالله-.

الآن في الساحة أصناف من هذا الشكل، الإنسان إذا أخطأ خطأ واحدًا أو جهل مسألة قالوا: والله جاهل!

هذه المناهج هدَّامة، يجب أن نحترم العلماء، وأن نحترم طلاب العلم، وأن يحترم المسلمون بعضُهم بعضًا، وألا نستحل الأعراض بأقل فرصة تجدها تنتهزها للنيل من أخيك المسلم.

س: هذا سائل يسأل ويقول: فضيلة الشيخ، أشهد الله على حبكم فيه. ثم يقول: عندنا دكتور أشعري في العقيدة، ومُؤوِّل في الصفات، وعندما نُوصِح قال: أنا لا يمكن أن أترك التأويل، والسؤال: هل يؤخذ عليه العلم؟ وكيف يكون التعامُل معه؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: أنت حُرٌّ في الدراسة عليه أو تركِها، إذا كان مفروضًا عليك، إذا كان في الأزهر مثلًا، أو في مدرسة غير سلفية، فأُفَضِّل أن تذهب إلى مدرسة سلفية تتعلم منها دينك الصحيح، «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم».

والسلف قسمُوا أهل البدع إلىٰ قسمين: قسم لا يدعون إلىٰ بدعهم، عندهم شبه تأثروا بها، لكنهم ليسوا مُتَحمسين لها، ولا يدعون إليها، فهؤلاء احتاج السلف إلىٰ الأخذِ منهم، أخذوا العلم، أخذوا الحديث وغيره.

وآخرون دعاةٌ إلىٰ بِدَعِهم، فمَنَعُوا الأخذ عنهم، وحرَّمُوه.

فهذا الأستاذ قد يكون داعيًا إلىٰ بدعته، ما دام يقول: لا أستطيع أن أترك التأويل.. معناه أنه يقول في الأسماء والصفات بالتأويل، ونفسُه تُرغِمُه علىٰ الاستمرار في هذا المنهج، فهذا إن وَجَدتَ منه مَفَرًّا فلا تطلب عليه العلم أبدًا، وإن لم تجد منه مفرًّا، أنت في بلد فيها جهل وتريد أن تتعلم، ولكن بُلِيتَ بمثل هذا، فأنت خذ العلم من غيره عَقِيدة، وأصِمَّ أذنَيك عن سماع أباطيله وتأويلاته، ولا ترفع بذلك رأسًا، وإن وجدت مَخلَصًا منه فتخلَّص.

س: وهذا يسأل يقول: أحسن الله إليكم، ما رأيكم فيمن يقول: إن التوحيد قواعد تُعَلَّم، ولا تحتاج إلىٰ وقت كبير للتعليم، ويقول: يخطئ من يقول: إن النبي -عليه الصلاة والسلام- جلس في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلىٰ التوحيد، بل كان يبحث عن جِهَةٍ تُؤويه! فكيف يُجاب عن هذا؟!

الجواب: كل هذه السنوات الثلاثة عشرة يبحث عن جهات تؤويه ولا يدعو إلىٰ التوحيد؟! بل مكث ﷺ ثلاث عشرة سنة كان يدعو إلىٰ التوحيد، ونوح ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو إلىٰ التوحيد، وصالح، وهود، وإبراهيم، عاشوا حياتهم كلها دعوة إلىٰ التوحيد.

يؤكد هذا قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ورسول الله ثلاث عشرة سنة يدعو إلىٰ التوحيد، ويحارب الشرك، إلىٰ آخر نفَس مِن أنفاسه -عليه الصلاة والسلام-، في مكة كان أكثر ما تَنزِل عليه الآيات في التوحيد، والصلاة ما كُلِّف بها إلا في السنة العاشرة -عليه الصلاة والسلام-، والزكاة، والصوم، والحج، هذه كلها ما فرضت إلا في المدينة، كان الشغل الشاغل الدعوة إلىٰ توحيد الله -تبارك وتعالىٰ-.

وخلال هذه الفترة -فترة التشريعات في الحلال والحرام والعبادات، وما شاكل ذلك- يتخللُها آيات وآيات ونصوص في التوحيد، إلىٰ أن مات وهو يقول: «**لَعنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ**»(١)، عليه الصلاة والسلام.

آخر نَفَس وآخر لحظة من حياته وهو يدعو إلىٰ التوحيد ويحذِّر من الشرك -عليه الصلاة والسلام-، هؤلاء تضيق نفوسهم بالدعوة إلىٰ التوحيد، فيقولون مثل هذه الأقوال -نسأل الله لهم الهداية-.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

س: وهذا سؤال له تَعَلقٌ بما سبق، فلذلك جعلناه تِلوَه، يقول: فضيلة الشيخ -حفظكم الله-، أين دعوة التوحيد اليوم من الدعاة؟

الجواب: دعوة التوحيد موجودة -ولله الحمد-، وقائمة -ولله الحمد-، وهناك من يقوم بها ويدعو إليها في كل بلد من بُلدان العالم -ولله الحمد-، ما ضاعت، ولن تضيع لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَق لَا يَضُرهم مَن خَذَلَهُم حَتىٰ يَأْتِي أَمرُ اللهِ وَهُم كَذَلِكَ**»[1].

فهذا الكلام من التخذيل ومن المخالفات كالتي سبق: أن التوحيد قواعد تحفظ في أيام قليلة! بعضم يقول: ساعة! بعضهم يقول: نصف ساعة! بعضهم يقول: عشر دقائق!! نسأل الله العافية، ويُفني حياته في الأباطيل باسم الإسلام، فنسأل الله لهم العافية، وللمسلمين من بلائهم.

س: هذا سؤال أيضًا عبر الشبكة يقول صاحِبُه: ما حكم الصلاة في مسجد فيه مُصَلىٰ، ووجدوا فيه أمواتًا -يعني مدفونة- ثم طُمِسَت، وفي ساحته كانت توجد مقبرة ثم طُمِسَت، وبقي فيها ضريح وأخرج الأموات منه -يعني من هذا الضريح فقط الذي في الساحة-، ولكن بقي المَعلَم، وزيادة علىٰ ذلك توجد لائحة أنه توجد مقبرة في المسجد. فما حكم الصلاة في هذا المسجد -بارك الله فيكم-؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

الجواب: القبور إن كانت ظاهرة في المسجد فلا تجوز الصلاة فيه أبدًا، وإن كانت مظنونة أو يعني لا أَثَرَ لها، ولا ظهور لها بحيث يفتن بها الناس فيُصلَّىٰ فيه والساحة تُلحَق بالمسجد -إذا كان مثلًا يوم الجمعة، في الأعياد يصلون فيها- تابعة للمسجد، فلا يجوز أن يبقىٰ فيها هذا القبر، ينبغي أن يزال ويدفن في مقابر المسلمين، ويبعد هذا، فالمسجد والقبر في الإسلام لا يجتمعان: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وغالبًا ما تكون هذه الأضرحة في القبور إلا للاستغاثة بها، والتمسح بها، والتبرك بها، ويقال: إن في بعض البلدان يقبل الناس علىٰ بعض المساجد التي فيها قبور وأضرحة، ويَقِل الرواد للمساجد التي تخلو من القبور والأضرحة! وهذا مِن جهل الناس، وبُعدِهم عن معرفة الإسلام الحق.

س: وهذا سؤال أيضًا أخير عبر الشبكة، تقول فيه السائلة: تريد أن تعطي ابنتها من ماء زمزم، لكن ابنتها صغيرة، ولا تعرف شيئًا، عمرها أقل من شهر، والمراد من ذلك: هل يصح أن تنوي هي عنها يعني؟ وما العمل في هذا، لأنها تريد أن تصل إلىٰ قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «مَاءُ زَمزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»[1]؟

الجواب: لا أعلم، الجواب: لا أعلم

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٠٢).

س: جزاك الله خيرًا، هذا أيضًا سؤال من الإخوة الحضور، يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فضيلة الشيخ، هل يجوز لي أن أتعلم علم المَنطِق؟ أفيدوني جزاكم الله تعالىٰ خيرًا.

الجواب: علم المنطق علم فاسد، وحرم السلف بالإجماع دراسته[(١)]، لِمَا فيه من الضلال والآثار الخبيثة ، ويقول فيه شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يستفيد منه الغبي، ولا يحتاج إليه الذكي»[(٢)].

الذكي في غنًىٰ عنه، فإنه منطقي في نفسه وفي طبيعته وفي عقله، والغبي لا يستفيد منه، لو درس كتب المنطق كلها لا يستفيد منها.

كان الشيخ الألباني يناظر علماء المنطق فيكونون كالأطفال أمامه وهو ما درس المنطق، لكن الله آتاه منطقًا وآتاه علمًا، ولا حُجةَ أقوىٰ من حُجَج الكتاب والسنة، وأهل المنطق دائمًا مهزومون -واللهِ-، مهما تفلسفوا وتعمقوا في المنطق فهم مهزومون أمام منهج السلف الصالح القائم علىٰ الكتاب والسنة.

س: وهذا سؤال يقول صاحبه: السلام عليكم ورحمة الله. هل يجوز استماع الأناشيد؟ من فضلكم اشرح لنا الأناشيد، قصدي من دون موسيقىٰ، وهل يجوز أن يتكلم المرء مع خطيبته في الجوال؟ نعم، سؤالان.

---

(١) انظر: رسالة الحافظ السيوطي «القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق» ضمن «الحاوي في الفتاوي» للسيوطي (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٩/ ٨٢).

الجواب: هذا بيت القصيد، أجيبك على الأخير:

إذا خطبت امرأة فكن شريفًا وعلمها الشرف والمروءة، لا تعلمها السقوط خلال خطبتك، علمها الإباء والشرف والأنفة، ولا تغازلها من خلال الجوال أو غيره، وأسرِع بالزواج، وبعد ذلك إذا جاءت عندك فغازِلها وافعل كُل ما أباحه الله لك معها.

وأما ما يُسمَّىٰ بالأناشيد الدينية فهذه طبعًا السلف ما كانت عندهم هذه الأناشيد، السلف كان عندهم الحداء، وعندهم الشعر الذي يخدم الإسلام، ونُطقُهم به وكلامهم به يختلف عن طريقة الأناشيد.

هذه الطريقة التي تستخدم الآن في الأناشيد مأخوذة من النصارىٰ، مأخوذة من الروافض، مأخوذة من الصوفية، الأناشيد التي امُتحِنَت بها بعض الجماعاتِ، وصارت أصلًا من أصولهم، ولا يستطيعون التنازل عنها أبدًا، مهما تكلم العلماء وبينوا.

أحمد والشافعي وأمثالُهم حاربوا هذه الأناشيد، وكانوا يسمونها في ذلك الوقت (التغبِير)، يعني أناشيد دينية، يعني تحرك العواطف الدينية.

قال الشافعي: «هذه اخترعها الزنادقة ليصرفوا الناس عن كتاب الله».

والذي يغرم بالأناشيد تضعُف إرادتُه ورغبتُه في القرآن، وقد جرَّبنا هذا وعرفنا ناسًا من هذه الأصناف.

فالحداء يجوز، كان بعض الأحيان وقت السفر يقول الرسول للحادي:

«احدِ بِنَا»[١]، تحرك الإبل، إذا كانوا في عمل -مثل الخندق- كَانُوا يَقُولُونَ يَومَ الخَندَقِ: نَحنُ الَّذِين بَايَعُوا مُحَمدًا عَلَىٰ الإِسلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدًا، أَو قَالَ: عَلَىٰ الجِهَادِ[٢].

يقولون مثل هذا، لكن بمنطق عربي وأسلوب عربي، وليس مثل أغاني النساء وأصوات النساء وأصوات المغنيات، هذا ما يعرفه العرب ولا يعرفه المسلمون إلا عن طريق النصارىٰ والروافض وغلاة الصوفية.

فننصح الشباب أن يسلكوا مَسلَك السلف في كل شيء، في عبادتهم، في تعاملهم مع الأصوات ومع غيرها، علىٰ طريقة السلف الصالح، إذا احتجت إلىٰ الحداء عند الحاجة قُل وانطق بهذا الشعر علىٰ الطريقة العربية، عند الحاجة، أما أن تتخذه أصلًا وأسلوبًا ومنهج حياة، فهذا والله هُوَ الضلال .

ونشكر لفضيلة شيخِنا ما تَفَضَّل به، ونسأل الله ﷻ أن يجزيه عنا خيرًا، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

---

(١) روىٰ البخاري برقم (٦١٤٨)، ومسلم برقم (١٨٠٢)، عَن سَلَمَةَ بنِ الأَكوَعِ قَالَ: «خَرَجنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ خَيبَرَ فَسِرْنَا لَيلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَومِ لِعَامِرِ بنِ الأَكْوَعِ: أَلاَ تُسْمِعُنَا مِن هُنَيهَاتِكَ، قَالَ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلاً شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالقَومِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَولَا أَنتَ مَا اهْتَدَينَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَاغْفِرْ فِدَاءٌ لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِن لَاقَيْنَا، وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا، وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَن هَذَا السَّائِقُ. قَالُوا: عَامِرُ بنُ الأَكوَعِ. فَقَالَ: يَرحَمُهُ اللهُ». الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٤)، ومسلم (١٨٠٥) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

[أسئلة رسالة: «فضل العلم وأهله»]

س: كيف يتدرج طالب العلم في العلوم الشرعية؟

الجواب: سنة الله في خلقه التدرج، فيتدرج طالب العلم، يتعلم من اللغة، ومن الفقه، ومن الحديث، ومن المصطلح ومن التوحيد، ويبدأ بصغار الكتب، يبدأ بـ«الأربعين النووية»، ثم «العمدة»، ثم «بلوغ المرام».

يبدأ بـ «النخبة» في المصطلح، أو غيرها من كتب، «البيقونية» وغيرها، ثم يتدرج إلىٰ «الباعث الحثيث»، إلىٰ «مقدمة ابن الصلاح» إلىٰ «تدريب الراوي».

ثم يتعلم التوحيد، «الأصول الثلاثة»، «كشف الشبهات»، «كتاب التوحيد»، ثم يترقىٰ إلىٰ الكتب الأخرىٰ، «فتح المجيد» وغيره، التدرج في الطلب سنة الله -تبارك وتعالىٰ-.

والربانيون هم الذين يعلمون الناس صغار المسائل، ثم بعد ذلك يتدرجون فيهم شيئًا فشيئًا إلىٰ أن يصلوا إلىٰ شأن كبار العلم، **«ما أنت محدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»**[1]، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة.

فيما رواه مسلم.

أي يتدرج بالناس، لا يقصد إلىٰ الكتب الكبار إلا أن يأخذ في سلم العلم مرحلة بعد مرحلة، ودرجة بعد درجة حتىٰ يصل إلىٰ هذه الكتب، فبعدها يقرأ «الواسطية»، «التدمرية»، «الحموية»، وهذا الأمر تدبر الناس فيه بأفكارهم، ووصلوا إلىٰ مثل هذا الترتيب.

فعلماؤنا في هذا العصر وقبله يرجعون بالتدرج إلىٰ «الواسطية» مثلًا في علوم التوحيد، الأسماء والصفات، يبدأ بالعمدة فيه «الواسطية»، ثم «الحموية»، ثم «التدمرية»، ثم «الطحاوية».

ثم بعد ذلك يواصل الإنسان «الصواعق المرسلة» من كتب ابن القيم، ويبدأ بكتب ابن تيمية، «درء تعارض العقل والنقل»، و«اقتضاء الصراط المستقيم»، و«التوسل والوسيلة»، «درء تعارض العقل والنقل» هذا امتداد لعلم التوحيد في باب الأسماء والصفات، «التوسل والوسيلة» امتداد لتوحيد العبادة.

فهذا يتدرج في كل فن، في الحديث يبدأ -كما قلت لكم- في «الأربعين»، ثم «العمدة»، ثم «بلوغ المرام»، يقرأ «رياض الصالحين»، ثم بعد ذلك يبدأ في الأمهات، يبدأ «البخاري»، «مسلم»، «أبو داود»، «الترمذي»، «النسائي»، «ابن ماجه»، ويُلم بشروح هذه الكتب، «فتح الباري»، و«شرح النووي»، و«تحفة الأحوذي»، وغيرها.

يكون قد أخذ قسطًا من علوم العربية ومن المصطلح وكذا، لأن هذه الشروح فيها مزيد من علم المصطلح، ومن علم الجرح والتعديل، ومن علم أصول الفقه، ومن علوم البلاغة -البيان والبديع وغيرها-، ومن علم النحو، ففهم مثل هذه الكتب يتوقف علىٰ دراسة هذه العلوم.

لابد في رحلتنا هذه أن نتجه إلىٰ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، بل أرىٰ أن نبدأ قبلها بكتب السلف، «خلق أفعال العباد» للبخاري، «السنة» لعبد الله بن أحمد، «التوحيد» لابن خزيمة، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي، «الإبانتين» لابن بطة.

هذه الكتب نعرف منها منهج السلف، ونعرف مواقفهم من أهل البدع، كالجهمية والخوارج والمعتزلة وغيرهم من أهل الانحرافات، فإننا في هذا العصر نشعر بقصور شديد، وتقصير كبير في باب الولاء والبراء، فإن جدار الولاء والبراء قد تهدم، واختلط الحابل بالنابل.

قد يتحزب الإنسان لحزب ما، فيعادي ويوالي من أجله ولو كان في هذا الحزب أضل الناس وأبعد الناس عن الحق، وقد يعادي من هو علىٰ منهج الأنبياء توحيدًا وعقيدة وعبادة وسلوكًا وأخلاقًا، فضاع بهذه الحزبيات الولاء في الله والحب فيه والبغض فيه.

وقد أخذ العلماء مالك وغيره من قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ

﴿ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] إلىٰ آخر الآية، أخذوا منها أن لأهل البدع نصيبًا من هذه الآية، فلا يجوز ولاؤهم، بل لابد أن يعادَوا في الله، حتىٰ يرجعوا للحق.

ونحن لا يمكن أن نسير علىٰ منهج السلف في مواقفهم من أهل البدع وفي الولاء والبراء إلا إذا درسنا هذه الكتب لسلفنا الصالح، فإذا عرفناها حق المعرفة عرفنا كيف نسير، وكيف ترتبط علاقاتنا بالناس، وعلىٰ أي أساس تقوم هذه الدنيا كلها، فإننا سنظل تائهين لا نميز بين من يستحق الولاء والبراء، ولا بين هذا وذاك. وفقنا الله وإياكم.

س: ما حكم تعلم العلوم العصرية من الطب والهندسة وغير ذلك مما تحتاجه الأمة ؟

الجواب: أقول: لا شك أن الأمة تحتاج إلىٰ الطب والهندسة وكذا بعد أن نأخذ ما يجب علينا من الإسلام، لأن العلم فرض عين، وفرض كفاية، علوم منها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية.

ففروض الأعيان مشتركة بين جميع المسلمين، هناك قسط من الإسلام لابد أن يشترك في معرفته كل الناس، ثم بعد ذلك هناك فروض كفايات، لابد أن يكون هناك عدد كاف من المسلمين يقومون بفروض الكفايات.

ومما هو من فروض الكفايات: أن يتعلم بعض العلماء الطب والهندسة والكيمياء وما شاكل ذلك، هذه من فروض الكفايات، فالذي يتعلمها يريد

بها خدمة الإسلام والمسلمين، لأنه قد يكون كثير من المسلمين يتعلم الطب لأجل أن يتخذ منه حرفة، وقد لا يربطها بالإسلام.

فعلىٰ المسلم أن يربط هذا العلم بالإسلام، أن يحقق للإسلام وللمسلمين مصلحة، يشعر في ذات نفسه أن المسلمين محتاجون للأطباء، فيقول: أنا أريد أن أسُد ثغرة في هذا الميدان، أكفي المسلمين حاجتهم إلىٰ يهودي أو نصراني أو شيوعي علماني، مثل هذه النية ما شاء الله- يكون -إن شاء الله- من العبادات، ومن القُرَب إلىٰ الله تعالىٰ.

كذلك المهندس، كذلك الكيماوي، وغيرهم، الذي يتعلم الزراعة، الاقتصاد، وغيرها يتعلمها بهذه النية الطيبة، ليسد ثغرة، وليقوم بفرض من فروض الكفايات، فهذا يحمد عليه -إن شاء الله-، ولكن الخطر كل الخطر حتىٰ في العلم الذي جاء به محمد -عليه الصلاة والسلام- ألا تكون غايته نبيلة، فأظن أشرت إلىٰ شيء فيما سبق، وأنا أذكر هذا دائمًا إذا تعرضت لهذه القضايا، أذكر أن هذه نحتاجها ولابد منها.

س: هل علم السياسة داخل في العلوم الشرعية التي يجب تعلمها ؟

الجواب: علم السياسة ما أحد يقول: إنه يساوي علم التوحيد، ولا علم الفقه، ولا علم الحديث، ولا شيئًا من هذه العلوم، هذا نحتاجه، وممكن نقول: مثل الطب، مثل الهندسة، مثل هذه الأشياء، أما أن نساوي به هذه العلوم فهذا من الغلو، هذا من الغلو في السياسة.

السياسة ما هي؟ إذا كان علم السياسة من الفقه هو السياسة الإسلامية، وهي جزء من الفقه عندنا، فتأخذ أهمية الفقه، وإذا كان علم الصحف المليئة بالأكاذيب فهذا شيء آخر، لا يجوز أن يعطىٰ هذه المنزلة، وغالبًا ما يقصدون بعلم السياسة الآن أن تعرف ما في هذه الصحف، وهي فيها مغالطات وأكاذيب.

وطبعًا لا بأس أن يكون هناك ناس بعد معرفة ما يلزم من الإسلام ينصرفون لهذا، ما كلُّ الشباب يتجهون لهذا، فهذا من الغلو في هذا العلم الذي أصبح في مستوىٰ التوحيد، علم السياسة في هذا العصر يقارن بما جاء به جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، من هو الذي بعثه الله بالسياسة هذه، علم الصحف والخرافات؟!! نسأل الله العافية.

علىٰ كل حال نحن نحتاج إلىٰ أفرادٍ اللهُ هيأهم، فما كل واحد يصلح للسياسة، هناك أفراد من الناس عندهم الملكة، وبقدر الحاجة بالقدر الذي يحتاجه المسلمون يتعلمون هذه الأمور.

وغالبًا نعلم ونربي ناسًا في وزارة الداخلية، وفي وزارة الخارجية نربيهم تربية إسلامية، ونقول لهم: قوموا بهذه المهمة، لأن هذه من مهماتهم، سياسة السياسة الخارجية، في ميدان السياسة، العلوم العسكرية، والخطط العسكرية التي يتعلمها ناس في وزارة الدفاع مثلًا نربيهم علىٰ الإسلام تربية صحيحة، ونربطهم بالجهاد الإسلامي، ونعلمهم أحكام الجهاد،

ولماذا أنت في هذا الموقع، ونشغله بدراسة الخطط العسكرية في العالم، حتىٰ لا يفاجئونا بشيء لا نعرفه من الخطط الخبيثة، وهكذا.

أما الشباب شباب لا علاقة لهم بهذه الأشياء، فيتركون علم العقيدة وعلم الحديث والتفسير، وينصرفون إلىٰ قالت نيوز، وقالت جريدة كذا، وصحيفة كذا، والكلام الفارغ، ويتيه الشباب كلهم في هذا الميدان، واللهِ ملايين منهم وكثير منهم ما يصلحون لشيء من السياسة.

أنا قلت في مرات ومرات: إن عمر بن الخطاب ﷺ كان يختار لسياسة الأمة أفرادًا، أبو ذر ﷺ مثلًا ما يصلح للسياسة، واللهِ أبو ذر أعلم من معاوية ﭫ، ولكن يقول له الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «**يا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ**»، يقولون: إن أبا ذر كان جسيمًا، لكن الرسول ﷺ يقول: «**إِنَّكَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ، فَلَا تَوَلَيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ، وَلَا تَحكُم بَينَ اثنَينِ**»[(١)].

معاوية يصلح أن يدير العالم كله، المغيرة بن شعبة يصلح لإدارة العالم، عمرو ابن العاص، زياد بن أبيه، هؤلاء يصلحون للسياسة الإسلامية.

ما كل الشباب يتوجه للسياسة، غلط هذا يا أخي تضيع الأمة، وتضيع هذه الطاقات التي تحتاجها الأمة في ميادين عديدة، تصرفهم كلهم إلىٰ ميدان واحد، ما عندنا إلا هذا الميدان نوجه الشباب كلهم له، ثم يصبحون كذابين دجالين يتعلمون الكذب والدجل والحيل؟!

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٦) من حديث أبي ذر ﭬ.

واللهِ يصبحون كلهم كذابين، تصبح الأمة كلها قائمة علىٰ الكذب، لأن السياسة في هذا العصر كلها كذب، فخلِّ واحدًا عنده حصانة قوية من العلوم الإسلامية، ويأتي إلىٰ هذا الدجل والحيل والخداع والكذب وبعقليته الجبارة الكبيرة، ليس كل عقل يصلح، عقول العصافير لا تصلح، كثير منا عقولهم عصافير يخوضون ميدان السياسة وهم مساكين.

أبو ذر يقول له الرسول ﷺ: ما تحكم بين اثنين. وأبو هريرة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، والله علماء، لكن واللهِ إيش لما تقرنهم بمعاوية وبزياد؟ فرق كبير، فيجب أن نعرف هذا يا إخوة أن ننزل الأمور منازلها، نحن نحتاج للسياسة، لكن من يصلح لها؟

ما كل الناس وكل الشباب نوجههم للسياسة، يجيء عندك ألف طالب تعلمهم السياسة، هذا جنون ما عُرِف مثله في الأمم كلها، مثل هذا الهوس لا يجوز، المسئولون والعلماء الكبار هم من ينظرون وينتقون فيُحصِّلون في المليون واحدًا أو اثنين، «**النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**»[(١)].

ليس كل واحد يصلح للسياسة، هذا يصلح للطب ما يصلح للسياسة أبدًا، هذا يصلح للهندسة، هذا يصلح للحديث، هذا يصلح لكذا، قد يصلح لشيء من هذا مع السياسة فلا بأس، لكن واللهِ في الألف ما تحصل، فيجب أن نقدر الأمور قدرها، وأن ننزل الأمور منازلها، ما كل الشباب يصيرون

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

سياسيين، هذا ضياع وضياع وضياع.

يا شباب اتقوا الله، نحن لا نحِّرم السياسة، ونؤمن أن الإسلام دين ودولة، الإسلام والله فيه سياسة، ولا سياسة إلا السياسة الإسلامية، السياسة الصحيحة هي السياسة التي جاء بها محمد -عليه الصلاة والسلام-، و«**كَانَ بَنُو إِسرَائِيلَ يَسُوسُهُم الأَنبِياءُ**»[1]، وفي هذه الأمة أمراء يسوسونهم، عندهم شيء من السياسة.

فنحن نساند هؤلاء الأمراء بمن فيهم كفاءة، بقية الناس ينصرفون في مصالح العباد، ومصالح هذه الأمة، فإن الميادين كثيرة، ونحتاج في كل ميدان من الميادين رجالًا من هؤلاء الرجال، فهذا الذي يصلح للسياسة الإسلامية لا يصلح للحديث مثلًا، لا يصلح للعلم ويصلح للسياسة، يفهم شيئا من العلم ولكن إمكانيته موجهة لهذا، نسخره لهذا ... يغربل ويميز لنا المكايد، ويبين الحيل والأكاذيب، ليس كل واحد يقرأ صحيفة يقول لك: أمريكا قالت كذا، لابد يحصل، هذا نبأ يقين؟ هذا علم لابد منه، هذا علم حقيقي! ما هكذا يا أخي!

ويُسمونه «علم الواقع» كلا ليس هذا بعلم، لأنك يا أخي تأخذ من الصحيفة كل ما هب ودب فليس هو بعلم ، نحتاج أناسًا يعرفون، قد تقول ألف صحيفة كلامًا كله كذب؛ لأن هؤلاء عندهم مكايد، اليهود والنصارىٰ والشيوعيون دهاة، فيهم دهاة، والله عندهم دهاة، هم يختارون الدهاة هؤلاء،

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ليلعبوا بالعالم، ويضعون من التمويهات والتلبيسات علىٰ الناس ما لا يعلم حقيقته إلا الله.

الرسول -عليه الصلاة والسلام- من سياسته أنه -عليه الصلاة والسلام- وهو يريد خيبر يؤشر إشارات لأصحابه إلىٰ أنه يريد مكة، تورية، من باب التورية، إذا أراد غزوة ورّىٰ بغيرها[1] -عليه الصلاة والسلام-، فهذه هي السياسة، فهو صدق، التورية من الصدق، يوري تورية، يكون كلامًا صادقًا.

لكن هؤلاء السياسيون يأتي الآن في الغرب وغيره كل خططهم وكتاباتهم وتصريحاتهم كثير منها كذب في كذب، فنحن نأخذها قضايا مُسَلَّمة كأنما جاء بها جبريل إلىٰ محمد -عليه الصلاة والسلام-، ونسميها علمًا وفقهًا، هذا غلط يا إخوتاه.

فنحن نحتاج إلىٰ أناس في السياسة، ولكن هذا البلد قد يكون فيه ثلاثون رجلًا.. أربعون يكفونه، فيه خمسون، فيه مائة يكفونه يعرفون السياسة، ويغربلون السياسات الدولية، ويقدمون لنا من الخطط والتدابير والحاجات ما نحفظ به هذه الأمة، ونحفظ به بيضة هذه الأمة، وبقية الناس والله يسلمون من ذلك، ونقول لكثير منهم: لا تحكمن بين اثنين، ولا تولين مال يتيم. ونقول لهذا: دَرِّس. ونقول لهذا: أفتِ. ونقول لهذا: حدِّث. ونقول لهذا: اقض. وكل واحد في مجاله. وفقنا الله وإياكم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٧)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

س: هل يصح تسمية اتباع الهوىٰ شركًا؟

الجواب: الهوىٰ طبعًا منه ما يقود إلىٰ الشرك، فإذا قاده إلىٰ الشرك فقد وقع في الهوىٰ، وإذا قاده إلىٰ معصية من المعاصي، طبعًا هو ما يقع في معصية من المعاصي إلا ما أوقعه فيه هواه وشهوته وشيطانه، فإذا وقع في معصية -أوقعه هواه في معصية- نقول: هو عاصٍ، وإذا أوقعه هواه في شرك قلنا: هذا شرك، فلا يصح أن يسمىٰ الهوىٰ شركًا رأسًا، بل الأمر فيه تفصيل كما سلف.

س: ما حكم قول أن النبوات تتوقف علىٰ علم الواقع؟

الجواب: واللهِ أعتقد أن الرسول ﷺ فقه واقع قومه وهو في أكبر سنه -عليه الصلاة والسلام-، لأنه كان أذكىٰ الأذكياء -عليه الصلاة والسلام-، فهل كان يخفىٰ عليه أن قومه يعبدون الأصنام -عليه الصلاة والسلام-، ويشربون الخمر، ويزنون، ويسرقون؟!

واللهِ أطفالنا يعرفون الواقع، كل واحد يعرف واقع قومه، فهذا بعيد جدًّا، هذا بعيد جدًّا، وما يليق أن يقال هذا، ولا يجوز أن ندخل علم الواقع في كل قضية من القضايا، حتىٰ إن النبوات تتوقف علىٰ علم الواقع، نسأل الله العافية، هذا أمر خطير.

س: هل يعتبر الزواج الذي لم يحصل فيه الإعلان نكاحًا صحيحًا؟

الجواب: إذا عُقِدَ هذا النكاح بولي وشاهدي عدل فهو نكاح صحيح

-إن شاء الله-، والإعلان هو سنة، الشرط والأركان إنما هي في الشهود وفي الولي، فإذا وجد شاهدان وولي تم العقد، والحمد لله فهو نكاح صحيح، والإعلان ما هو إلا سنة من السنن.

س: ما حكم من يقول أن الشمس تدور ؟

الجواب: الشمس تدور، الشمس تجري، إذا كان يريد بالدوران هو الجري فلا بأس -إن شاء الله-، ولكن الخطر أن تُقرر أن الشمس ثابتة، والأرض تدور حولها، فإن هذا كفر، لأنه تكذيب لكتاب الله -تبارك وتعالىٰ-، تكذيب لله ولرسوله ولكتابه، فهذه النظرية ماتت، هذه النظرية كما قرأت إن هذه النظرية كانت في القرن الثامن عشر، يقول بعض الناس متهكمًا علىٰ سؤال من هذا النوع قال: **الشمس التي كانت واقفة هي شمس القرن الثامن عشر، أما شمس القرن العشرين فهي تجري.**

فقد أثبت العلم -والحمد لله- أن الشمس تجري، وهذا من معجزات القرآن، ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس:٣٨].

س: ما نصيحتكم لمن يستعمل في دعوته إلىٰ الله الغلظة ؟

الجواب: أما الدعوة إلىٰ الله بالغلظة فهذا لا يليق بالداعي إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ولكن أنا أرىٰ أن في هذا مبالغة، فإن كثيرًا من الناس يقذفون كل السلفيين علىٰ وجه الأرض أنهم جُفاة، فهذا تشويه وتنفير، فإننا نعلم في هذه الطائفة المنصورة الناجية من الأخلاق والأدب والرفق والأناة والأخلاق ما لا يوجد في غيرهم -ولله الحمد-.

فقذفهم بالجفاء هذا من الظلم، ومن التشويه، ومما يفتعله خصوم هذه الدعوة، ويردده كثير ممن لا يعي ولا يعرف واقع هذه الطائفة الطيبة، يرددونها كالببغاوات، فإني أربأ بنفسي وبكل عاقل أن يحكم علىٰ السلفيين في العالم جميعهم أنهم جفاة، أربأ بنفسي وبه عن الانحدار إلىٰ هذا المستوىٰ.

س: ما حكم الدعاء الجماعي عند الفراغ من دفن الميت ؟

الجواب: الدعاء الجماعي في البقيع لم يثبت عن النبي ﷺ هذا الدعاء، الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُم، وَسَلُوا لَهُ التثبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسأَلُ**»(١)، كل واحد يدعو، يدعو الله منفردًا، ينفرد بنفسه ويدعو لأخيه، أما بشكل جماعي فهذا من البدع.

حتىٰ العلماء قرروا أن الدعاء عقب المكتوبة بشكل جماعي بدعة من البدع، فإذا كان العمل فرديًّا مشروعًا ثم مثلًا نحن نجعله بصورة جماعية فهذا من البدع، وهذا شأن البدع، فإنه ما من بدعة إلا ولها أصل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٢١) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥١١).

ولكن حقيقة الاتباع الصحيح أن نفعل كما فعل الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فيطابق فعلنا فعل الرسول -عليه الصلاة والسلام- حقيقةً وصورةً، يوافقه في القصد ويوافقه في الصورة، فلا نكون متبعين إلا إذا كان الأمر كذلك.

فالرسول ﷺ دعا، وأمر أصحابه أن يدعوا حينما يُدفَن أحد أصحابه، يدعو كل واحد في حاله وبمفرده، فإذا نحن جمعناهم علىٰ إمام واحد يدعو ويؤمنون فقد ابتدعنا، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

س: ما حكم من يقول أن رفع الإزار إلىٰ نصف الساق منفر عن الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ ؟

الجواب: واللهِ هذا من غربة الإسلام، أن تتحول السنن إلىٰ بدع، وتوصف بهذه الأوصاف الذميمة، وتصبح ذنوبًا ومعاصيَ.

الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «**أُزرَةُ الْمُؤمِنِ إِلَىٰ نِصفِ سَاقَيهِ**» أو: «**إِلَىٰ أَنصَافِ سَاقَيهِ**»[1] -صلوات الله وسلامه عليه-.

ورأىٰ عبدَ الله بن عمر ﷺ وقد استرخىٰ إزاره، فقال: «**ارفَع ثَوبَكَ يَا عَبدَ اللهِ**» فرفعه، ثم قال: «**ارفَعهُ**» فرفعه، فقيل: إلىٰ أين؟ قال: «**إِلَىٰ نِصفِ**

(١) أخرجه النسائي (٥٣٢٩) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٣٤).

السَاقَينِ»(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ جَرَّ الثَّوبِ مِنَ المَخيلَةِ»(٢)، فمجرد جر الثوبة من المخيلة.

فالرسول -عليه الصلاة والسلام- حذرنا، وقال: «مَا أَسفَلَ مِنَ الكَعبَينِ مِنَ الإزَارِ فَهُوَ فِي النَّارِ»(٣).

وقال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنظرُ إِلَيهِم يَومَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزكِيهِم، وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَن هُم خَسِرُوا وَخَابُوا؟ قَالَ: فَأَعَادَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، قَالَ: «المُسبِلُ، وَالمُنَفِّقُ سِلعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ -أَوِ: الفَاجِرِ-، وَالمَنَّانُ»(٤).

فأنا أعتقد أن كثيرًا من الشباب الذي يفصلون ثيابهم تحت الكعبين فإن هؤلاء قد يصدق عليهم هذا الحديث، فنحذرهم.

وعلىٰ كل حال هناك تفصيل مثلًا فيما يجوز، وفيما يحرم، وما هو السنة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤)، ولفظه: «...وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة...»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٩)

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللباس ثلاثة أنواع: نوع هو مندوب وسنة، وهو: إلىٰ منتصف الساقين. ونوع جائز، وهو: ما فوق الكعبين. ونوع محرم، وهو: ما نزل عن الكعبين.

علىٰ كل حال، هذا البلد -ولله الحمد- قام علىٰ الكتاب والسنة، وليس هناك داعٍ أبدًا إلىٰ أن نسبل ثيابنا ليقبل الناس دعوتنا، فهذا من الحيل علىٰ دين الله -تبارك وتعالىٰ-، ومن التلاعب بسنن رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، أن تسبل إزارك لتدعو الناس، ما شاء الله! لا يستجيب الناس دعوتك إلا إذا كان ثوبك مسبلًا كثوب المرأة؟! من قال هذا الكلام؟!!

ولله الحمد، نحن نرىٰ الدعوة مقبولة، الشيخ ابن باز قميصه إلىٰ نصف ساقيه والناس يقبلون دعوته، والمشايخ عندنا -ولله الحمد- ثيابهم ليست ثياب مخالفة -إن شاء الله- ودعوتهم مقبولة، وما رأينا الدعوة أبدًا تتوقف علىٰ جر الإزار، فهذا من الحيل والتلاعب الذي لا يليق بإنسان يقول مثل هذا الكلام.

ولكن علىٰ كل حال كل فعل مخالف لشرع الله لابد أن ينتحل له هؤلاء المخالفون الشبهات ويسوغوا له هذه المخالفات، وليس التقصير من ثياب الشهرة، ثوب شهرة هو الملفت للنظر في شكله عندك ثوب أصفر عند ثوب أزرق.

فعلىٰ الناس أن يرجعوا إلىٰ السنة، إذا كان ثوبك يشبه ثيابهم تفصل

مثل ما فصلوا، الفرق أنهم هم مسلمون وأنت علىٰ السنة، فعلىٰ هؤلاء الذين خالفوا السنة أن يرجعوا، وليس هو ثوب شهرة.

س: ما حكم الذهاب لأفغانستان هذه الأيام؟

الجواب: أنا أرىٰ أن في هذه الأيام لا يجوز أن يذهب أحد إلىٰ أفغانستان؛ لأنه بين أمرين:

إما أن يشارك في قتل المسلمين بعضهم بعضًا، وإما أن يذهب إلىٰ وكر من الأوكار التكفيرية، فيعلمونه كيف يكفر المسلمين، وعلماء الإسلام، فهو يذهب إلىٰ فتنة لا شك، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧].

س: هل الموازنات في نقد الأشخاص من منهج السلف؟

الجواب: منهج القرآن والسنة والسلف الصالح لا يعرف شيئًا من الموازنات التي يذهب إليها كثير من الناس، فأنا كتبت في هذا كتابًا استشهدت فيه بالآيات القرآنية وأحاديث نبوية وأقوال العلماء، بل إجماع العلماء علىٰ جواز الجرح دون أي ذكر للتعديل.

فإذا كان الشخص مبتدعًا وخشيت خطره علىٰ الناس فيجب عليك -لا نقول: يجوز، بل يجب عليك- أن تحذر الناس شرَّ هذا المبتدع، إذا كان مجرمٌ يسطو علىٰ الناس قاطع طريق تحذر منه الناس، رجل مفسد، رجل يبيع مخدرات، رجل يسعىٰ في الأرض فسادًا ببدعة أو معصية تخاف علىٰ الناس شره فحذرهم منه، ولو ملأت الدنيا حسناته لا يجوز أن تسكت عن

شره، ويكفي أن تذكر ما يحذره الناس.

ومن الأمثلة: أن فاطمة بنت قيس حينما خطبها معاوية والجهم رضي الله عنهما، قالت: إن معاوية وأبا الجهم خطباني. فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو الجَهمِ فَضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ**» أو: «**لَا يَضَعُ عَصَاهُ عَن عَاتِقِهِ**»(١) كما اختلفت الروايات في ذلك.

فلا شك أن لهذين الصحابيين محاسن كثيرة كثيرة جدًّا، وعلى رأسها صحبتهم لرسول الله ﷺ، وما راح يعدد محاسنهم يقول: والله معاوية عنده وعنده وعنده كذا من الحسنات، وأنت قارني بهذه الحسنات، ثم تختارين وتأخذينه، ربما لو شرع يعدد لها محاسن معاوية لاختارت معاوية، سيلحقها ضرر، إنسان في ذلك الوقت فقير، وقد كتبه الله ملكًا يملك الأمة، ولكن رسول الله لا يعلم الغيب، فنصح بما يعرفه من واقع معاوية، قال: «**إنه صعلوك، وَأَمَّا أَبُو الجَهمِ فَضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ**».

فهل معناه أنه ما عنده إلا الضرب؟ عنده محاسن كثيرة، لكن ما شرع الرسول ﷺ يعدد المحاسن، النتيجة تخرج النتيجة المحاسن إن جانب الخير فيه أرجح بكثير من الجانب الآخر.

فهذا المنهج غير معروف، الذي يقوله كثير من الناس الآن، ويحاسبون عليه الناس، ويعتبرون مخالفته خيانة وغشًّا، ليس الأمر كذلك، مثلًا كتاب

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

فيه بدع تحذر منه تقول فيه البدعة الفلانية، والبدعة الفلانية، ويكفي أن تذكر ما فيه من الشر ولو كان فيه محاسن، ولا يلزمك أن تذكر فيه شيئًا من المحاسن.

وحتىٰ السلف كانوا يرون إحراق هذه الكتب، فضلًا عن ذكرها بالسوء، يذكرونها بالسوء ثم يحرقونها زيادة علىٰ ذلك، إذا كان الكتاب فيه بدعة، أحمد وابن القيم وابن قدامة وغيرهم ذهبوا إلىٰ هذا، كانوا يحذرون من أهل البدع، ومن كتبهم، ومن النظر فيها وإن كانت فيها محاسن، وما يخلو كتاب من المحاسن.

حتىٰ كتب اليهود والنصارىٰ لا تخلو من محاسن، الله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢]، عندهم حق وعندهم باطل، فالله يقول لهم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، عندهم حق وعندهم باطل، ولكن هل يلزمنا مدح كتب اليهود؟!

علىٰ هذا المنهج تأخذ كتابًا ليهودي أو لشيوعي وتأخذ المحاسن التي فيه تأتي بقائمة تقسمها قسمين للموازنة قسم للحسنات وقسم للسيئات علىٰ هذا المنهج، فله من السلبيات وعليه من المآخذ، ويؤدي إلىٰ مفاسد لا يعلمها إلا الله ﷻ .

س: ما حكم من يسمي الحكم بغير ما أنزل الله بالشرك السياسي؟

الجواب: علىٰ كل حال الحكم لله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧].

الحكم بما أنزل الله أمر لابد منه، ولابد للمسلمين أن يلتزموا حاكمية الله، ومن لم يلتزم حاكمية الله فهو كافر، الذي لا يلتزم حاكمية الله فهو كافر، من الأفراد، ومن الجماعات، ومن الحكام، ومن غيرهم.

لكن نرىٰ مع هذا أن الغلو في الشرك السياسي قد أدىٰ إلىٰ إهمال الشرك الأكبر الذي حاربه جميع الأنبياء، وبعث جميع الأنبياء بمحاربته، فأكفر الكفر وأخطر الأخطار الذي يجب أن تسدد إليه كل حركات الدعاة هو الشرك الأكبر هذا.

وإذا ذُكر الشرك في القرآن: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨] فإنما ينصرف إلىٰ هذا الشرك الأكبر، الشرك في العبادة، أن تدعو غير الله، وتذبح لغير الله، وتنذر لغير الله، وتستغيث بغير الله، إذا ذكر الشرك في القرآن فالمراد به هذا.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ هذا الذي يسمىٰ الآن الشرك السياسي هو في اصطلاح القرآن كفر، ومنه كفر دون كفر، فإذا حكم بغير ما أنزل الله انطلاقًا من عدم التزامه بحاكمية الله بألا يرىٰ أن حكم الله حق لازم فهذا كافر كفرًا أكبر يخرجه من ملة الإسلام.

وإذا كان ملتزمًا بشريعة الله ﷻ ويرىٰ أن الحكم لله ﷻ، ويغلبه هواه فيحكم بغير بما أنزل فهذا عنده كفر دون كفر.

وإذا كان يرىٰ أنه بالخيار أن يحكم بما أنزل الله ويحكم بغيره فهذا أيضًا لم يلتزم حاكمية الله فهو أيضًا كافر كفرًا أكبر يخرجه من الملة.

علىٰ كل حال الخطأ في هذا من ناحيتين:

من ناحية أننا نحصر الحكم بغير ما أنزل الله في الحكام، فهذا الشرك الذي يسمىٰ الشرك السياسي ليس خاصًّا في الحكام، فقد يكون في بعض العلماء إذا لم يلتزموا حاكمية الله في العقيدة، ولم يلتزموا حاكمية الله في العبادة، ولم يلتزموا حاكمية الله في الحلال والحرام، وفي جُهال الناس، وفي سائر الطوائف، فهذا الشرك في حاكمية الله ﷻ قد يقع فيه فرد جاهل، وقد يقع فيه مجتمع من المجتمعات، وقد يقع فيه طائفة من الطوائف، وقد يقع فيه حاكم من الحكام.

فتخصيصه هذا خطأ، تخصيصه بالحكام فقط مع الغفلة عن ناس يضاهونهم، وقد يفوقونهم في شرك الحاكمية هذه غفلة كبيرة جدًّا، يجب أن يستيقظوا لها، فكم من مجتمع وكم من طائفة تقع في مخالفة حاكمية الله.

مثلًا العقيدة، له عقيدة يستمدها من غير الكتاب والسنة، فتقول له: تعال نحتكم إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسوله، يرفض الاحتكام إلىٰ الله والرسول ﷺ في هذه العقيدة، فهذا عنده كفر في الحاكمية، وشرك في الحاكمية.

قبل ما نحاكم هذا السياسي قد يكون هناك مدرسة أو مدارس قائمة علىٰ منهج فاسد، يخالف منهج الله في العقيدة وفي العبادة وفي التشريع، فتقول لهم: عندكم ضلالات تشريعية في هذا المنهج، عندكم ضلالات عقائدية في هذا المنهج فارجعوا إلىٰ دين الله الحق.

الطائفة الصوفية عندها خلل عقائدي، وخلل في العبادة، يقال لهم ارجعوا إلىٰ الله، ارجعوا إلىٰ الكتاب والسنة فإذا قالوا: لا نحتكم إلىٰ كتاب الله ولا إلىٰ سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ترفض حاكمية الله في العقيدة وفي السلوك في الأخلاق في العبادة، فيكون عندهم هذا الشرك في الحاكمية. إلىٰ جانب ضلالاتهم العقائدية.

فهناك غفلتان: الغفلة الأولىٰ في التركيز علىٰ الحاكمية، ثم إغفال الشرك الأكبر والبدع وغيرها من الانحرافات، فقد ضيعوا وأهالوا التراب علىٰ الشرك الأكبر في العبادة الذي بعث جميع الأنبياء لمحاربته، أغفلوه وتهاونوا به، وقالوا: شرك ساذج! وبعضهم لا يراه شركا.

وهذا أمر خطير يؤدي إلىٰ احتقار الأنبياء وما جاءوا به، بل إلىٰ احتقار منهج الله -تبارك وتعالىٰ-، فإن الله هو الذي يختار الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ويصطفيهم، ويحملهم هذه الرسالة، اذهب يا نوح وحارب ودًّا وسواعًا ويغوث ونحوها، هذه الأصنام حاربها، فظل ألف سنة إلا خمسين عامًا يحارب هذه الأصنام.

فإذا كان عندهم أدلة علىٰ أن نوحًا كان علىٰ هذا المنهج السياسي فليأتوا بها، أنه كان يصارع علىٰ الكراسي، كان يصارع في توحيد العبادة ألف سنة إلا خمسين عامًا.

وكذلك إبراهيم دعا ودعا وناظر وجادل وجادل وجادل، ثم أخذ معوله وشرع يهدم هذه الأصنام، وما صارع الحاكم يومًا من الأيام علىٰ الكرسي.

حاكم كافر يعبد الأصنام تأتي تنازعه في الكرسي هذا سفه، تعال علمه توحيد العبادة، أخرجه من شرك العبادة، وبعد ذلك أخرجه من الشرك السياسي، والحكم لله -تبارك وتعالىٰ-، أنت وحدك عرفت الله، عرفت كيف تعبده نعم، هذا منهج الله، بقي عليك الآن أن تحكم بالإسلام ، تأتي بتشريع الله وتطبقه، فإذا أصر علىٰ الحكم بالقوانين الكافرة التي ورثها عن أجداده وقال: ورثته عن آبائي وأجدادي، وأبىٰ حينئذٍ، نكفره الكفر السياسي الذي يقوله هؤلاء.

فدعوة الناس، الأفراد والجماعات أول ما تدعو إذا جئت مجتمعًا يحكم بغير ما أنزل، وعنده شرك وبدع وخرافات بماذا تبدأ؟ ابدأ بإصلاح عقائد الناس، لأن الناس ما كلهم حكام، جل الناس ما لهم علاقة بالحكم، وقد يكون مع علاقتهم بالحكم كراهة هذا الحكم، فالتسعة والتسعون بالمئة يكرهون هذا الحكم، ويكرهون هذه القوانين، لأنه لابد أن تكون جائرة، ولابد أن تكون

ظالمة، ولابد أن تكون هذه الشعوب تعاني من هذه القوانين الجائرة، فليسوا مسئولين عن هذا الظلم، هم بودهم أن يتخلصوا منه، فما ذنبهم .

فابدأ بهؤلاء، ثم تبدأ بالحاكم أيضًا تصلحه، تصحح فيه توحيد العبادة، وتطهره من شرك الأوثان، الشرك في القبور الشرك في العبادة، ثم بعد ذلك تنتقل إلىٰ تطهيره من الشرك السياسي.

فالخلل الأول هو في إهمال دعوة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ورميها بأنها ساذجة، وترك الناس يتخبطون في ظلمات الشرك والجهل، ثم تتشاغل بالحكام، ثم لا تعود علىٰ الأمة بشيء، لا تستطيع تخلص الأمة، ولا تستطيع أن تنحي هذا الحاكم عن كرسيه، ويبقىٰ الناس علىٰ شركهم وعلىٰ ضلالهم وبدعهم، ثم تقدح في أذهان الناس أن هذا هو الشرك الأكبر!

وهذه مغالطة، الشرك الأكبر إنما هو هذا الذي بعث الله الأنبياء، لمحاربته وتطهير الأرض منه فلماذا لا تسلكون سبيلهم وتنهجون نهجهم.

الشرك الذي حاربه الأنبياء هو أخطر الأخطاء وليس ساذجًا، بل هو أمر فظيع عظيم لا أعظم منه في عالم الجرائم والذي قال الله في شأنه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. فلماذا تضربون صفحا عن محاربته.

س: ما حكم شرب الدخان واللعب بالورق؟

الجواب: أما الدخان فقد كتب فيه العلماء الكثير، وقال فيه الأطباء كلمتهم وبينوا أضراره، وأضرارُه تفوق الخمر.

الخمر قال الله فيه: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة:٢١٩]، فالله بين أن فيهما إثمًا كبيرًا فادحًا، وفيهما منافع للناس، ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ حرِّما لأن إثمهما أكبر من النفع.

أما الدخان فهو شر محض لا خير فيه، وضرر محض لا خير فيه، والأضرار التي تنجم عنه أشد من الأضرار التي تنجم عن شرب الخمر، فلماذا لا نقول بتحريمه؟ فهو حرام لا شك فيه، وإذا كان حرامًا فلا يجوز بيعه ولا شراؤه.

أما اللعب بالورق إن كان من باب القمار فهذا قمار، لا شك ينطبق عليه قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾، فالميسر هو القمار، وإن كان لعبًا عاديًّا فإذا كان يضيع الوقت ويضيع الصلوات فهذا إثم أيضًا، ويجب الابتعاد عنه، وغالبًا ما يضيع الوقت، ويؤدي إلىٰ الشتم، ويؤدي إلىٰ الضغائن، فيكون محرمًا.

س: يسألني هذا يقول: ذهبتَ إلىٰ الجهاد الأفغاني، ورأيتَ ما قلتَ؟

الجواب: أقول: نعم، رأيته، وسمعته، وقرأت وأنا هناك، فالتكفير هذا

شيء مشهور معروف، له أوكار كثيرة، كثير من شبابنا يذهب إلىٰ هذه الأوكار، فيعلم، ويغسل دماغه، ويغرس فيه تكفير العلماء، مثل الشيخ ابن باز وإخوانه من حملة المنهج السلفي، هذا شيء معروف.

وأنا قرأت خطابًا موجهًا لأسامة بن لادن: كيف تقاتل في هذا البلد بلد الحشيش والأفيون وتترك الجهاد في الحرمين؟! الجهاد هناك في الحرمين! لماذا؟ لأنهم كفار، وسمعنا بهذا بما زاد عن التواتر.

وأنا كنت ألقي محاضرة، وجاءتني الأسئلة، فالأسئلة كلها تدور حول هذا البلد، وحول تكفيره، وحول الطعن فيه، فقلت: اتقوا الله يا شباب، ما عندكم إلا هذا البلد، هذا آخر معقل للإسلام.

وكل الأسئلة تنهال عليه، فما ذنب هذا البلد؟! عنده أخطاء، ولكنه واللهِ هو معقل الإسلام الأخير، لايسألون عن إيران، يسألون عن كذا وكذا، واللهِ ما جاءني سؤال آخر.

فطبعًا يذهبون لأناس يخربون عقولهم، فوالله يجب أن نحافظ علىٰ أولادنا، لتسلم عقائدهم، والفتنة كما قال الله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧]، هذه فتنة والله.

* * *

[أسئلة رسالة: «علم الكتاب والسنة وأثره في الأمة»]

س: كره بعض الصحابة والأئمة كمعاذ، وحذيفة، ومالك طلب الدعاء من الآخرين، فما هو الجمع شيخنا بينهم وبين ما قرره العلماء من جواز طلب الدعاء من الرجل الصالح، والتوسل -كذلك- بدعاء الرجل الصالح، وحديث عمر في «صحيح البخاري»؟

الجواب:

أولًا: النصوص الشرعية ليس فيها تعارض، فالصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا إذا احتاجوا إلى الدعاء من النبي ﷺ طلبوا منه الدعاء، فيدعو -عليه الصلاة والسلام-، كما في الأحاديث التي وردت في الاستسقاء، فكانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يستسقي لهم، فيستسقي -صلوات الله وسلامه عليه-[1].

وقد سأل رجلٌ أنسَ بنَ مالك ﷺ أن يدعو له فقال: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة».

(١) أخرجه البخاري (١٠٢٣)، ومسلم (٨٩٤) من حديث عبد الله بن زيد ﷺ.

كثير من الناس أصبحوا يتعلقون بمشايخ، فلا يكفُّون عن طلب الدعاء منهم صباحَ مساءَ، ويفرح هؤلاء الشيوخ الجهلة بتعلق الناس بهم، فيدعون كما يريد من يطلب منهم الدعاء، بل قد يتوسعون فيدخلون في الشركيات وفي البدع والضلالات.

فالعالم الحكيم إذا سئل الدعاء يدعو، لكن لما يرىٰ التهافت ويرىٰ الغلو فيه فعليه أن يزجر الناس، ويقول لهم: أنا لست بنبي حتىٰ تطلبوا مني الدعاء لست أنا الوحيد، فتخصوني بهذا الطلب .

علىٰ كل حال الإنسان يدعو للمسلمين، ويدعو لإخوانه الأحياء والأموات، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

ويرقي الرقية الشرعية في الحدود الشرعية علىٰ الطريقة النبوية، لا علىٰ طرق الرقىٰ الموجودة الآن، والراقين المتأكلين بكتاب الله وبسنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وإذا احتيج إليه في الدعاء، في الاستسقاء وغيره يدعو، لكن إذا رأىٰ الناس تفسد عقولهم وعقائدهم، فعليه أن يبين لهم النهج النبوي من الابتعاد عن الغلو، ومن الإسراف في التعلق بالأشخاص. هذا ما أجيب علىٰ هذا السؤال.

س: ما حكم بيع أو الاشتغال بإصلاح الأجهزة التي لها استعمالات مباحة وأخرىٰ محرمة كالمذياع وغيره بارك الله فيكم؟

الجواب: علىٰ كل حال: الذي يشتغل فيها يجب أن يكون نبيهًا، ويميز بين من يستغلها في طاعة الشيطان، ومن يسخرها في طاعة الرحمن، فمن يرىٰ أنهم يستخدمونها في سخط الله وطاعة الشيطان فلا يتعامل معهم، ولا يصلح له، ومن يرىٰ أنه يستخدمها في طاعة الله أو فيما أباحه الله له فقط فيتعاون معه.

لأنك إذا كنت تعرف أن هذا الشخص يستغل هذا الجهاز في أمور محرمة في الكمبيوتر، في التلفزيون -نستغفر الله- في التطلع إلىٰ العورات، والنساء العاريات ، والخلاعات، وما شاكل ذلك من المخالفات فلا يتعامل معه، لأن هذا من التعاون علىٰ الإثم والعدوان.

وقد سأل رجل الإمام سفيان الثوري قال له: إني أخيط ثياب السلاطين، فهل تراني من أعوان الظلمة؟ فقال له: «أنت من الظلمة، ولكن من أعوان الظلمة من يبيع منك الإبر والخيوط»[(١)].

فالقاعدة الشرعية في الإسلام: أن المشروع لك أن تتعاون مع الناس مع المؤمنين علىٰ البر والتقوىٰ، ولا تتعاون معهم علىٰ الإثم والعدوان، «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيهِ»[(٢)].

و: **«لَعَنَ رَسُولُ اللهِ فِي الخَمرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا وَمُعتَصِرَهَا وَبَائِعَهَا**

(١) انظر: «موارد الظمآن لدروس الزمان» للشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان (٤/ ١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

وَحَامِلَهَا وَالمَحمُولَةَ إِلَيهِ..»[1]؛ لأن هذه الصور كلها من التعاون على الإثم والعدوان.

فالمسلم الذي يراقب الله -تبارك وتعالى- لا يتعاون مع أحد على إثم أو عدوان أبدًا، وإنما يتعاون بالتقوى، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفق الله الجميع للتمسك بالكتاب والسنة واتباع الحق، إن ربنا لسميع الدعاء، ونكتفي بهذا القدر في هذا اللقاء الطيب -إن شاء الله- النافع، أسأل الله أن يكون نافعًا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (١٢٩٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٥٧): حسن صحيح.

[أسئلة رسالة: «مرحبًا يا طالب العلم»]

س: ترد إلينا كثير من المجلات التي فيها من البدع والخرافات، والدفاع عن أهلها، ويدَّعون أنهم سلفيون، وعجبي أن أبناء بلادنا يتهافتون عليها، كمجلة «السنة»، ومجلة «البيان»، وكثير من هذه المجلات التي تغرر بأبناء السلف الموحدين، فتنعكس النتيجة عليهم، فما رأيك بذلك؟

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله.

وبعد:

فنحن نعيد الكَرَّةَ في نصح أبنائنا أن يطلبوا العلم الشرعي النافع من كتاب الله ومن سنة الرسول ﷺ، ومن عقائد السلف وفهمهم، أما قومٌ يأوون إلىٰ معسكرات الكفر، ويحاربون قلعة الإسلام الأخيرة من هذه المعكسرات فينبغي ألا يُؤمَن هذا الصنف علىٰ دين الله -تبارك وتعالىٰ-، ويجعل منه قدوة.

فكفاه شرًّا أنه أوىٰ إلىٰ معكسر الكفر، يحارب علماء الإسلام، ويحارب خير طائفة علىٰ وجه الأرض، يشوِّه علماءها وعلمها ومنهجها، ثم تنطلي حِيَلُه علىٰ كثير من أبنائنا المخدوعين، فنقول لهم: علىٰ مَهلِكُم، تعقلوا، من أين يصدق

أن بريطانيا تحب الإسلام، وتريد أن يعود للإسلام مجدُه، وتعود للإسلام سيادتُه، وتريد أن تقوم خلافة إسلامية علىٰ يد أو أيدي مثل هؤلاء السفهاء؟!!

واللهِ لو وجدت فيهم نصحًا لله وصدقًا في الإسلام ما آوتهم، ولكنهم يكيدون للسنة والدين باسم السنة.

فهذه مجلة «السنة» -خاصة- هي مجلة البدع والضلال، وتدعو إلىٰ الفتن والشر، وتدعو إلىٰ هدم آخر قلعة من قلاع الإسلام.

فيا إخوتاه إن كنتم تحرصون علىٰ ما أنعم الله به عليكم من دين صحيح وعقيدة صحيحة ومناهج صحيحة لا توجد إلا في هذا البلد، فينبغي ألا تقبلوا مثل هذا الدجل، وهذا الكيد، وهذا المكر، وكونوا فوق هذا المستوىٰ ذكاءً وإدراكًا ووعيًا لمكايد الأعداء.

فالذي يكيد لك لا يكشف لك عن مقاصده، ولا عن حقيقته، ولكنه يلبس لك لباس الإسلام، كما لبس بذلك ابن سبأ والمختار بن أبي عبيد وأبي مسلم الخراساني وعبيد الله الشيعي و... وعلي بن فضل ومصطفىٰ أتاتورك وأمثال هؤلاء، إذا أرادوا هدم الإسلام يلبسون له لباس الإسلام، ويقتلون الإسلام بسيف الإسلام، فكونوا أذكياء، لا تكونوا أغبياء، يقودكم الأعداء إلىٰ تدمير وتخريب بيوتكم بأيديكم، وتدمير عقائدكم بأيديكم.

فأنا أكتفي بهذا التنبيه علىٰ مثل هذا السؤال، نصحًا لكم واللهِ، وهاتوا عالمًا مشهورًا بالخير والفضل بعيدًا عن الفتنة يحترم هذه المجلة، أو يحترم

صاحبها وأمثاله، اسألوا الشيخ الألباني، واسألوا الشيخ ابن باز، واسألوا الشيخ ابن عثيمين، علماء الأمة، والفوزان، وأمثالهم، فإذا أيدوا ومدحوا هذه المجلة وصاحبها، فأقبلوا عليها، وإن قدحوا فيها وفيه، فإن كنتم تقبلون النصح وتحترمون دينكم وعقائدكم فاسمعوا نصائح هؤلاء، وإن كنتم إنما تتبعون الأهواء وأهل الأهواء فهذا أمر ليس لنا فيه حيلة، إلا أن نلجأ إلىٰ الله، ونبرأ إليه أن ينقذ هذه البلاد وأهلها من مكايد هذه الأصناف الماكرة التي تلبس لباس الإسلام، وتهدم الإسلام بمعول يسمىٰ الإسلام!

س: أسألك بالله يا شيخ: هل تنصحني بالانضمام مع جماعة الإخوان المسلمين في هذا البلد، وإعطاء البيعة لأمرائها؟ ما هي نصيحتك للشباب؟ وعن جماعة التبليغ أيضًا.

واللهِ إن سألتني بالله فسأمحض لك النصح -إن شاء الله-، ومن منطلق المعرفة بهذه الجماعة خاصة الإخوان المسلمين.

الإخوان المسلمون اقرءوا بدايتها ونهايتها، انظروا كيف قامت وكيف انتهت، دعوة الإخوان المسلمين دعوة قامت علىٰ تجميع الناس علىٰ الباطل، وعلىٰ العقائد الفاسدة، وعلىٰ المناهج الخبيثة.

فمنذ أول يوم فتحت مراكزها فتحتها للروافض، والخوارج، وغلاة الصوفية، وللنصارىٰ، ومنذ نشأتها كذلك، واستمرت إلىٰ يومك هذا علىٰ ارتباط وثيق بالروافض، وروادُها صوفية، وعلىٰ أخوة ومحبة للنصارىٰ،

ويصدعون بهذا في كتبهم وفي مجلاتهم، فهؤلاء شهدوا علىٰ أنفسهم، نحن ما نعرف هذا واللهِ إلا من كتبهم، وعن طريقهم.

فهل ترضىٰ أيها المسلم أن تكون واحدًا من هذه الجماعة التائهة المتحيرة الضالة، التي هي مجمع كبير للضلالات، والمناهج الفاسدة، والعقائد الضالة؟!

هذه حقيقتها، وهذا ما صرَّحوا به في كتبهم وفي مجلاتهم، و«مجلة المجتمع» عندكم مجلة الإخوان المسلمين ولسان حالهم، تصرح بالدعوة إلىٰ أخوة النصارىٰ، وهذا يوسف القرضاوي مُنظرهم الكبير يقول: النصارىٰ إخواننا، ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف:٦٥] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف:٧٣]، فأنا أقول: النصارىٰ إخواننا مثل ما قال الله في هود وصالح!!

رأيتم الدجل والتضليل، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة:٥١].

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة:٢٢]، فلا تجد مؤمنًا يقول: النصارىٰ إخواننا. إذا قال: إخواننا. هو منهم.

نوح أخو قومه في النسب، هود أخو قومه في النسب، أنا وأنت ابن فلان تقول: هذا أخي. هو كافر وأنا مسلم أقول: أخي. أي في النسب، فنوح

أخو قومه في النسب، وصالح كذلك. أنت أخوتك في ماذا، تقول: إخواننا؟ أنت عربي وهم أقباط ورومان وكذا، ليس بينك وبينهم نسب، إخوتك في الدين؟ فأنت رضيت أن يكون هؤلاء إخوانك في الدين.

ولهذا كما قامت دعوة الإخوان المسلمين علىٰ مبدأ «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، هذه وضعت لكل من يقول لا إله إلا الله من الروافض والإسماعيلية والقاديانية وغلاة وحدة الوجود من الصوفية والخوارج، وصرحوا بهذا، وقامت دعوتهم عليها، ولا تزال إلىٰ يومك هذا علىٰ هذا المذهب.

البنا كان يشارك النصارىٰ في بناء الكنائس، وله أخدان وأصدقاء ومجلس شورىٰ منهم، ويقضون في كنائسهم، يحاضر، راح إلىٰ الجنوب في إحدىٰ عشرة كنيسة يحاضر، البنا ماذا يقول؟ يؤاخي بين النصرانية والإسلام، فيخرج النصارىٰ يصفقون له، أخونا أخونا!!

هكذا يميعون الإسلام، ويفسدون عقائد الإسلام، وليس لهم خصم إلا الدعوة السلفية الدين الصحيح، فمن يريد أن ينضوي إلىٰ خصوم الحق فلينضو إلىٰ هؤلاء!

أو جماعة التبليغ الذين يبايعون علىٰ أربع طرق صوفية، فيها الحلول، ووحدة الوجود، والشرك الأكبر، فيها كل البلايا والطوام، أربع طرق جمعت الشر بحذافيره، فماذا تستفيد منهم؟ فاقد الشيء لا يعطيه. وهم يأتون إلىٰ

أبناء التوحيد الذي عنده نوع توحيد يضيعونه عليه، يجعلون منه خصمًا لأهل التوحيد ويجعلون منه جنديًا منافحًا عن أئمة الضلال والبدع، ماذا تريد منهم؟

لا يدرِّسونك كتاب توحيد، ولا يدرِّسونك العقائد الصحيحة، ولا يفسحون المجال لمن يريد أن يتعلم، وهم ضد العلم، وضد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل الإيجابيات الإسلامية دمروها، ولهذا تجد رءوسهم الكبار من دهاة السياسة، وصغارهم أتباعٌ جنودٌ فقط، فتجد أصحاب هذه الجماعات يدخلون إيران-آمنين- ، إخوانهم.

واللهِ يحكي لنا ناس من أهل السنة يقول: لنا أقارب وأرحام بعيدون عنا في بعض القرىٰ ما نستطيع أن نصل إليهم إلا إذا جاءت جماعة التبليغ، واندس فيهم، ويصل إلىٰ أصدقائه في المساجد، ويتكلمون ويتكلمون أبدًا لا يحرك كلامهم أي ساكن، يتكلمون في بلاد النصارىٰ ما يحركون أي ساكن، يتكلمون في بلاد الشيوعيين، في بلاد اليهود ما يحرك أي ساكن، هل هكذا دعوة الأنبياء؟

الرسول ﷺ لما قام يدعو عاداه عمه أبو لهب، وابن عمه أبو جهل وعادوه، ونوح عاداه قومه، وعاداه ابنه وزوجته، وكذلك الأنبياء كان يعاديهم أقوامهم، فهذه دعوة إلىٰ الحق وصدع بالحق، فلابد أن يواجه الأعداء من شياطين الإنس والجن، هؤلاء لا يواجهون أحدًا، هذه دعوة ماذا؟ دعوة أنبياء؟ هذه دعوة ضلال -والعياذ بالله-.

أنا أعطيكم ترجمة صاحب الطريقة النقشبندية هنا واحد اسمه عبد الرحمن دمشقية كتب كتابًا عن الطريقة النقشبندية وعن صاحبها، أولًا: عندهم الشرك، وحدة الوجود، والحلول، وادعاء علم الغيب، والتصرف في الكون، عندهم هذه الطريقة النقشبندية، والطرق الأخرىٰ كذلك.

فيقول في صاحب الطريقة النقشبندية: إنه كان أستاذه يوجهه إلىٰ الاهتمام بالكلاب، برعاية الكلاب، فكان يرعىٰ الكلاب ثمان سنوات أو أكثر، ثم قال له: عليك بكلاب أهل الحضرة. فذهب يرعىٰ كلاب أهل الحضرة، وكان يتأدب معها غاية الأدب، كلاب الصوفية عندهم في عهدهم يتأدب معها.

قال له شيخه: إن الله سيحقق لك الخير علىٰ يد كلب من هذه الكلاب، فكان ينتظر متىٰ ينزل هذا الخير، ففي يوم من الأيام رأىٰ كلبًا مستلقٍ علىٰ ظهره رافعًا يديه إلىٰ السماء يحن ويئن ويبكي.

فقلت هذا بداية طلب العلم، في احترام الكلاب، ورعاية الكلاب، وأدب العلم مع الكلاب، وانتظار الخير أن يحققه علىٰ يد الكلاب.

ثم دخل في متاهات أشد من هذه، في الكفر والإلحاد، هذا هو إمام الطريقة النقشبندية!

والآخرون لا يقلون عنه شرًّا في التخبط في ظلمات الجهل والكفر، أي خير يُنتَظر من هؤلاء الذين لا يقنعون بطريقة واحدة في البيعة، بل يبايعون

علىٰ أربع طرق؟ العرب لا يبايعونهم، لكن يتخذون منهم عبيدًا وخونة وجنودًا، لأن العرب ممكن مهما ضل لا يمكن أن يبايع علىٰ طريقة هذا الكفر، فيتخذونه جنديًّا، وعبدًا خادمًا له، ينافح ويكافح عنهم، ويخاصم أهل السنة من أجلهم، ويوالي فيهم ويعادي، هذا يكفيهم.

أما العجم فهم يدرسونهم في كتاب «تبليغي نصاب»، وفيه من الضلالات، والشرك، والكذب علىٰ الله ورسوله ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، يربونهم علىٰ هذا، يربونهم علىٰ الطرق الصوفية، ثم إذا وثقوا بهم أدخلوهم في الطرق الباطنية والبيعة علىٰ هذه الباطنية.

فأنا أنصح -ما دمت استنصحتني- أنصحك أنك تلزم علماء السنة والتوحيد، وتتعلم منهم العلم الشرعي علم الكتاب والسنة، وفقه السلف، وعقائد السلف الصالح، ومنهجهم، ونعني بالسلف: الصحابة والتابعين وأئمة الهدىٰ ومن سلك سبيلهم، مثل: أحمد بن حنبل، والشافعي، ومالك، والأوزاعي، والثوري، والبخاري، ومسلم، وغيرهم من أئمة الإسلام، فتعلم من هؤلاء هذا المنهج، إن أردت لنفسك الخير، وإن لم تقبل نصيحتي فالحكم لله العلي الكبير.

فهذه نصيحتي لك ولغيرك.

س٣ هذان سؤالان متغايران نطرحهما علىٰ فضيلة الشيخ، ليتولىٰ الإجابة وإزالة اللبس: فالأول منهما يقول السائل: تورط كثير من الشباب في التعلم علىٰ الكتب الفكرية، طلبًا للعلم والأجر، لاسيما كتاب «الظلال»،

لسيد قطب، حيث يوصي الشباب بعضهم بعضًا علىٰ الأخذ من هذا الكتاب.

والآخر نقيضه يقول: لقد كَفَّرتَ الداعية إلىٰ الله: سيد قطب، وحذرت من كتبه خاصة «تفسير ظلال القرآن»، وهذا شيء خطير أن يصدر من شيخ يدعي أنه سلفي وصاحب تقوىٰ مع العلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السؤال الأول، نعم يقول: كثير من الشباب تورطوا في دراسة الكتب الفكرية، مثل: «الظلال»، و«المعالم»، و«العدالة»، وما شاكلها من كتب الإخواني المودودي، ويرون أنها هي العلم النافع، وأن الأمة لا تنهض إلا بهذه الكتب، وما حوتها من أفكار ومناهج، ولا يستطيع الإسلام والمسلمون أن يواجهوا الغرب، الآن القوي بالسلاح الفكري، والسلاح الحربي الناري إلا بهذا الفكر العظيم العملاق الذي لا يوجد عند أهل السنة، مثل: أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ، هؤلاء لا يوجد عندهم شيء، وعلومهم قديمة!!، وانتهت عصورها، وبعضها كتب لعصور قديمة!

أما أفكار ومناهج هؤلاء ففيها تحديات، وفيها مواجهات فلا تجدها إلا عند هؤلاء العماليق!

هكذا يصور لهم، لكن نحن ننظر إلىٰ هذه الكتب لا بالعواطف ولا بعقول غيرنا، إنما ننظر إليها من خلال نصوص الكتاب والسنة، ومن خلال مناهج السلف وعقائدهم، فلو وجدناها تتمشىٰ مع كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ومع

عقائد السلف ومناهجهم والله لرفعناها فوق رءوسنا، ودفعنا إليها الشباب دفعًا، إذ لو كانت تنفع الإسلام والمسلمين، وتمثل الحق واللهِ لكنا أول من يهتف بالناس إليها، ويشجعهم علىٰ دراستها.

ولكننا وجدنا مثل «الظلال» و«العدالة» و«التصوير الفني»، وجدنا في «التصوير الفني» تعطيل الصفات، وجدنا السخرية بموسىٰ ﷺ والطعن فيه، وجدنا اللعب بالقرآن، وتحويله إلىٰ فن وموسيقىٰ و.. إلخ، و«الظلال» هذا قاعدة هذا الكتاب، و«الظلال» بني علىٰ هذه النظريات تقريبًا و.... أخرىٰ في هذا التفسير.

فقد يكفيك تكفير الأمة، دعوة حارة إلىٰ التكفير، تكفير المجتمعات حكومات وشعوبًا، واعتبارها مجتمعات جاهلية، يكفرها في سورة البقرة، وفي سورة آل عمران، وفي سورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الأنعام، وفي الأنعام يحكم عليهم بالردة الصريحة وقد أعلنوا شهادة أن لا إله إلا الله علىٰ المآذن، فإنهم مرتدون وأشد عذابًا عند الله من الكفار الأصليين!! هكذا صرَّح بردة الأمة!

وفي سورة يونس وفي سورة يوسف كفرهم، واعتبرهم مجتمعات جاهلية كافرة لا يجوز أن يطبق فيها الإسلام، ما يجوز ولا يصلح، لأن تركيبة القرآن وضع لتركيبة من البشر غير التركيبة الموجودة، فمن الخطأ ومن الضلال أن ننادي بتطبيق الإسلام في هذه المجتمعات!! وفي سورة يونس حكم علىٰ مساجد المسلمين بأنها معابد جاهلية!

أين العدل والإنصاف؟ سيد قطب يكفِّرهم، نحن لا نكفِّره، والله لو كفرناه لكان يجب أن تلتمسوا لنا العذر، لأنه كفَّر الأمة، وطعن في الأنبياء، وطعن في الصحابة، وكفَّر بني أمية، لم يعترف بإسلامهم، طعن في الصحابة، لم يمدح إلا أبا بكر وعمر وأبا ذر وعليًّا ﷺ، لماذا؟ لأنهم في نظره اشتراكيون، هو لا يصرِّح بالاشتراكية، لكن يقررها بأسلوب في غاية الدهاء، فهم بكونهم اشتراكيين يمدحهم.

أما عثمان وأمثال عبد الرحمن بن عوف والمقداد وفلان وفلان والزبير .... الأرستقراطيون والرأسماليون والغطائيون، ويمدح تلامذة ابن سبأ ويفضلهم علىٰ عثمان، ويشتق عن فعل عثمان مطاعن كثيرة جدًّا، منها: أنه تحطمت روح الإسلام في عهده، وتحطمت أسس الإسلام في عهده، وأسقط خلافته، وهذا في كل طبعات «العدالة» من أولها إلىٰ آخر الطبعات، ليس في طبعة واحدة فقط، وحتىٰ في الطبعة الخامسة عندي مدح ثورة القرامطة واعتبرها إسلامية ولم يتكلم علىٰ الروافض والباطنية طول حياته وفي كتبه، ما مسهم من قريب ولا من بعيد، وصب جام غضبه علىٰ هذه الأمة من الصحابة ... نبي الله موسىٰ ﷺ، ويسخر من آدم ﷺ، ويطعن في بني أمية ولا يعترف بإسلامهم، ويكفر الأمة.

لا تحاسب هذا الرجل؟! وتتباكىٰ عليه؟! وتلومني علىٰ دفاعي عن الحق، وعن العقائد الصحيحة، وعن المناهج الصحيحة التي هدمها سيد قطب؟!

باللهِ هل ينتظر من هذا الخير الذي يرىٰ كل هذه الأمة تُهدم، وأصولها وعقائدها تُهدم، ويطعن في صحابة خيار هذه الأمة، يطعن فيهم، ويكفر بعضهم، بل لا يعترف بإسلام بني أمية؟! وأنا اكتشفت كتابًا من قريب يرمي معاوية وعمرو بن العاص بالكذب والخيانة والغش والنفاق والخداع وشراء الذمم و.. إلخ، ويرمي معاوية بابن الكافرية، ولا يعتبر فتوحاتهم شيئًا، وإن اتسعت دولة الإسلام، واتسعت رقعة الإسلام فهذا ليس بشيء، لأن روح الإسلام انحسرت، بل انطفأت، بل خمدت، أو ماتت هكذا .... هذه الفتوحات العظيمة التي هدىٰ الله بها أممًا عظيمة، ودخلت في الإسلام لا يراها شيئًا.

يا أخي، تلومونني إذا ناقشت هذا الإنسان؟ إذا كان يلام من يناقش سيد قطب ففيمن يقبل النقد والنقاش؟!

يقبل الطعن الظالم الفاجر في أصحاب رسول الله ﷺ، وفي الأنبياء عليهم السلام، ولا يقبل المناصحة والمدافعة عنهم بالحق؟ أي عقل هذا؟! وأي ضمير لهذا الإنسان الذي يتعامل مع من يشوِّه دين الله، ويهدم أمة الإسلام، ويتعامل مع من يدافع عنهم أنه ظالم وأنه لا يتقي الله وأنه.. وأنه..؟

هذا ما نفعه، ما فائدة العلم إذا كنا نسكت عن مثل هذا يا أخي؟

ما فائدة علمك ودينك إذا كان أنت عندك هذه الدياثة الدينية؟ لا تغار علىٰ القرآن، ولا علىٰ السنة، ولا علىٰ الصحابة، ولا علىٰ الأنبياء، أتريدنا مثلك؟

تريدنا مثلك هكذا لا نغار إلا علىٰ سيد قطب الرافضي الذي دعا إلىٰ

وحدة الوجود، وقال بخلق القرآن، ودعا إلىٰ الاشتراكية، وقال بأزلية الروح؟ عنده سبعين بدعة كبرىٰ، سبعين بدعة، كيف يسكت عنه؟!

ثم أنا أرىٰ الناس يوجهونك وأمثالك كالببغاوات إلىٰ اتِّهام ما في هذه الكتب من الضلالات، التي أخفها مذهب الخوارج التكفيري التدميري الذي نرىٰ من آثاره استباحة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

انظروا إلىٰ الشعب الجزائري يُسحق أكثر من الصرب علىٰ يد تلاميذ سيد قطب، خمسون ألف ضحية لأجل ماذا؟ لأجل أن يكون مثلًا لسيد قطب، نجد دولة سيد قطب الذي ما ترك أصلًا من أصول الإسلام إلا دمره وزلزله.

يا أخي، لو عندك دين وعندك عقل اتق الله في عقلك، وفي دينك، اتق الله، لا تقدِّس سيد قطب ولا ترفعه إلىٰ هذا المستوىٰ.

طعن سيد قطب في نبي واحدٍ يكفيه، لإسقاطه، وإهانته، ومعاداته، وبغضه، فقط طعنه في موسىٰ ﷺ يكفي، طعنه في عثمان ﷺ يكفي، تكفيره بني أمية يكفي لإهانته، وإذلاله، وإبعاده، وإسقاطه.

أنا قلت لطالب من هؤلاء القطبيين المساكين: قلت له: ما هو بشر المريسي عندك؟ قال: كان يقول بخلق القرآن. هذا ماذا عنده؟ قال: أعرف أنه يقول بخلق القرآن. قلت له: لقد سقط هذا الرجل عند المبتدعين وأهل السنة ما له قيمة أبدًا هذا الرجل لماذا؟ لأنه قال بخلق القرآن.

والله سيد قطب يقول بخلق القرآن، وقد قال به في عدد من كتبه، ويسمي القرآن صناعة ومصنوع، ويقول: إن الله ما يتكلم، وإن كلامه مجرد الإرادة. ما فيه كلام، وينكر تكليم الله لموسىٰ ، ويقول: إن موسىٰ ما يدري من أي مصدر جاءه الكلام! هذا يؤمن بأن الله يتكلم، لا يؤمن بأن الله يتكلم، ويقول ببدع لا أول لها ولا آخر.

طيب بشر المريسي سقط، رد علىٰ الروافض، ورد علىٰ الخوارج، وسيد قطب ما رد عليهم، بل يحمل أفكارهم، ويحمل راياتهم علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وعلىٰ الأمة الإسلامية. ذاك قال بخلق القرآن فقط وسقط، وهذا يقول في القرآن، ويقول بأزلية الروح -وهي عقيدة خبيثة-، بل في كتابه الأخير «كتب وشخصيات» طعن في الصحابة، ويمجد الفرعونية والحضارة الفرعونية والآثار الفرعونية، ويدعو الشعب المصري إلىٰ تمجيدها واحترامها، ويدعو إلىٰ احترام عقائد الوثنيين الهنود، وإلىٰ تقديسها، والوقوف أمامها خاشعين، عقيدة الفناء في الروح الأعظم.

قال: سيد قطب خلاص، مات، مات سيد قطب، أفضىٰ إلىٰ ما قدم، لكن هذه الكتب لماذا تنشر وهي مليئة بالضلال؟ ضلال بل كفر ليس ضلالًا فقط، أنا لا أكفِّره، لكن هذه كفريات، وأجمعت الأمة أن من ينتقص نبيًّا كفر، وأنا ما كفَّرته، بعض العلماء يكفِّرونه، وفي العلماء الآن من يكفره، أنا لا أحكم عليه، لا أذكر هذا في كتبي ولا في محاضراتي، ولكن أنتظر هذا

الحكم الصريح من العلماء، لأن وراءه أوغاد يكذبون ويفترون علينا، ويُقَوِّلونا ما لم نقل.

ما وجدنا أكذب علىٰ وجه الأرض من أتباع سيد قطب، ما أكذب منهم، ولا أجرأ منهم علىٰ هتك أعراض الأبرياء، واللهِ أكثرُ من الروافض تقيةً وكذبًا، هذه ثمار تربية سيد قطب، أوجدت لنا جيلًا كذابين فجرة، سياستهم قامت علىٰ الفجور، والإفك، والكذب، والدفاع بالباطل عن أهل الباطل، ورمي أهل الحق بالافتراءات الكاذبة.

أنا نقلت كلام سيد قطب بالحرف من كتبه، ما جئت بكلام من الهوىٰ، من كتبه، فلو كنت تعقل وتبصر وتشربت روح الإسلام والعدل واللهِ لثُرت غضبًا علىٰ سيد قطب، بدل أن تثور غضبًا له، اغضب لله، اغضب للأنبياء، اغضب للصحابة، اغضب للقرآن، اغضب للعقائد الصحيحة، ما تغضب لشخص دراسته كلها لفلسفات الغرب، حياته من بدايتها إلىٰ نهايتها تتقلب في الفلسفات الغربية، والأدب الفاسد المنحل، وسَتتّان في النوادي الكنسية يتقلب فيها سيد قطب، ما نادي كنسي شارك فيه إلا وهو عضو بارز فيه، النوادي الكنسية من النصارىٰ، من اليهود، من الشيوعيين، من الماسونيين، سَتتّان يعيش معهم، وهم يشربون الخمور، ويرقصون، وإلىٰ آخره، ماذا يصنع؟!

ثم يعود مجددًا تلميذًا للملحد طه حسين، تلميذًا للعقاد، عضوًا سياسيًّا في حزب الوفد، هذه حياته، صحيفته سوداء، رجع مجددًا يكتب في

«الظلال»، يدوِّن فيه عقائد المعتزلة، وعقائد الزنادقة، وعقائد الصوفية، وعقائد الضلالات، كلها جمعها في كتاب «الظلال»، وحرف معنىٰ لا إله إلا الله، وحرف آيات التوحيد، ما الذي تستفيده؟ ما استفادت منه الأمة إلا دمارًا، أنا أرىٰ ما فيه أضل ولا أخطر من كتب سيد قطب.

فإن كنت يا ولدي تؤمن بالله واليوم الآخر وتوالي فيه وتعادي فيه فتب إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- من هذا الأسلوب، ومن هذه المواقف التي لا تزيدك عند الله إلا بعدًا وخزيًا، لأنك لا تغار لله، ولا تغار لدين الله، وإنما تغار لشخص من أضل وأضل خلق الله، فهنيئًا لك إن أردت الرجوع عن هذا الطريق، وإلا فنسأل الله لك النجاة والخلاص والعافية مما أنت فيه.

س: هنا شبهة عظيمة جدًّا، وبدأ يتلقاها بعض أبنائنا ممن تأثروا بأهل البدع الذين لا يهتمون بالتوحيد، فنرجو توضيحها، وهي أنهم يقولون: نحن ليس عندنا ذبح لغير الله، وليس عندنا استغاثة بغير الله، وليس عندنا قبور يطاف بها.. إلىٰ غير ذلك من العلل. إننا إذا قرأنا في كتب أهل التوحيد نرىٰ أنهم يبوبونَ ويقولون: باب الخوف من الشرك، ويأتي هؤلاء الأئمة بآيات فيها بيان أن الأنبياء يخافون من الشرك، فكيف نرد عليهم، كي يهتدوا إلىٰ الحق، لأن الكثير منهم ملبسٌ عليه، ولو عرف الحق، لرجع واستقام علىٰ دعوة التوحيد.

صحيح، هذا من نعمة الله -تبارك وتعالىٰ-، أن هذه الدعوة السلفية طهرت هذه البلاد من الشرك، وسادت عقيدة التوحيد في هذه البلاد،

واختفت كل مظاهر الشرك بحمد الله ﷻ، وهذه نعمة عظيمة، ومن مفاخر الدعوة السلفية الصحيحة التي لم يضاهها ولم يقاربها شيء من هذه الدعوات.

فالآن مثلًا ننظر إلىٰ دعوة السودان، دعوة الإخوان في السودان، ننظر ماذا عملت؟ هدمت القبور؟ لا، هي تشيدها، هدمت الكنائس؟ لا، لا يجوز بناء الكنائس في السودان، هي تشيد الكنائس، بني في هذا العهد أكثر من أربعمائة كنيسة، هل تحارب الشيوعية؟ الشيوعية دكاترة صرحاء في الجامعات، هل تحارب النصارىٰ؟ تقول: النصارىٰ إخواننا، إذن فيه صراع بينهم فهذا صراع وطني علىٰ الأمن، ليس علىٰ العقيدة!

لم تأت بشيء ينفع الأمة، بل زادت الأمة ضلالًا، فجاءت بالروافض إلىٰ أرض السودان، وما كانوا يحلمون بأن تطأ أقدامهم هذه البلاد، وشجعوا النصارىٰ، وأعطوا لهم برامج في الإذاعة وفي الصحف، حتىٰ واللهِ يقول بعض السودانيين: إن بعض أبناء المسلمين يتمنىٰ أن يكون نصرانيًّا من كثرة تمجيد ومدح النصرانية عبر إذاعة السودان وصحفهم. عرفتم؟

فإذا قارنا بين هذه الدولة الإخوانية وبين هذه البلاد نَجِدُ الفرق الهائل في كل موطن من المواطن الإسلامية، وكل موقع من المواقع.

فعلينا أن نشكر الله -تبارك وتعالىٰ- أن هذه البلاد ليس فيها شرك، فهذا من نعمة الله ثم بالجهود المتواصلة منذ قامت الدعوة السلفية إلىٰ يومك هذا، حتىٰ لو لم يكن للشرك وجود فإنه يجب أن تظل عقيدة التوحيد

تدرس، وتحفظ، ونظل على غاية الحذر من هذا الشرك الذي أول ما يغزو الشيطان بني الإنسان من ثغرته، أول ما يبدأ، بدأ بقوم نوح بشرك القبور، والغلو في الرجال، وقوم صالح، وقوم هود، والأمم كلها يأتيها الشيطان من هذه الثغرة.

فعندنا تجارب نبوية كثيرة جدًّا للأنبياء كلما مات نبي وثب الشيطان وأضل أمته من بعده، كلما ذهب نبي يستغفلهم الشيطان، ويحرفهم عن منهج الله الحق.

فنحن لابد أن نكون في غاية الحراسة لهذه العقيدة، وفي غاية الحماية لها، وغاية الحراسة للأمة من عقيدة هذا الشيطان، حتىٰ لو لم يُبنَ قبر، ولو لم يوجد من يستغيث بغير الله، فإنه يجب أن نحفظ أولادنا عقيدة التوحيد، توحيد الأسماء والصفات، حتىٰ لا يقعوا في التعطيل، وتوحيد العبادة، حتىٰ لا يقعوا في الشرك الصغير والكبير الظاهر والخفي، هذا لابد منه.

لهذا نرىٰ -كما أشار في السؤال- بعض الأنبياء يخاف من عبادة الأوثان، إبراهيم ﷺ قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].

هذه الأصنام وإن كانت أصنامًا وأحجارًا لكنها تضل الناس، لها دعاة، ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وكان رسول الله ﷺ يبايع صحابته الكرام -وعلى رأسهم: أبو بكر- على ألا يشركوا بالله شيئًا، كثيرًا ما كان يبايعهم، وفي البيعة هذه على ألا يشركوا بالله شيئًا، وقبل أن يموت بخمس، كما يروي جندب قال: «**إِنَّ مَن كَانَ قَبلَكُم كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتخذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنهَاكُم عَن ذَلِكَ**»(١)، قبل موته بخمس -عليه الصلاة والسلام-.

وعندما حضره الموت كان يضع خميصة على وجهه ثم يكشفها ثم يقول: «**لَعنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ**»(٢)، قالت عائشة وقال ابن عباس: يحذر أمته ذلك، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

الصحابة كان بإمكانهم أن يدفنوا رسول الله ﷺ في المقبرة، فأين دفنوه؟

رأوا أبعد شيء عن المفسدة أن يدفن في بيته، لو دفن هناك لاتخذ مسجدًا.

وفي الحديث في البخاري أن الصحابة لما بايعوا تحت الشجرة عادوا في السنة الثانية فلم يهتدوا إليها، فظلت النفوس تتعلق بهذه الشجرة ويبحثون عنها، حتى كان في عهد عمر ﷺ يقولون: إنها شجرة البيعة. فأمر

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص١١٠).

بقطعها[1].

انظر كيف يستأصلون جذور الشرك، ويبذلون الحماية القوية للتوحيد، ومع هذا الذي تقولونه فإن هناك أناسًا في هذا البلد يدعون غير الله، ويستغيثون بغير الله، هناك روافض وهناك صوفية، فيه أشكال وأصناف، فيه وافدون من الخرافيين والقبوريين كثير وكثير من .... ومن الروافض في باكستان وأفغانستان، موجودون واللهِ موجودون في مكة، في المدينة، في الطائف، في أماكن عدة، في ينبع في الشريط الساحلي موجود كثير من الناس ..... إلىٰ الآن ما استطعنا أن نستأصل شأفة الشرك، فلا نهون من شأن الشرك ونقول: لا يوجد شرك بل هو موجود.

رغم الجهاد وقيام الجماعات والمدارس ويدرس كثير من أبناء الخرافيين في هذه المدارس، ولا يخرجون من خرافاتهم وبدعهم، وهؤلاء لا يخرجون من بدعة الشرك، وقد قامت عليهم الحجة، لأنهم درسوا كتب

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٢٦٩) قال: «حدثنا معاذ بن معاذ قال: انا ابن عون عن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب أن ناسًا يأتون الشجرة التي بويع تحتها؛ قال: فأمر بها فقطعت».

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (٧ / ٤٤٨): «ثم وجدت عند ابن سعد بإسنادٍ صحيح عن نافعٍ أنَّ عمر بلغه أنَّ قومًا يأتون الشجرة فيُصَلُّونَ عندها فتوعَّدهم، ثم أمر بقطعها فَقُطِعَتْ».

وانظر: الطبقات الكبرىٰ (٢ / ١٠٠).

التوحيد، وحفظوها، واختبروا فيها، واجتازوا المراحل، ومع ذلك لا يؤمنون بهذه العقيدة، هؤلاء قامت عليهم الحجة.

السياسيون الآن يوجهون الناس إلىٰ محاربة الحكام فقط، وبهذا يسود الشرك والسحر والكهانة وبدأت الفتنة في نجد وفي غيرها هذه الانحرافات والضلالات بدأت تنتشر، لأن الشباب مشغول بالسياسة، عشرات بل مئات بل آلاف الشباب لا همَّ لهم إلا السياسة، وأصبحوا ينظرون إلىٰ السنة والتوحيد ومن يدعو إليها بازدراء، وأنهم رجعيون متخلفون، ويرون التقدم في منهج سيد قطب والمودودي والبنا والقرضاوي وأمثالهم.

وفي هؤلاء واللهِ فلاسفة ضالون، واللهِ فلسفة عمياء، ومتاهات، وضلالات، لا يعلمها إلا الله، أتدرون أن يوسف القرضاوي قال عنده دعوة إلىٰ حوار الأديان، ما هو حوار الأديان؟ دعوة إلىٰ أخوة الأديان، وإلىٰ وحدة الأديان.

وفي السودان عقدوا ثلاثة مؤتمرات يدعون فيها إلىٰ وحدة الأديان، وتوضع التوراة والإنجيل هكذا مع بعضها، الإنجيل والقرآن تقرأ آيات من الكتاب المقدس، وينشرون هذا في صحفهم، تليت آيات من الكتاب المقدس، وآيات من القرآن العظيم، ويأتون ببنود للإخاء بين النصارىٰ والمسلمين، بنود الكفر والإلحاد والزندقة في دولة الإخوان، ويريدون أن تكون هذه البلاد مثل إيران ومثل السودان وأفغانستان.

والله لا يهم هؤلاء الشباب أن تضيع العقيدة إذا صارت على طريق حكومة السودان وأفغانستان وإيران، لا يهم، أنا لا أصدقهم أنهم يحاربون الروافض، واللهِ لو ادَّعَوا هذا لا أصدقهم لماذا؟ لأنكم لو كنتم صادقين ما واليتم الإخوان المسلمين، وهم فيهم الروافض، وفيهم إخوان الروافض، وأصدقاء الروافض، بل الآن وسَّعوا الدائرة إلى الدعوة إلى وحدة الأديان، فكيف تتلاحمون معهم وتحاربون السلفيين؟!

لو كنتم صادقين وتُعادُون الروافض، أنا لا أصدقهم حينما يقولون: منكر منكر منكر، لا أصدقهم، واللهِ لا أصدقهم، لأن هذا أسلوب ابن سبأ، وأسلوب المختار بن أبي عبيد، وأسلوب أبي مسلم الخراساني، وابن تومرت، وابن الفضل، هذه الأساليب السياسية المعروفة، كل من يريد أن يضيع الإسلام لا بد أن يأتي بالشعارات، الجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر.

فنحن نقول لهم: كلمة حق أريد بها باطل. وإلا لو كانوا ينكرون المنكرات لوجَّهوا سهامهم إلى السودان، كيف من خمسين سنة(١) تنادون بحاكمية الله ثم لما وصلتم إلى الحكم أدرتم ظهوركم للإسلام، وأصبحتم تدعون لوحدة الوجود، وتدعون إلى مؤاخاة النصارى؟!! ويدافعون عنها إلى الآن.

---

(١) هذا الكلام قلته قديمًا أما الآن فلهم أكثر من ثمانين سنة (ربيع).

وقد دافعت في أحد المساجد في المملكة عن جميل الرحمن كنت أظن أن المملكة كلها ستهُب عن بكرة أبيها لمناصرة إخواننا السلفيين الذين ذبحهم الروافض والقبوريون وأعداء الإسلام، اشتركوا في ذبحهم، وهذه المذبحة ليس وراءها جهة واحدة فقط، بل وراءها دول ومنها الروافض وغيرها، واللهِ وقفوا يدافعون عن السفاكين، ويعتبرون ذبح السلفيين اجتهادًا، اجتهاد مثل اجتهاد الصحابة!

ولما اضطرت هذه البلاد وأفتىٰ علماؤها بجواز الاستعانة هيجوا الدنيا كلها علىٰ هذه البلاد وعلىٰ علمائها، وبعد أيام وإذا بالشعب العراقي نفس القوات التي كانوا يحاربون من أجلها انتقلوا إلىٰ العراق ما سمعنا كلمة تستنكر هذا المنكر بزعمهم، ثم بعد أيام وإذا بالبوسنة والهرسك يستعينون بالكروات ويتعاونون، ونحن ما نعترض عليهم، نقول لهم: استعينوا استعينوا بالكروات وبغيرهم، لكن أين منهجهم؟ مما جعل منهم كذابين، وإلا لأنكروا.

نراهم يبكون علىٰ المنابر علىٰ البوسنة والهرسك ويطلبون من المسلمين نصرها طيب رئيسهم يعلن العلمانية وأنتم تمدحونه، أعلن أنه سيطبّق العلمانية، ثم دخل في وحدة، ثم وضع لهم دستور أمريكا، وضعتم لهم دستورًا لهم وللكروات الكفار وللصرب الوثنيين.

لا كلام أبدًا، كيف تدعون إلىٰ الجهاد في البوسنة والهرسك، ثم يقرر كل هذا الباطل فيه علىٰ زعمكم أنتم ولا إنكار؟ فلان يرفع راية، ثم يرفع راية تحتها الشيوعي الرافضي الباطني الصوفي الهالك، لا يوجد اعتراض، مجتهد

مثل الصحابة!

لا نقبل أبدًا، هل يصدَّق هؤلاء حين يقولون: منكر منكر منكر؟ والله لا يصدَّقون، لأن هذه قرائن قوية تفيد العلم اليقين بأنهم ليس قصدهم إزالة المنكر، إنما قصدهم التذرع بهذا للوصول إلىٰ الحكم، وتقوم دولة سيد قطب، ثم بعد ذلك نحكم، نسير علىٰ طريقة الترابي أو طريقة حكمتيار في إراقة الدماء، وموالاة الأعداء.

فنحن جرَّبنا وعرفنا، سيد قطب وإخوانه يدعون إلىٰ أخوة النصارىٰ واليهود وغيرهم، وهذا في كتبه، حماسه وتكفيره للأمة الإسلامية، إذا رأيتم الحماس والعداء والمفاصلة الشعورية كلها ضد المسلمين، أما النصارىٰ والفرق كلها إخوانه، هذا في كتبه، ثم حاكميته، ما هي الحاكمية التي كفر بها؟ ما هي؟

الآن تعالَوا هاتوا صفحة (٨٢) من «معركة الإسلام الرأسمالية» يقول: «**لابد للإسلام من أن يحكم**»، لأنه لماذا؟ اسمعوا يا إخوة، لو قالها سلفي ماذا سيكون؟ قال: لابد للإسلام أن يحكم، لماذا؟ «**لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية**»، تأمل هذا المدح، «**التي تصوغ من المسيحية والشيوعية معًا مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال**».

أي طعن في الإسلام وفي الحاكمية بالذات الذي لا يجرؤ أن يقوله اليهود ولا النصارىٰ؟

الإسلام يخلط بين الشيوعية والنصرانية مزيجًا كاملًا، ما يترك شيئًا

متكاملًا يحقق أهدافهما، أهداف اليهودية والنصرانية، كأنما بعث الله محمدًا ﷺ لتحقيق أهداف النصارىٰ والشيوعيين، أي إهانة للإسلام تفوق هذه الإهانة؟ كيف يُسكَتُ علىٰ هذا المنكر؟

أنا أرىٰ إذا كنتم غيورين علىٰ دين الله أن يذكر في المنكرات الآن انتشار كتب سيد قطب في المكتبات الخاصة والعامة والتجارية وغيرها، واللهِ أنكر من البنوك الربوية هذه، لأنها تفسد الأمة.

الربا والتلفزيون والمنكرات كلها تسأل الطفل يقول لك: حرام، لكن هذا يقول: دين! ويحميه، ويدافع عنه، فخلاصة أبناء الأمة يصبحون جنودًا للذب عن هذا المنكر والضلال والتحريف لدين الله ﷻ.

الآن من يدافع عن سيد قطب؟ الروافض يمكن يدافعون عنه، الروافض يطبعون كتب سيد قطب ويقدِّسونها لماذا؟ لأن دينه ودينهم واحد، هل يحاربون الشرك؟ ويعلنون البراءة من الشرك؟ ما هو الشرك؟ هو استعمار أمريكا، هذا هو الشرك عندهم.

أما عبادة القبور، وتأليه آل البيت، وأنهم يعلمون الغيب، وأن الولي منهم يتصرف في كل ذرة من ذرات الكون، وأنهم أفضل من الأنبياء، وتكفير الصحابة والأمة فهذا هو توحيدهم ليس هناك خلاف بين الإخوان المسلمين وسيد قطب والروافض أبدًا.

لهذا تجد كتابات الخامنئي، كتابات الخميني لا تختلف عن كتابات

الإخوان المسلمين لاسيما سيد قطب، يحاربون الشرك ويحاربون الطواغيت نفس الأسلوب، اقرأ في «الحكومة الإسلامية» للخميني، واقرأ لنداء خامنئي للحجاج باعتباره أمير المؤمنين، تجد نَفَس سيد قطب ونَفَس البنا ونَفَس الإخوان شيئًا واحدًا، لأنهم لا يدخلون في عقائد الروافض، ولا في عقائد الصوفية، ولا في عقائد الخوارج، ولا يطعنون في أي ضلالة من الضلالات هذه، ولا أي بدع من البدع، هم يحاربون الطواغيت والكفر والشرك والحكم بغير ما أنزل الله، كلهم يقول هذا الكلام.

فلا فرق في هذا الميدان بين منهج الروافض ومنهج سيد قطب والإخوان، سيد قطب يطعن في معظم الصحابة والغزالي يطعن في بعض الصحابة مثل معاوية وعمرو.

عبد القادر العودة يطعن في بعض الصحابة، البنا تبنىٰ «العدالة» ونشرها في حياته، وفيها طعن في الصحابة، وفيها الاشتراكية، وفيها تكفير الأمة، وتبناها البنا، وتبناها الإخوان المسلمون إلىٰ يومك هذا، فالذي صرح صرح، والذي لم يصرِّح أيد، لأنه منذ قامت دعوة الإخوان المسلمين وإذا هم والروافض يزاحمونهم المناكب بالمناكب في نصرة إسلامهم المزعوم، وإعلاء كلمة الله كما يزعمون، وإسقاط الطواغيت!

فيا إخوان! إن كنتم تريدون الإسلام ودين الله الحق الواضح الذي لا يوجد إلا في الدعوة السلفية، الإسلام الواضح الصحيح القائم علىٰ الأصول الصحيحة والعقائد الصحيحة، دون تحريف، لا يوجد إلا في كتب الدعوة

السلفية، وفي هذا البلد، لا يوجد لا عند إخوان، ولا عند تبليغ، ولا عند الطرق الصوفية، ولا عند الروافض .. إلخ، ما نجد عندهم إلا الباطل والضلال.

الكتب الفكرية هذه تضمنت كل البلايا، كل الضلالات، وإن ظهرت بأساليب جديدة عصرية وكذا، لكنها واللهِ فيها طوام وفيها بلايا وفيها رزايا، فإذا أردتم الإسلام الحق واللهِ الإسلام كامل في كتاب الله ﷻ وسنة الرسول ﷺ، تفسير ابن جرير الطبري في فهم كتاب الله، تفسير ابن كثير، تفسير البغوي، تفسير السعدي، تفاسير السلف.

كتب التوحيد، توحيد العبادة عندكم كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وكتب تلاميذه، و«الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، ثم «التوسل والوسيلة» و«الرد على البكري» و«الرد على الأخنائي» و«منهاج السنة» وغيرها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكتب ابن القيم رحمه الله كلها مليئة بالتوحيد، توحيد العبادة، توحيد الأسماء والصفات.

كتب السلف موجودة من العهد الأول إلى يومك هذا، كتب كثيرة، واللهِ وقتكم لا يتسع لهضم هذه الكتب، وهذه المناهج، لا تضيعوا أوقاتكم في كتب الضلال يا إخوتاه ولا في الدفاع عن الباطل، ولا في الدفاع عن أهل البدع.

مما ينبغي أن نذكره الآن: أن هؤلاء المساكين عندنا -أتباع سيد قطب- وضعوا منهجين:

المنهج الأول لإسقاط علماء السلفية، وبإسقاطهم يسقط المنهج السلفي، وهو ماذا؟ فقه الواقع، فقه الواقع رَمَوا السلفيين بالعلمنة، لأنهم

لا يشتغلون بالسياسة! علماء وطلاب رموهم بالعلمانية التي هي عندهم أكفر من دين اليهود والنصارىٰ، قالوا: إن الذي ما يشتغل بالسياسة علماني، وطعنوا فيهم بالعلمنة، وسَمُّوهم بالعلمنة، وربِّ السماء؛ هل هناك إسقاط لحملة الدعوة السلفية أشد من هذا؟

المنهج الثاني: منهج الموازنات لحماية أهل البدع وإجلالهم ولاسيما سيد قطب ورءوس الإخوان المسلمين وهذا منهج باطل مضاد لمنهج السلف لماذا ؟لأن الله ﷻ يذكر مساوئ الكافرين، ولا يذكر محاسنهم، وهم لهم حسنات، ويذكر مساوئ اليهود، ولا يذكر محاسنهم، ويذكر بعض عصاة المسلمين، ولا يذكر حسناتهم، والرسول ﷺ يذكر مساوئ، ولا يذكر حسنات، وكتب الجرح والتعديل تملأ المكتبات، لا تجد أثرًا لهذا الميزان الظالم، هذا وُضِع لحماية كتب البدع ولحماية أهل البدع وأئمة الضلال.

سيد قطب عنده سبعين بدعة كبرىٰ، يقولون: لكن له جهاد! وضحىٰ واستشهد في سبيل الله! وأنتم ماذا صنعتم؟ ما عندنا دولة تذبح وتسفك الدماء عندنا دولة تحترم العلماء، وتحترم المنهج السلفي، وتشيِّد الجامعات والمدارس، وهذه نعمة من الله، فلماذا تتمنىٰ لنا هذه المشاكل؟

سيد قطب وضع[1] في قفص مثل الدجاجة، لما أرادوا أن يذبحوه

(١) نحن ندعوا إلىٰ توحيد الله ودينه الحق ونحارب الشرك والبدع علىٰ طريقة الأنبياء والمصلحين (ربيع).

ذبحوه، والله ما راح أخذ السيف مثل علي وخالد رضي الله عنهما، وراح يخوض المعارك، وضعوه عشر سنوات مثل الدجاجة ثم قتلوه.

واللهِ لأنه عنده مخطط لنسف الجسور والإذاعات، وقتل الشخصيات، مخطط خطير، ذبحوه، لكن ناس جعلوه شهيدًا! شهيدًا وشهيدًا، وفوق رأس الأمة! والله واحد منهم هنا في هذه المنطقة قال لي: ماذا قدم علماؤكم من ذُبح؟ من سُجن؟ وهذا هارب من بلاده، جبان، وإلا كان يبقىٰ في بلاده حتىٰ يذبحوه، وهو لاجئ الآن يقول لي مثل هذا الكلام! أقول: يا أخي! دولة مسلمة ... ماذ تريد منها؟ دولة تحب الإسلام، وقامت تؤيد الإسلام، وتحمي الإسلام، تريد من علمائها يتقدمون للمذابح بطرًا وعبثًا ؟!

هم يتفاخرون بسيد قطب، لأنه ذُبح، ويطعنون في علمائنا، ويسقطونهم، لأنه ذبح من أجل وحدة الوجود يراها الإسلام، ومن أجل الاشتراكية، ومن أجل الإسلام المحرَّف إن كان عنده هذا الإسلام، فهذا ليس بإسلام.

الروافض يتساقطون في المعارك في حرب صدام، كم قتل من الروافض دفاعًا عن عقيدتهم؟ فهم يحملون السلاح يقاتلون ويستبسلون حتىٰ الموت، عندكم قتلوا في سبيل الله؟ عندنا في سبيل الشيطان.

نعوذ بالله من هذا المرض، ومن هذا الداء، واللهِ نحن نبذل هذه الجهود، وقد نَقسُو، ولكن واللهِ قصدُنا الخير والنفع، والإنقاذ من هذه

المخازي والمهالك التي يتقحمها شبابنا في وَضَحِ النهار علىٰ بصيرة، في الوقت الذي يحارَب فيه من يقول كلمة الحق.

أنا ما كنت أتصور واللهِ أنهم يَتبَرون يحاربون من يدافع عن صحابة رسول الله ﷺ، ويدافعون عمن يطعن في أصحاب رسول ﷺ، ما كان يخطر واللهِ ببالي هذا الشيء، حتىٰ واللهِ ما أتصوره في خرافيي القبوريين في الهند، واللهِ لا أتصور لهم هذا الموقف.

كيف هؤلاء يطعنون أبناء التوحيد والسنة وهذا وضعهم، أين احترامهم وذبهم عن مكانة الصحابة، القيمة العظمىٰ لسيد قطب، وهذا يصدق عليهم: ﴿ اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، فهم يوالون في هذا الرجل، ويعادون فيه، وهذا في غاية الضياع.

الجامعات عندك تشع فيها أنوار التوحيد والسنة، وأنوار ضد البدع والضلالات والشركيات، ثم تدير ظهرك لهذا العلم وهذا الخير، وتتولىٰ أهل البدع والضلال، واللهِ هذا كفران لنعمة الله، لأعظم نعمة.

فننصح شبابنا أن يتوبوا إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، وليخجلوا، واللهِ الرجال يعرفونكم، الذي عنده عقل واللهِ يرثي لكم، ولو شمخت أنوفكم واللهِ يرثي لكم، ويبكي عليكم حرقة، لأنكم فقدتم عقولكم، وما استفدتم من عقائد التوحيد ومن أصول التوحيد، ما استفدتم، ما هي ثمارها؟ ثمارها فيكم ولاء لأهل البدع، والطاعنين في أصحاب رسول اللهﷺ، وإدارة الظهر

عن حماية صحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

يا إخوة، لو لم يكن إلا هذا العيب إلا طعنه في أصحاب رسول الله، وطعنه في بني أمية لكفاه عيبًا وضلالًا، لكفانا وأعذرنا الله في محاربته، وكان يجب أن تعذروا من يكتب في هذه المواضيع، وتحمدوه، وتشجعوه، وإلا واللهِ صفحتكم سوداء، أن يسري هذا الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ في الكتب وفي المكتبات، ثم لا أحد يشير من قريب ولا بعيد إلىٰ استنكار هذه الضلالات، ولا يدافع بحركة من الحركات عن أصحاب رسول الله ﷺ!!

كم سنة مرت ؟ «العدالة» لها أربعون سنة تطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، وتطبع طبعات وطبعات إلىٰ يومك هذا في بلاد التوحيد وتنشر، ثم يسكت عنها، من من هؤلاء؟ قال: واللهِ غلط سيد قطب، وطعن في أصحاب رسول الله ﷺ.

واللهِ أنا قبل خمس وعشرين سنة منذ تخرجت من الجامعة أو قبل أن أتخرج أعطوني «العدالة» أقرأ فيها، فأتصفح أرىٰ، «وكانت خلافة عثمان فجوة... كانت خلافة علي امتدادًا طبيعيًّا لخلافة الشيخين، أما خلافة عثمان فكانت فجوة» فكأنه ضُرِب بخنجر علىٰ قلبي، تألمت، يُسقط خلافة عثمان ﷺ.

ذهبت لواحد من الإخوان كان سلفيًّا دخل فيهم ضاع، قلت له: شُف هذا الكلام، قال لي: لا لا لا، هذا في الطبعة الأولىٰ، لكن في الطبعة الثانية غيَّر سيد قطب وحذف هذا الكلام. أنا صدَّقته، وما قرأت هذا الكتاب، وربَّ

السماء ما قرأت فيه، ومرَّ علي أكثر من عشرين سنة ما أقرأ فيه، ثم لما ثارت فتنته، الرسائل، الماجستير، والدكتوراة، والندوات، والمناهج، والمدح، والتمجيد، والطعن في علمائنا، والتشويه، فتنة الشباب قلنا: نبحث عن أصل هذه الفتنة.

وأعود لأقرأ في الكتاب وإذا به مليء بالطعن في أصحاب رسول الله - عليه الصلاة والسلام-، وإذا بالعبارة في كل الطبعات ما غير سيد قطب أبدًا، فأول شيء أثارني طعنه في صحابة رسول الله ﷺ، فقلت: أكتب كتابًا الآن، هذا البلد الطيب السلفيون الصادقون المخدوعون إذا رأَوا هذا المنكر واللهِ سيتخلَّصون من سيد قطب، ومن ضلالاته، فلما طلع الكتاب واللهِ مساكين أقبلوا علىٰ الكتاب يشترونه، يقول لي واحد: ممكن ثمانية آلاف في الأسبوع اشتروه.

فقامت الدعايات، دعايات القطبيين أعلامهم، وكبراؤهم، وإلقاء الأكاذيب والشبهات فغيَّروا اتجاه الناس إلىٰ شراء الكتاب ومعرفة الحق من الباطل من خلاله فصار أولادنا يُقادُون بعواطفهم العمياء، فالولاء أصبح لغير الله، كفىٰ بهذا المنهج سوءًا وشرًّا، أن يتردىٰ أصحابه في الولاء للأشخاص والأحزاب، الولاء للأشخاص الحلال ما حللوه، والحرام ما حرموه، والباطل ما أبطلوه، فعلًا فتن، فنسأل الله العافية.

فيا إخوتاه، إن كان بينكم من بُلِيَ بهذا الداء فأسأل الله له العافية،

وأرجو أن يُنصِف من نفسه قبل كل شيء، ويبحث عن النجاة لنفسه، ويقرأ ما كتبناه، وإذا وجد منا ظلمًا وافتراءً علىٰ هذا الرجل فليتفضل يكتب، ويقول: أنت ظلمت في النص الفلاني، ما قال سيد قطب، أنت افتريت عليه، هذا الكلام لا يوجد في كتابه «العدالة»، ولا في كتابه «الظلال»، أنت افتريت علىٰ سيد قطب.

أنا أقبل بهذا الأسلوب، إن وجد نقل أمين ونقد علمي صحيح، فليتق الله في نفسه، وليتبع الحق، ولا يصدق علينا قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

إذا جاءك شيء من أهواء نفسك تأخذه، وإذا جاءك بالحق وخالف هواك ترفضه، وترفض أهله، هذه ليست صفات المؤمنين، هذه صفات اليهود، وأعيذ بالله أي مسلم أن يكون فيه هذا المرض اليهودي، إذا جاءه ما يهواه قبله، وإذا جاء ما يخالف هواه رده، فنعوذ بالله من هذا الداء، ونعوذ بالله من مناهج ومن تربية تُردِي أصحابها في هذه الهوة، فنسأل الله العافية والسلامة.

* * *

[أسئلة رسالة: «إن الله لا يقبض العلم»]

س: نحن إخوة سلفيون نحذر الناس من دعوة المبتدعة، ولكن المبتدعة أوشكوا بضربنا ضربًا شديدًا ماذا علينا أن نعمل؟ هل علينا أن نتابع دعوتنا وإن ضربونا وهل يجوز لنا أن ندعو الإخوة السلفيين لنرد عليهم بشدة في حال؟ أو نبلغ الشرطة لنحمي أنفسنا من هؤلاء؟ فبماذا تنصحوننا؟ وبارك الله فيكم.

عليكم بمنهج الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، أولًا بالحكمة في الدعوة إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

اجعلوا هذا المنهج العظيم نصب أعينكم، ولا تخرجوا عنه، وتحلَّوا بالصبر، كما قال الله لنبيه -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف:٣٥].

فنحن ورثة الأنبياء في حمل ميراثهم، وهو العلم، وهو الوحي الذي بلَّغه خاتم الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وهم أسوتنا في الحكمة، وفي

الصبر، وفي كل متطلبات الدعوة، وما أرىٰ لكم أن تبلِّغوا الشرطة ولا غيرها، ولا أن تستدعوا غيركم للمواجهات والمضاربات، فإن هذا يشوِّه الدعوة، ولكن أظن أنكم إذا تحلَّيتم بالحكمة والصبر والأخلاق العالية فإن الناس سيفيئون -إن شاء الله- إلىٰ دعوتكم، ويستجيبون لها -إن شاء الله-، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤]، قال الله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

س: زوجتي تطلب مني أن نذهب إلىٰ الشاطئ، ولكن في مكان بعيد عن الناس، هل يمكن لنا أن نستحم أم لا؟ وإذا لم أعمل هذا الشيء، فإني مُعقد ورَجعي، خصوصًا وأن زوجتي تربت في بيت أو بيئة فإنها تصلي وأني إذا وقفت سدًّا منيعًا فهذا يؤدي إلىٰ قطع العلاقة الزوجية.

إذا كانت صالحة، وإذا كان المكان الذي تود الذهاب إليه ليس فيه اختلاط، وليس فيه فساد، فلا بأس، أما إذا كان هناك شيء من الفساد والاختلاط فلا يجوز.

وإذا كانت غير صالحة فإنه يتزوج امرأة صالحة، الرسول ﷺ يقول: «عَلَيكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَت يَدَاكَ»(١)، فإنها تعينك علىٰ طاعة الله، وتجنبك كثيرًا من المشاكل.

س: هل يجوز للمرأة أن تسوق السيارة؟

---

(١) أخرجه مسلم (٧١٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

لا؛ لأن هذا فيه مفاسد كثيرة، وكثير من النساء قد تفسد إذا ألقي لها الحبل تقود السيارة، وتذهب قد تخادن، قد تغازل، قد تعقد مواعيد، قد.. قد..، المرأة تحتاج لحماية، وتحتاج لقوامة، وأصل موقعها في المنزل، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ [الأحزاب:٣٣].

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣٤]، ولولا قوامة الرجال لضاع النساء، إذا استقام الرجال وقاموا عليهن القوامة الشرعية استقامت المرأة، وإذا ألقي الحبل على الغارب فإنها قد تنحرف غالبًا.

س: هل يجوز لزوجي أن يصافح زوجة أبي؟ وهل تُعَدُّ من المحرمات عليه؟

زوجة أبيك غير أمك فليست محرمًا على زوجك، لكن أمك تحرم عليه، ويجوز له مصافحتها والخلوة بها، لأنها بمنزلة أمه، هي من ذوات المحارم بالنسبة له.

أما زوجة أبيكِ فلا، لو مات أبوكِ أو طلَّق هذه الزوجة يجوز له أن يتزوجها، بخلاف أمك، فإنها تحرم عليه حرمة مؤبَّدة بعد الزواج.

س: يقول السائل هل يجوز أن أسمي ابني جبريل أو ميكائيل؟

لا مانع من ذلك، لكن سَمِّ بأسماء الصحابة والتابعين والأئمة والتابعين، ما فيه مانع، وإذا سمى جبريل لا بأس.

س: متى يكون هجر المبتدع؟

المبتدع إذا كان داعيًا فيُهجَر باستمرار حتىٰ يتوب، وإذا كان جاهلًا فيُعَلَّم، العالم والداعية المؤثر لا يهجره، إنما يدعوه، فإذا لم يستجب وعاند يهجره، ويتركه، ويذهب يشتغل بغيره ويدعو غيره.

* * *

[أسئلة رسالة:
«عوائق في طريق طالب العلم»]

س: كيف نستطيع أن نميز بين طالب العلم من العالم؟

الجواب: واللهِ هذا شيء يظهر علىٰ العالم ويظهر علىٰ الجاهل، يظهر من تصرفاته، ومن فتاواه، ومن دروسه، ومن تزكيات العلماء له، والشهادة له بالخير، وما شاكل ذلك .

ولهذا كان السلف لا يذهب أحد إلىٰ التدريس إلا بعد أن يجيزه العلماء ويأذنون له، كمثل مالك ما تصدىٰ للتدريس والفتوىٰ إلا بعد أن رشحه سبعون عالمًا، والشافعي كذلك ما تصدىٰ إلا بعد أن رشحه شيوخه وشجعوه، وجدوا فيه الكفاءة العلمية، وجدوا فيه الصلاحية لأن يعلم، يدرس ويفتي ويؤلف وما شاكل ذلك، فهذا من الأشياء التي يتميز بها العالم عن غيره.

س: هل هذه القاعدة صحيحة، وهي قول بعضهم: **الأصل في الناس الجهالة والظلم؟**

الجواب: في باب الجرح والتعديل الأصل فيها: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢] كما قال الله -تبارك وتعالىٰ-.

ولهذا ترىٰ العلماء اشترطوا لقبول الحديث والعلم صفات معينة، ومنها: العدالة، والضبط، واتصال الإسناد، وعدم الشذوذ، وعدم العلة، لا يقبل حديث إلا إذا توفرت فيه هذه الشروط، وثبوت العدالة إنما تكون بانتشار الصيت وكثرة الثناء عليه من العلماء وغيرهم، فهذا لا يحتاج إلىٰ تزكية وهو أقوىٰ في التزكية، وإما بتزكية عالمين يعرفان الجرح والتعديل.

وليس كل من ادعىٰ العلم يصلح للتزكية، وإنما من أناس لهم علم واسع، ولهم خبرة بالجرح والتعديل، ويعرفون ما يجرح الشخص ويسقط عدالته، وما يرفع الشخص من الأعمال والصدق والعلم النافع.

فإذا توفرت وجاءت هذه التزكيات لهذا الشخص، إما الثناء الشائع الطائر في الناس مثل ما حصل لمالك والشافعي وأحمد والسفيانين والأوزاعي وغيرهم، هؤلاء ما كان أحد يزكيهم، زكاهم الله بحسن السمعة ونشر الخير، حتىٰ إن أحمد لما سئل عن إسحاق قال: «إسحاق لا يسأل عنه، إسحاق يسأل عن الناس»، ما يسأل عنه.

فقد يصل إنسان بعلمه وفضله وخيره إلىٰ درجة أنه ما يحتاج إلىٰ تزكية، والسؤال عنه، نقول: ابن باز هل هو عدل؟! أو ابن تيمية، أو الألباني، أو أمثال هؤلاء، هذا من الجهل والسفه.

لكن إنسان غامض يخفىٰ علىٰ كثير من الناس هذا لابد من تزكيته حتىٰ نقبل منه الحديث ونقبل منه العلم، هما طريقان هذا يدل علىٰ أن أصل الإنسان ظلوم جهول، هذا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلىٰ هذا

قامت هذه الشروط من علماء الحديث، وأيدهم فيها العلماء .

س: ما رأي فضيلتكم في الأوضاع الراهنة في لبنان والعراق وفلسطين؟

الجواب: والله نحن نرىٰ أن الجهاد قائم إلىٰ يوم القيامة، وواجب علىٰ هذه الأمة ولكن هذه الأمة ضيعت أمورًا كثيرة ومنها الجهاد، فسلط الله عليهم الأعداء، «**إِذَا تَبَايَعتُم بِالعِينَةِ، وَرَضِيتُم بِالزَّرعِ، وَاتَّبَعتُم أَذنَابَ البَقَرِ، وَتَرَكتُمُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ**» وليس هو في سبيل الرفض والبدع والخرافات، في سبيل الله «**إِذَا تَبَايَعتُم بِالعِينَةِ، وَرَضِيتُم بِالزَّرعِ، وَاتَّبَعتُم أَذنَابَ البَقَرِ...، سَلَّطَ اللهُ عَلَيكُم ذُلًّا لَا يَنزِعُهُ عَنكُم حَتَّىٰ تَرجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُم**»(١).

أول خطوة إلىٰ العزة والخروج من الذل والهوان هو الرجوع إلىٰ الدين، هذه الخطوة الأولىٰ، الرافضي الغالي الذي يكفر الصحابة يرفع راية الجهاد هو يحارب الدين، ويحارب أهله، كيف ينتصر هذا ؟ كيف يحقق شيئًا؟ كيف يكون جهاده في سبيل الله؟!!

فالجهاد لابد أن يكون لإعلاء كلمة الله، قد يقتل في الجهاد ويدخل النار، لأنه لا يريد إعلاء كلمة الله -تبارك وتعالىٰ-، «**مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُليَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، سئل رسول الله ﷺ: الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل ليذكر، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ قال: «**مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢٣).

كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

علىٰ المسلمين قبل كل شيء أن يصححوا أوضاعهم، ويرجعوا إلىٰ الدين الذي كان عليه محمد -عليه الصلاة والسلام-، والذي جاهد في نشره هو وأصحابه الكرام، هذا الدين من التوحيد والأعمال الصالحة وشعائر الإسلام الصحيحة، هذا الذي جاهد رسول الله لإعلائه.

أنا أسألكم الآن: هذه الراية في لبنان التي يرفعها حزب الله هي راية تستحق أن يطلق عليها أنها في سبيل الله، ويطلق عليها أنها جهاد في سبيل الله، وهم يكفرون أصحاب محمد ﷺ، ويعبثون بالقرآن ويحرفونه تحريفًا لم يلحقهم اليهود فيه؟!

أنتم ما قرأتم للروافض، الذي يقرأ للروافض يجد أنهم أشد تحريفًا لدين الله من اليهود والنصارىٰ.

فنحن والله نريد الجهاد نريد الجهاد، لكن الجهاد الصحيح، فعلىٰ الأمة أن ترجع إلىٰ الدين، ثم تُعد العدة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الآن حزب الله يقاتل من ثلاثة أسابيع ما قُتل منهم إلا ثمانية، وقتل من الشعب اللبناني قرابة الألف، ودمرت مؤسساته، هذا هو الجهاد الذي يريده القوم؟!

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ.

الرسول ﷺ جاهد في بدر، في أحد، في الخندق، في غيرها، ما قتل طفل واحد، ولا قتلت امرأة واحدة، يروحون يندسون في صفوف النساء والأطفال، تأتي الضربات علىٰ النساء والأطفال، هذا جهاد اليهود؟!

الآن احتلوا مسافات كبيرة، عشرين قرية من لبنان، هذا هو الجهاد؟ هذا هو المقصود المجاهد يقتل نساء المسلمين وأبناءهم وأطفالهم ويدمر مؤسساتهم تكون هذه هي النتيجة ؟!

فهذا جهاد بهلواني، وجهاد رافضي، يجب علىٰ المسلمين أن يتعقلوا، وأن يرجعوا إلىٰ دينهم قبل كل شيء، ثم بعد ذلك يجاهدون لإعلاء كلمة الله، نحن نؤمن بالجهاد أكثر من هؤلاء الكذابين الأدعياء، نؤمن به لكن نقول للمسلمين: ارجعوا إلىٰ دين الله الحق، لأنكم لا تستحقون النصر من الله إلا إذا قاتلتم لإعلاء كلمة الله، وكنتم علىٰ الدين الصحيح.

أنتم تسمعون بأحداث العراق، تسمعون ماذا جرىٰ في العراق، كم قتل الروافض من المسلمين أهل السنة؟ أكثر من مائة ألف، يذبحون النساء والأطفال، ويشردونهم، ويخربون بيوتهم، ويخربون مساجدهم، ويدوسون مصاحفهم، ويفعلون الأفاعيل واللهِ لا يفعلها اليهود، ولما ارتكبوا هذه الجرائم كلها فتحوا الجبهة، يضحكون علىٰ أهل السنة لكي يطبلوا لهم!

هل بكيتم علىٰ أهل العراق أهل السنة وهم يذبحون، ويشردون، ومئات يمكن مئات الآلاف الذين قتلوا منهم، هل قطرت لكم دمعة؟ هل

ارتفع لكم صوت؟

لا شيء، لا شيء، ولما يجيء الرافضي هذا الباطني يقود الأمة، الآن هو سيد الأمة والأمة من ورائه، هذا مكسب من مكاسب الروافض، إن كثيرًا من الأمة يقتلون وهو في مخبأ هو وجماعته في المخابئ، ومذابح لا تزال مستمرة في العراق، المسلمون دماؤهم رخيصة في العراق، والروافض دماؤهم غالية فنذهب نحامي عنهم؟! أين العقول؟!

يا أخي، الآن الذين يقودون الناس أكثرهم جهلاء وسفهاء، رءوس جهال كما قال الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-، متعالم جاهل لا يعرف حقيقة الإسلام، ولا يعرف ماذا عند الروافض من الكفر والإلحاد والزندقة، اقرأ لهم، انظر أي تفسير من تفاسيرهم، وابدأ من الفاتحة، ترى تحريفًا يخجل منه اليهود.

الصراط المستقيم: عليٌّ! المغضوب عليهم: أبو بكر وعمر وعثمان! عند الروافض ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢] المتقون هم الشيعة!! الجنة كلها، الدنيا والآخرة لعليٍّ كلها وشيعته! برأ الله عليًّا منهم.

عليٌّ أحيانًا بعوضة! ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [البقرة:٢٦] قالوا: البعوضة علي، وما فوقها: محمد! هذا من زندقتهم وإهانتهم لعلي ﷺ والرسول -عليه الصلاة والسلام-.

وعليٌّ أحيانًا الدابة، ودابة الأرض، والنجم، وهو الشمس، وهو السماء، وهو كذا، وهو كذا، وهو التين والزيتون، إلىٰ آخره، وأهل البيت كلهم، والآيات أهل البيت، ما تقرأ آية في القرآن آية كونية آية شرعية إلا حرفوها، آيات التوحيد حرفوها بضلالهم .

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾ [النحل:٥١] دعوة إلىٰ التوحيد والتحذير من الشرك، قال: لا تتخذوا إمامين، آيات التوحيد يهربون منها، وإذا تناولوها حرفوها، ما تركوا شيئًا إلا حرفوه.

أعداء الإسلام يكفيهم أن تأريخهم أسود، دائمًا مع النصارىٰ واليهود، والله أعلم هذه لعبة الآن يقودها اليهود والنصارىٰ، لا تستغربوا أبدًا هم الذين جلبوا التتار، وذبحوا الألوف المؤلفة بل مليون وأكثر، وأسقطوا الخلافة، وهم في الحرب الأفغانية وهم بجوارهم ما شاركوا المسلمين بشيء لا بداخل أفغانستان ولا بخارجها، ولما جاء الأمريكان لإسقاط طالبان كانوا أقوىٰ ضلع مع الأمريكان ضد المسلمين، وهم الذين جاءوا بالأمريكان للعراق، وتقوَّوا بهم، وشرعوا في تذبيح المسلمين، هذا هوالإسلام؟! هذا هو الإسلام الذي نجاهد لأجله؟!

والرفض الذي هو أخطر من اليهودية والنصرانية، والذي نزل بالمسلمين من طريق الروافض أشد وأنكىٰ مما نزل بالمسلمين عن طريق اليهود والنصارىٰ، افهموا هذه الأشياء، وهؤلاء المضللون إما مضللون أو أغبياء.

يا نصر الله، ماذا عملت في العراق؟! هل وجهت كلمة واحدة تنصح عشيرتك وقومك الروافض الباطنية أن يكفوا أيديَهم عن المسلمين؟!

واللهِ أنا أعتقد أنه ما عملوا هذا إلا تلهية للمسلمين، وضحكًا عليهم، واللهُ أعلم ما عندهم من أهداف وراء هذا.

ولا تصدقوا أمريكا لا تصدقوهم، كله كذب، كم الآن حول الملف النووي، هذا البرنامج.

اليهود كذابون يصيحون إيران، إيران ... سبعون سنة المسلمون مع اليهود في المهالك، وكم دخلوا في الحروب، وكم قدموا من الأموال، وكم قدموا من الأعمال، وإيران تتفرج، والآن تطبل تريد المسلمين لتفتح عليهم حربًا جديدة، هذا البرنامج النووي ما تُعِدُّه إلا لدول الخليج، فيجب أن يفهم الناس، تنبهوا لهذه الأشياء، هذا ما نعتبره جهادًا في سبيل الله؟!

أبدًا أبدًا، أولًا: أهله هذه عقائدهم، وثانيًا: جهادهم معروف، كيف يختبئون في الكهوف ويندسون في البيوت والعمارات؟ والله أعلم هم يرسلون اليهود يقولون: تعالَوا اضربوا ....، لا أستبعد أبدًا.

فتنبهوا لمكايد الروافض، واللهِ يضحكون علىٰ أهل السنة، ولهم عملاء في البلاد الإسلامية والعربية يطبلون لهم، ولهم جسور، جسور لمد الرفض في العالم الإسلامي كله، لها انتشار في العالم الإسلامي في شرق آسيا، لها معاهد، ولها مدارس، ولها دعاة، في دول إفريقيا مرت عليهم قرون

ما كانوا يحلمون بهذه الأشياء.

حتىٰ جاءت بعض الأحزاب الخائنة فتحت الطريق والمجالات أمامهم للانتشار في العالم الإسلامي، والآن يضحكون علىٰ المسلمين، أيديكم تقطر أيها الروافض من دماء أهل العراق، وفي نفس الوقت يريدون مساندتهم، والمصيبة علىٰ الشعب اللبناني، والمصيبة علىٰ الشعب الفلسطيني.

ما هي خسائر الروافض في الحروب كلها من سبعين سنة إلىٰ الآن؟ ماذا قدم الأفاكون؟!

من واجب العالم أن يبين الحق للناس، لا ينافق، هذا الذي أدين الله به في اتجاه الروافض.

س: يكثر الآن في بعض الوسائل: أن الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة من الفرقة الناجية، فما الجواب علىٰ ذلك يا شيخ؟

الجواب: إذا كانوا علىٰ ما عليه رسول الله -عليه الصلاة والسلام- من عقائد ومنهج وتطبيق هم أهل السنة، وإذا خالفوا ذلك في العقيدة والمنهج وغيره فهم ليسوا من أهل السنة -وإن كان عندهم شيء من السنة-، عندهم شيء من السنة ليسوا مثل الروافض مثلًا، لكن عندهم عقائد، تعطيل صفات الله، هذا ليس بسهل، ووقف لهم السلف، وحاربوهم، هم في هذا الباب علىٰ منهج الجهمية، ناس يتكلمون، يعارضون مواقف السلف، ويهدمون كل ما دونَّه السلف في مواجهة أهل البدع بهذه الأساليب، يهدمون هذا التراث الذي قام

بحماية دين الله، ولتمييز الحق من الباطل، والهدىٰ من الضلال.

فشيخ الإسلام ابن تيمية قال في الأشاعرة: من كان منهم متمسكًا بالإبانة من غير تعصب للأشعري فهذا من أهل السنة، ومن لا يعتمد الإبانة منهم فهو جهمي.

وقسم الجهمية ثلاثه أصناف: الجهمية الأساسية، والمعتزلة، والأشاعرة.

الأشاعرة أخذوا قسمًا كبيرًا من مذهب الجهمية، ثم الأشاعرة الآن ليسوا أشاعرة فقط، أشاعرة عندهم تصوفات، عندهم قبوريات، عندهم خرافيات، عندهم أشياء كثيرة .

فإذا ما قلنا: هؤلاء ليسوا من أهل السنة فما فيه تمييز بين السنة وبين البدعة أبدًا، إنسان يعتقد في الله ما جاء به الكتاب والسنة، يقول: لا يدعىٰ إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا ينذر إلا لله، والعبادات كلها لله، وهذا يقول: أولياؤنا، فالأشاعرة يمكن فيهم ناس أقرب من هؤلاء إلىٰ السنة.

أما الآن الأشاعرة والماتريدية في الهند وفي باكستان وفي السودان وفي مصر وفي المغرب العربي خرافات وقبور وشركيات عندهم خرافات تقارب خرافات الروافض، وعندهم شركيات من شركيات الروافض، فكيف نطلق هذه الإطلاقات؟ كيف نخفي هذه؟

فهؤلاء إما أنهم جهلة، لا يعرفون ماذا عند هؤلاء، وإما أنهم خونة يضلون الناس، ويجرون المسلمين إلىٰ المتاهات، ويهونون أمر العقيدة

الصحيحة، والمنهج الصحيح، الأمر الذي جاء به رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

أين جهاد ابن تيمية؟ وجهاد أحمد بن حنبل؟ وجهاد أئمة الإسلام والمجددين؟ ومحمد بن عبد الوهاب؟ أين نذهب به؟ نحبط كل هذه الاجتهادات والجهاد لفتاوىٰ هؤلاء المساكين؟ من الذي يقول هذا الكلام؟ من الذي يقول أنهم من أهل السنة ؟

علىٰ هؤلاء أن يتوبوا إلىٰ الله، قبل أيام كتب واحد يقول: الصوفية من أهل السنة! وبينا للناس بطلان ما يقول هذا الإنسان، وهب غلاة الصوفية يدافعون عن الصوفية، وهو لا يزيد مواقفهم إلا تأكيدًا.

فلابد من البيان للناس، الله -تبارك وتعالىٰ- أخذ علينا الميثاق أن نبين للناس، والرسول -عليه الصلاة والسلام- قبل أن توجد البدع وهو يحاربها ويقول إنها شر الأمور «**أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا**»، قبل أن توجد البدع يقول: «**شَرُّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا**».

حذَّر من الخوارج -عليه الصلاة والسلام-، وأمر بقتلهم، حذر من الخوارج وقال: «**شَرُّ الخَلقِ وَالخَلِيقَةِ**»[1].

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وأمر بقتلهم -عليه الصلاة والسلام-، «أَينَمَا وَجَدتمُوهُم فَاقتُلُوهُم»(١)، والله عند الخوارج الذين قتلهم علي ﷺ والله عندهم أشياء أحسن من الموجودين الآن، أحسن من هؤلاء، كان عندهم عبادة، كانت عقيدتهم تشبه عقيدة السلف، عندهم خلاف ومنكرات في المنهج أقول هذا، وهذا الكلام يستغله المجرمون.

الرسول ﷺ قال: «تَحقِرُونَ صَلَاتَكُم إِلَىٰ صَلَاتِهِم، وَقِرَاءَتَكُم إِلَىٰ قِرَاءَتِهِم، وَعِبَادَتَكُم إِلَىٰ عِبَادَتِهِم»(٢) ذكر أشياء تحصل منهم، أنا ذكرت أشياء حصلت منهم، يصيحون يقولون: يفضل هؤلاء علىٰ أهل المذاهب!!

أهل المذاهب الصحيحة أنا ما أفضل عليهم هؤلاء الخوارج المجرمين، لكن هم قد يكونون أفضل من الصوفية القبوريين الخرافيين، يعتقدون في الأولياء أنهم يعلمون الغيب، يعتقدون فيهم أنهم يتصرفون في الكون، يدعون الناس إلىٰ عبادتهم، وإلىٰ الطواف بقبورهم، يؤلفون المجلدات في كرامات الأولياء، فيها الفواحش، مؤلفات النبهاني، مؤلفات الشعراني، ومؤلفات غيرهم، خرافات التيجانية، خرافات وشركيات وبدع وضلالات، ويقولون: إنهم هم أهل السنة! ويقولون عن أهل السنة الحقيقيين: أنهم خوارج! ويكفرونهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث عليٍّ ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

س: قام أحد الدعاة بوضع برنامج، وكان في هذا البرنامج قبران اثنان، وضع في أحدهما لبة حمراء، ووضع في الآخر لبة خضراء، وقال: من أراد أن يتخلص من ذنبه فليدخل هنا. **فما رأيكم في هذه الوسيلة الدعوية الجديدة؟**

الجواب: الله -تبارك وتعالىٰ- قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

فالله لم يشترط أن نذهب إلىٰ القبور، ولا تقبل توبتنا إلا إذا دخلنا في القبور، بل القبور محرمة، وملعون من اتخذها مساجد، «**لَعنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ**، يُحذر ما صنعوا»[1]، واتخاذها مساجد أن يصلىٰ إليها، أو يصلىٰ عليها، أو يبنىٰ عليها، فهذه من اتخاذها مساجد.

وهذا قبوري، الذي يفعل هذا ليس من أهل السنة، هذا من دعاة الشر والفتن والضلال، فالقبور التي عليها بناء نحن مأمورون بهدمها، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

والتوبة تُقبل من العبد أينما كان، في أعماق البحار، أو في قمم الجبال،

(١) تقدم تخريجه (ص١١٠).

أو في أي مكان كان، يتوب يقبل الله توبته، و«لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيهِ مِن أَحَدِكُم كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرضِ فَلَاةٍ فَانفَلَتَت مِنهُ وَعَلَيهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضطجعَ فِي ظِلِّهَا قَد أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبَينَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِندَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللهُم أَنتَ عَبدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ»(١)، فالله أشد فرحًا من هذا بتوبة عبده.

ولا يشترط للتوبة أن نذهب إلىٰ القبور، ثم هذا قبر من؟ والله بعض القبور التي تُعبد من دون الله فيها حيوانات، فيها مجرمون، حتىٰ لو فيها صالحون، حتىٰ لو فيها أنبياء لا يشترط التوبة أن تكون في القبور، فهذا قبوري يدعو للقبورية.

حفروا قبورًا ينظرون فيها ليتوبوا ماذا ينتفي من الأول؟

علىٰ كلٍّ، هذا مشعوذ، هل يشترط الله إذا أراد قبول التوبة أن نذهب إلىٰ قبور حفرها فلان، ولا تقبل توبتنا إلا عند هذين القبرين المحفورين؟ هذا دجال مشعوذ، أين دليله؟ هات الدليل؟ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١] أن هذا من شروط قبول التوبة، هذا من الضلالات.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

[أسئلة رسالة: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»]

س: شيخنا الفاضل، هذا سائل يقول: حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» سمعت بعض أهل العلم يقول: وأن من لم يرد الله به خيرًا لا يفقهه في الدين، فهل هذا صحيح أرجو التوجيه؟

الجواب: نعم هذا مفهومه، مفهوم مخالفته: أن من لا يُفقهه الله في الدين فما أراد الله به خيرًا، ونص علىٰ هذا العلماء منهم الحافظ ابن حجر وابن تيمية وغيرهما، هذا واضح، يعني لا يعرف عقيدته ولا يفقه عبادته، أي خيرٍ فيه؟ لكن إذا فقه العقيدة، وتجنب الشرك -ولو كان قليل العلم-، يعرف كيف يُصلي، وكيف يصوم، وكيف يحج، فهذا فيه خيرٌ إن شاء الله، لكن هذا الذي يمكن أن يُفهم من الحديث.

س: شيخنا -حفظكم الله- تعلمت علمًا علىٰ أحد طلبة العلم وأتقنته، وأنا الآن بين أمرين: إن كتمته أخشىٰ أن أكون من الذين يكتمون العلم، وإن علمته للناس في المسجد أخشىٰ أن أكون من الذين يعلمون الناس وهم لم يبلغوا درجة العلماء، فما توجيهكم حفظكم الله؟

الجواب: والله نحن ما أتقنا، كيف تقول: أتقنته وأنت صغير، فهذه مرتبةٌ كبيرة، ولا تقول: أتقنت، أخشىٰ أن يكون هذا من الغرور، ما أحد يدَّعي الإتقان، فقُل: تعلمتُ شيئًا، وأريد أن أُعلِّمه لمن يحتاج إلىٰ هذا العلم، تعلَّمت الأصول الثلاثة وفهمتها تمامًا، علِّمها لغيرك وأخلص لله في هذا العلم، تعلَّمت كتاب التوحيد، تعلَّمت عمدة الأحكام وفهمتها علِّم ما عندك في حدود علمك، ولا تدخل في شيءٍ فوق طاقتك، وإذا لم تفهم سؤالًا وُجه إليك، فقل: الله أعلم، لا تقل علىٰ الله بغير علم، لأن هذا أمرٌ كبيرٌ!

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

القولُ علىٰ الله بغير علم كبيرٌ وعظيم ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦].

«ومن كذب علي مُتعمدًا فليتبوأ مقعدهُ من النار»(١).

لا يجوز أن تتكلم بغير علم فإن هذا من الكذب علىٰ رسول الله أن تقول: قال رسول الله كذا وتكذب، هذا من أعظم ما يكون، قد تفتي بفتوىٰ تقولها من عندك لا أصل لها من الكتاب والسنة، وتنسبها إلىٰ الله وإلىٰ الرسول،

---

(١) تقدم تخريجه (ص٨٤).

فتكون كاذبًا علىٰ الله وعلىٰ رسوله -عليه الصلاة والسلام-.

فإذا كان عندك شيء من الخير، وأرجو لو أنك تمر علىٰ شيخ يختبرك ويعطيك إجازة، ويعطيك إذنًا بالتعليم، مالك ﷺ ما شرع في التدريس والفُتيا إلا بعد أن شهد له سبعون عالمًا أنه يصلح لهذا، فإذا كان لديك شهادة جامعية يمكن أن تنفعك إن شاء الله، ما عندك شهادة فمن نصحي لك أنك تعرض نفسك علىٰ بعض العلماء الأتقياء الموثوق بعلمهم ودينهم ونصحهم، وإذا قال لك: علِّم الكتاب الفلاني وقد عرفته واختبرك فيه فوجدك جيدًا، أذن لك.

أنا جاءني واحد، قال: إنه يحفظ الأمهات الست، وبعد ذلك أحسست أنه يطلب مني تزكية، قلت له: لا أزكيك حتىٰ أختبرك، وواحد أخذ إجازة من بعض المشايخ وهو صغير مسكين، وراح يكتب تزكيات أو إجازات لأطفال، ويقول: أعطيت هذه الإجازة لهذا المحدث الكبير وهو ما عنده شيء! فاستدعيته ونصحته، فقال: أنا أنسحب، أتوب إلىٰ الله ﷻ.

فهذا الذي يقول: أتقنت، أنا أخاف عليه، والله أنا ما أتقنت، شاب عُمُري في العلم، ولا أقول: أتقنت، فدع مثل هذه الدعوىٰ بارك الله فيك.

الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول: كُلما ازددت علمًا كُلما أرىٰ نفسي أنني ازددت جهلًا**[1].

---

(١) قال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٤/ ١٦٧): ومن المنسوب إلىٰ الشافعي:

كلما أدبني الدهـ ... ـر أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علمًا ... زادني علمًا بجهلي

إذا قال العالم: إني عالم فهو جاهل[١].

فلابُد أن تسلك مسلك السلف في التواضع، والنظر إلىٰ نفسك بأنك ضعيف، وأنك جاهل، لا تقل: أنا عالم وأتقنت بارك الله فيك!

س: شيخنا الفاضل قولُ النبيﷺ: «يخرُجُ من عدن أبين اثنا عشر ألفًا ينصُرُون الله ورسُولهُ»[٢]، ما معنىٰ عدن أبين؟ وهل الخروج يكون من عدن فقط أم من عدن وأبين وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: عُرض علي هذا الحديث وأظن أنني ضعفته والله أعلم، ولكن هذا حصل منه شيءٌ في عهد الصحابة، مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ

---

(١) يروىٰ هذا الكلام عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

رواه مسدد في «مسنده» (١٢/ ٥٥٩برقم٣٠٠٦)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١٢/ ٣٦٠برقم٣٠٠٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة (٢/ ٨٦٨برقم١١٨٠- الإيمان)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٩٧٣برقم١٧٧٧) من طرق عن عمر رضي الله عنه، إلا أنها منقطعة.

وروىٰ الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ١٨٦برقم٣٠٨) عن نُعَيم بن حَمَّادٍ قال: قَالَ ابنُ المُبَارَكِ: «لا يَزَالُ المَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ العِلمَ، فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَد عَلِمَ؛ فَقَد جَهِلَ».

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٨٢).

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

قالوا: أنهم أمداد اليمن، وعدن معروفة من اليمن، وجاء ناسٌ منها ونصروا الإسلام وشاركوا في نصر الإسلام في الدنيا كلها، فلربما يعني الحديث هذا النوع -والله أعلم- إن صح، أنا أذكر أنني ضعفته، لكن الواقع هو هذا، أنه جاء ناسٌ من اليمن ونصروا الله ﷻ ، ونصروا الإسلام، وشاركوا في نشر الإسلام في المشرق والمغرب.

هذا سائل يقول: شيخنا -سلمكم الله- نجد كثيرًا من علوم الدين وعلوم الآلة عند بعض من انحرف عن المنهج السلفي، ولكن عندهم ملكة في تلك العلوم، فهل نحضر مجالسهم خاصة وأننا نجد الفائدة منهم؟

الجواب: هذا فيه تفصيل، وقد بين لنا ذلك السلف في مواقفهم الرشيدة -رضوان الله عليهم-، كانوا في بدء الأمر وعند ظهور البدع ما كانوا يأخذون عن أهل البدع شيئًا أبدًا، ويقولون: سَمُّوا لنا رجالكم فإن كانوا من أهل السنة أخذوا عنهم وإن كان من أهل البدع تركوه لم يأخذوا عنه.

ثم دخل ناسٌ من أهل البدع وعندهم تديُّن دخلوا في العلم وخاضوا فيه وتعلموا وتوغلوا في العلم، حفظوا الحديث وحفظوا القرآن، وتفقهوا في الدين، واشتهروا بالعلم والعبادة والصدق والإخلاص، لكن عندهم شُبهٌ لا يدعون إليها، لا يدعو إلىٰ تلك البدعة أبدًا لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، ويُحب أهل السنة فهذا الصنف أخذوا منه.

وعلىٰ العكس من يتعلم العلم لينصر باطله ويستعين به علىٰ نشر بدعته فهؤلاء حذروا منهم ولم يأخذوا منهم شيئًا.

أضرب لكم مثالًا: سُئل عبدُ الله بن المبارك - رضي الله عنه ورحمه- قالوا: ما بالكم تأخذون العلم عن هشام الدستوائي وسعيد يعني سعيد بن أبي عروبة وتتركون عمرو بن عبيد؟ كلهم قدرية، عمرو بن عبيد قدري، وسعيد بن أبي عروبة من علماء الحديث، لكن كان عنده شيءٌ من القدر، وهشام الدستوائي كذلك، قالوا: ما بالكم تأخذون عن سعيد وهشام ولا تأخذون عن عمرو؟ قال: لأنهما سكتا وهو يدعو، هم ما يدعون إلىٰ بدعتهم، الناس آمنون من شرهم، إذا ضمنت أنه ما يوصل لك شره، فهذا خذ منه.

إنسانٌ يدعو إلىٰ بدعته لا تأخذ منه أبدًا، ولو بقيت جاهلًا لا تأخذ منه، لأنك أن تبقىٰ علىٰ فطرتك والعلم قليل عندك خيرٌ لك من أن تضل، فالذي يُعلمك إن كان يدعو إلىٰ بدعته ويدس السُّم في العسل، فابتعد عن هذا السُّم لا يهلكك، هذا ما أجيب به علىٰ هذا السؤال، وهي قاعدة طيبة إن شاء الله.

أحسن الله إليكم، هذا سائل يقول: قال بعض أهل العلم: «من تصدر قبل أوانه فقد تصدىٰ لهوانه» أرجو منكم شيخنا الفاضل التعليق علىٰ هذه العبارة؟

الجواب: لا شك في هذا الذي تصدر قبل أوانه سيظهر للناس جهلُه وضلالُه، إن كان ضالًا أو يظهر جهلُه علىٰ الأقل، فيُفضح ويُهان، فلا تستعجل

في التعليم، تعلم وأتقن العلم إذا استطعت الذي أنت فيه.

في التفسير: تعلم التفسير وأصوله، وكيف تُفسر هذه السورة، وكيف تُفسر هذه الآية، واحذقها، وكيف تخوض في التفسير وأنت ضعيف والله عرَّضت نفسك للهوان في الدنيا والآخرة، عندك معرفة جيدة وتحفظ الآية وتعي معناها اللغوي وتعرف كيف تستنبط منها في ضوء أصول الفقه، وتستطيع أن تفسرها بالأحاديث التي تُميز بين صحيحها وضعيفها فتأخذ الصحيح تُفسر به الآية هذا جيد، وإلا تُفضح! تأتي بالأحاديث الضعيفة، وتأتي بالمعنىٰ الركيك، وتأتي بالمعنىٰ الباطل في شرح الحديث، أو الآية، أو في الفقه، أو حتىٰ في اللغة، وتأتي بما لا يعرفه أهلُ هذا العلم فتفضح نفسك!

هذا سائل يقول: قول ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»، هل معناه أنه لا يؤخذ العلم ممن هو مستورٌ حاله؟

الجواب: المستور في الرواية يُستأنس به، يستأنس بحديثه، ما يُعتمد عليه ولا يُحتج به، لأن الحديث أو العلم لابد في تلقيه من شروط: أن يكون من تأخذ عنه عدلًا ضابطًا، وإذا كان الإسناد لابد أن يكون متصلًا، وأن يكون سليمًا من الشذوذ والعلة، فاشترط العلماء العدالة والضبط، وهذا لا يحصل إلا للمشهورين بالعلم ونشره، لا المجاهيل والمستورين.

لكن إذا عندك شيءٌ تعتمد عليه، ثم وجدت من إنسان مستور الحال مجهول الحال وهو المستور وجدت من حديثه ما يوافق الحديث العمدة

الذي تحتج به، فاستأنس به، أو وجدت مستورًا آخر أو حديثًا مرسلًا أو من طريق إنسان اشتهر بالعلم لكن عنده سوء حفظ.

فإن هذا مما يدل علىٰ أن هذا المستور قد ضبط ما جاء به من الحديث، إذا وجد ما يدعمه ويعضُدُه كان هذا دليلًا علىٰ أن هذا الإنسان الذي تخاف ألا يكون ضبط هذا الحديث يكون هذا دليلًا علىٰ أنه قد ضبط ما بلغك من الحديث، فيُحتج به، وينتقل من درجة الضعيف إلىٰ درجة الحسن لغيره، وهو من الأحاديث التي يُحتج بها.

نختم بهذا السؤال شيخنا الفاضل يقول: ذكر الترمذي في جامعه معلقًا عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «لا يبع في سوقنا إلا فقيه» فهل من كلمة حول هذا الأثر خاصة وقد انتشر بين بعض الناس -هداهم الله- بعضُ البيوع المحرمة؟

الجواب: الحديث أنا لا أعرفه، وهو يقول معلق، والمعلق من أقسام الضعيف، لكن الذي يتاجر لابُد أن يتفقه في بضاعته، يعرف ما يحلُّ ويحرم فيها، أنت ما عندك مال إذن ما يلزمك أن تتعلم ما يصح به حجُّك وما يفسده، لكن إذا تمكنت من الحج، من الزاد والراحلة حينئذٍ يلزمك أن تتعلم ما يصح به حجُّك وما يفسده.

الصلاة يجب أن تتعلم ما يصلحها وما يفسدها، البيع والشراء، أنت في تجارةٍ معينة في الذهب والفضة، في الحبوب، في المواشي، لابد أن تفقه

كيف تعطي، وكيف تأخذ، وإلا تأثم، يقع في الغش، يقع في الظلم، يقع في أشياء إذا لم يكن فقيهًا في دينه، لكن إذا كان الرجل يعرف أن هذا البيع ما فيه ربا هذا بيعٌ حلالٌ، أحله الله ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وإذا كان جاهلًا أطبق عليه جهلُه لا يُفرق بين ربا ولا بيع، هذا يُعتبر من الهلاك والعياذ بالله، وفي زمن عمر ﷺ كانوا فقهاء كلُّهم أو جلهم -الصحابة رضوان الله عليهم-.

❊ ❊ ❊

[أسئلة رسالة: «العمل بالعلم»]

س: يقول السائل: كيف يضل الإنسان عن الحق وهو مبين في كتاب الله ومشروح في كتب السلف وواضح وضوح الشمس، نسأل الله السلامة؟

الجواب:

أولًا: يجب أن تؤمن بالقدر، وأن الله كتب السعادة لأقوام والشقاء لأقوام، وكُلٌّ مُيسَّر لما خلق له، فمن خلق للسعادة يسره الله لعمل أهل السعادة، ومن خلق للشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاء.

ومرجع ذلك إلىٰ أن الله ﷻ يضل من لا يستحق الهداية وليس أهلًا للسعادة، ويوفق من شاء سبحانه ويعلم أنه أهل أن يكون من أهل السعادة وممن يصلح لحمل رسالة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ونشرها والعمل بها.

قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وفضل الله يؤتيه من يشاء ﷻ، هو خلق وقدر، وخلق فريقًا للجنة وفريقًا للسعير، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن:٢].

وقال سبحانه: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]، فالسبب في ذلك أن الله ﷻ يمن علىٰ مَن يشاء مِن عباده ويوفقهم ويسددهم، ويخذل من شاء خذلانهم فلا يُوَفَّقُون.

ومن أسباب الضلال -كما ذكر في هذا الفصل- حب الشهوات وحب الرئاسات، فيكون كتاب الله واضحًا عندهم وسنة الرسول واضحة ولكن يتعمدون المخالفة، فيؤثر هواه ويؤثر دنياه علىٰ أخراه.

س: يقول السائل: هل يجوز أن نطلق صفة لله بدلالة الالتزام من غير أن يكون فيها نص ثابت، كمن يقول: يلزم من صفة المجيء الحركة؟

الجواب: لا يجوز، فأسماء الله وصفاته توقيفية فلا نثبت إلا ما أثبته الله لنفسه ولا ننفي إلا ما نفاه عن نفسه، وهذه قاعدة سلفية يُرَدُّ بها علىٰ المعطلة وعلىٰ المجسمة، فالمجسم يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا، والموحد يعبد الله حقًّا علىٰ بصيرة وعلم، فيصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

س: يقول السائل: هل الظل في حديث «يوم لا ظل إلا ظلُّه»[1] فيه صفة لله تعالىٰ أم هو ظل العرش؟

الجواب: ظل العرش، وقد جاءت روايات مصرحة بهذا.

س: يقول السائل: هل يجوز للمعتكف في الحرم المكي الخروج إلىٰ مجالس العلم علمًا أنه لا يوجد علماء في بلده، وإن لم يكن جائزًا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فأيهما أفضل الاعتكاف أم مجالس العلم؟

الجواب: مجالس العلم موجودة في الحرم، أم أن مرادك أن تترك الاعتكاف وتذهب إلىٰ بيوت الناس؟

الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يجلس في خيمة، لكن إذا ذهبت إلىٰ عالم في المسجد تستمع إليه وعدت إلىٰ مكانك فأنت لا تزال معتكفًا ولم تقع في مخالفة إن شاء الله.

وبهذه المناسبة فإن الرسول ﷺ كان يعتكف ولا يخرج إلا لحاجة الإنسان، حتىٰ إنه لا يعود المرضىٰ -عليه الصلاة والسلام-، فأنت لا تخرج إلا للحاجة الضرورية كقضاء الحاجة، أو أنك ما وجدت أحدًا يأتيك بالطعام فتخرج وتأكل بسرعة وترجع إلىٰ ما التزمته من العكوف علىٰ طاعة الله وعبادته.

س: يقول السائل: ورد عن بعض المشايخ أن أهل السنة لا يُمكنون أهل البدع من صلاة الاستسقاء لأنه لو نزل الغيث قد يغتر الناس بهم، فإذا كان أهل البدع في بلادنا هم القائمون علىٰ صلاة الاستسقاء هل يُحضر لمثل هذه الصلاة؟

الجواب: الظاهر أنه يحضر، فإن كان عندك سلطان لتمنع أهل البدع من الاستسقاء والصلاة بالناس فذاك لا بأس، بل يجب أن تقوم بهذا، وإذا ما كان عندك سلطان فاتق الله ما استطعت وصل في مساجد هؤلاء إن لم تقم عليه الحجة، فما دام مستورًا ولم تقم عليه الحجة فصلِّ وراءه، فصلاة

الاستسقاء وصلاة العيد وصلاة الجمعة لا تخالف المسلمين فيها، لأنها أمور عامة، وهي شعار من شعارات الإسلام فلا تتخلف عنها، وإذا تمكنت من منعهم من قيادة الناس في هذه الشعارات فامنعهم، وإذا ما عندك فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

والصحابة كانوا يصلون وراء أهل البدع، فصلىٰ بعضهم وراء المختار لعنة الله عليه، ما عرفوا حقيقته يعرفون أنه منحرف لكن ما عرفوا أنه ادعىٰ الربوبية وادعىٰ النبوة، وكانوا يُصلُّون وراء الخوارج، وبوَّب علىٰ ذلك البخاري بابًا.

فالحاصل: أن الشعائر الإسلامية لا تترك، والإنسان يؤدي طاعة الله ﷻ بحسب استطاعته، والقول بأنه إذا أمكن أهل السنة ألا يصلي بالناس إلا السلفيون فهذا والله واجب عليهم، وإذا ما استطاعوا فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فلا نهجر المساجد من أجل أن الإمام مبتدع أو الذي يستسقي بالناس مبتدع أو الذي يصلي العيد مبتدع، لا نترك هذه الشعارات الإسلامية، فلا نهجر المساجد إلا إذا كان فيها قبور فلا نصلي فيها.

س: يقول السائل: لي دَيْن علىٰ شخص فقير يستحق الزكاة، فهل إذا وضعت عنه الدين بما يعادل زكاة الفطر أكون بذلك قد أخرجت هذا النوع من الزكاة ؟

الجواب: بشرط ألا تكون يائسًا من دفعه المال الذي عنده ورده إليك، لأنه إذا كان هذا حال المدين تكون هذه حيلة، لأنك لم تتنازل عن هذا المال

إلا بعد اليأس من أخذه منه، وإذا كان بإمكانه أن يؤدي وهو ثقة فالظاهر أنه يجوز.

س: يقول السائل: ما حكم لبس القبعات والتي قد يكون في بعضها زخرفة تشابه الصليب؟

الجواب: لبس القبعات من شعارات الكفار، ولا يجوز للمسلمين أن يتبعوا المشركين في هذا الشعار الكافر والمظهر الكفري.

قال -عليه الصلاة والسلام-: **«من تشبه بقومٍ فهُو منهم»**[(١)].

فيجب علىٰ المسلمين أن يتميزوا عن الكفار في أكلهم وشربهم ونومهم وركوبهم ولباسهم وفي كل أمر يتميزون به عن الكفار، إلا في أمور مشتركة بين المسلمين والكفار وليست من خصائص الكفار، فالقبعة هذه قد حصل فيها معارك بين علماء المسلمين وبين الكُتَّاب السفهاء.

فيذكر مصطفىٰ صادق الرافعي وأحمد شاكر وغيرهم أن الناس لما شرعوا في تقليد الكفار والتأثر بهم والأخذ بمظاهر الكفار ومن ذلك لبس القبعة، فنصح علماء المسلمين جهال الناس وسفهاءهم عن لبس هذه القبعة، فقام بعض الكتاب يقولون بالجواز ويذكرون فوائد لبس القبعة، وأنها تقي الرأس والعيون من الشمس، ثم بعد أيام خلع الكفار القبعات

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٤٩).

ومشوا برءوس مكشوفة فقلدهم الرعاع من المسلمين فأصبح الكتاب يبررون كشف الرأس، فيتلاعبون بعقول الناس!

الشاهد: أن علماء المسلمين أنكروا هذا، وهذا حق ودليلهم قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**من تشبه بقومٍ فهو منهم**».

وعمر ووافقه الصحابة لما فرضوا الجزية علىٰ الكفار شرطوا عليهم شروطًا أن يخالفوا المسلمين في لباسهم وفي جلوسهم وفي ركوبهم وفي أمور كثيرة ليتميز الكافر من المسلم.

وأنت الآن إذا ذهبت إلىٰ كثيرٍ من بلاد المسلمين لا تستطيع أن تُميز بين اليهودي والنصراني والمسلم وبين اليهودية والنصرانية، لأن المسلمين بجهلهم وقيادة أهل السوء لهم -من الصوفية الخرافيين ومن الكُتَّاب المنحرفين- يسارعون إلىٰ متابعة الكفار مع الأسف الشديد.

وقد أخبر رسول الله ﷺ بهؤلاء فقال: «**لتتبعُن سنن من كان قبلكم حذو القُذة بالقُذة حتىٰ لو دخلُوا جُحر ضبٍّ لتبعتموهم**»[1].

فكثيرٌ من الناس يحاكون الكفار ويقلدونهم، فكل موضة وكل جديد يأتي من الغرب يعتبر عندهم تقدمًا ورقيًا، ومخالفته تخلفًا ورجعية مع الأسف الشديد، نسأل الله العافية.

الشاهد: أن هذا لا يجوز، فنسأل الله أن يوفق علماء السنة في هذا البلد

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٧٥).

أن يُبينوا للناس واقع هذه القبعة التي ترىٰ بعض الأطفال وبعض الشباب وبعض الرجال يلبسونها ويدخلون بها المساجد مع الأسف، فنحن نأمل من العلماء والخطباء أن يحاربوا هذه الظاهرة الخبيثة السيئة، ويبينوا للناس حكم الله فيها، وأنها تقليد خبيث وسيئ لأعداء الإسلام.

والمسلم عزيز لا ينحدر إلىٰ مثل هذا المستوىٰ فيكون ذيلًا وذنبًا لأعداء الله.

* * *

[أسئلة رسالة:
«العلم أفضل ما تكسبه النفوس وتحصله القلوب»]

س: ما حكم دعاء القنوت قبل العشر الأواخر، وهل كيفية الإتيان به حاليًّا مشروعة؟

الجواب: بعض الناس يرون القنوت في صلاة الفجر في كل سنة وفي كل شهر وفي كل يوم وهم الشافعية، وهم مستندون إلىٰ حديث ضعيف، وهو أن الرسول ما ترك القنوت.

وهناك حديث عن أنس رواه البخاري ومسلم وفيه أن رسول الله ﷺ قنت شهرًا يدعو علىٰ حي من أحياء العرب، ثم تركه لما أنقذ الله من يدعو لهم توقف -عليه الصلاة والسلام-[1].

وكان الصحابة ﭫ يقنتون في النوازل، والرسول كذلك كان يقنت في النوازل، فالسنة أن القنوت لا يكون إلا في النوازل.

وورد في بعض الأحاديث أنه ﷺ قنت في رمضان في النصف الأخير، فهذا ما أقوله في هذه المسألة.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٤)، ومسلم (٦٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

س: رجل قام من النوم فشرب أثناء الأذان الثاني في الفجر ظنًّا منه أن ذلك جائز إلىٰ أن يكمل المؤذن الأذان، فما الحكم في ذلك؟

الجواب: متىٰ يؤذن، بعد طلوع الفجر أم قبله؟ فإن كان المؤذن يؤذن قبل طلوع الفجر فلك أن تشرب، وإن كان يؤذن بعدما تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فليس لك ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة:١٨٧]، حتىٰ هنا للغاية، فإذا تبين طلوع الفجر فليس لك أن تأكل وتشرب ولا تجامع، فهذا حرام.

وكان لرسول الله مؤذنان، أحدهما يؤذن الأذان الأول وهو بلال، ويقول فيه: الصلاة خير من النوم، ليستيقظ النائم ويرجع القائم، وإذا فرغ من الأذان ما شاء الله أذن ابن أم مكتوم، ولا يؤذن حتىٰ يقال له: أصبحت، فإذا أذن الأذان الثاني توقف الناس عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات.

أما أن تسمع الأذان وتستمر في الأكل والشرب وقد علمت أنه لا يؤذن إلا بعد طلوع الفجر فليس لك ذلك، اللهم إلا إن كان في بعض البلدان يحتاطون في الأذان فيؤذنون قبل طلوع الفجر احتياطًا وإن كان هذا خلاف السنة، لكن إذا كان هذا واقعهم فله أن يشرب لأنه لم يخالف النص بل امتثله ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ [البقرة:١٨٧].

س: ما حكم بيع الهاتف الجوال الذي يحتوي علىٰ آلة تصوير؟

الجواب: أظن أن هذا يصيح منه الناس لفساده، فهذا الهاتف الجوال من وسائل الفساد والإفساد، التصوير في حد ذاته محرم في الجوال أو في غيره، فبيع كاميرا الجوال أو التلفزيون أو اليد أو أي وسيلة حرام، لعن الله المصورين.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة المصورُون**»[(١)] فالتصوير لا يجوز، لأن المصور يضاهي خلق الله.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**قال الله تعالىٰ: ومن أظلمُ ممن ذهب يخلقُ خلقًا كخلقي، فليخلُقُوا حبةً أو ليخلقُوا ذرةً أو ليخلقُوا شعيرةً**»[(٢)] فهل يستطيع أحد أن يخلق شعيرة أو حبة، فكيف يتجرأ علىٰ الله ويضاهيه في خلقه؟ فالله سبحانه هو المصور.

قال تعالىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤].

فكيف تصور وقد حرم الله ﷻ التصوير ولعن فاعله، وتوعده بأنه من أشد الناس عذابًا، وهذا الوعيد ما جاء إلا لفرعون وآله، قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

بعض الناس أكثروا من الكلام عن الربا حتىٰ بلغوا حد تكفير فاعله، وفي نفس الوقت تجدهم يتهالكون علىٰ التصوير ويُجرئون السفهاء علىٰ مخالفة هذه النصوص العظيمة التي تُحرم التصوير.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فالربا ورد فيه وعيد شديد، لكن لم يرد فيه مثل ما ورد في التصوير، قال ﷺ: «**لعن اللهُ آكلَ الربا ومُوكلهُ وشاهديه وكاتبهُ**»[(١)].

ووردت نصوص تُحرم الربا بكل أشكاله وأصنافه والتشديد فيه، لكن ما ورد في التصوير أشد، لأنه يجر إلىٰ الفساد، والتصوير من أخطر وسائل اليهود والزنادقة لإفساد المسلمين.

وأنتم ترون الآن الصحف التي يُصدرها أفراخ الغرب من العلمانيين وأشباههم كيف تتصدر الصور هذه الصحف، صور النساء الخليعات، والحديث عن فلانة وفلانة وفلانة، وملكات الجمال والتسابق حول ملكة الجمال والكلام الفارغ، مجلات وصحف تنتشر في بلاد الإسلام الآن ولا تسمع صوتًا يُنكر هذا التصوير الذي هو من أكبر وسائل الإفساد في الأرض، ومن أكبر المعاول بأيدي أعداء الإسلام مع الأسف الشديد.

فليت العلماء يحاربون هذه الصحف وهذه المجلات بأقوىٰ ما عندهم من بلاغ وبيان، فإن هذا والله شرٌّ خطيرٌ وفسادٌ كبير، ووالله لئن سكتنا ليصدقن علينا قوله تعالىٰ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩].

وهذا صاح منه بعض الناس وبعض العلماء، فيجب أن يُمنع، لأنه نوع من الفساد.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٧٨).

س: وُجد معنا في هذه الجلسة أحد شباب جماعة التبليغ، فما نصيحتكم له بارك الله فيكم؟

الجواب: نصيحتي له أن يلتزم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يلتزم بمن يقوم على هذا المنهج، فإن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فليبحث عن العلماء الملتزمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويأخذ منهم دينه، لأن الدين ليس بالهوى.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

فليس لك خيار أن تأخذ من الطائفة الفلانية أو الطائفة الفلانية، بل يجب عليك أن تأخذ الدين من أهله، الدين الخالص الصافي النزيه من شوائب البدع والضلال.

جماعة التبليغ عندهم ضلالات، وعندهم أربع طرق صوفية فيها الشرك والحلول ووحدة الوجود، فكيف تخاطر بدينك؟

فيجب عليك أن تتحرى الحق وتطلب العلم النافع كما ذكرنا ذلك وذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

هذا هو العلم، فيطلب ما قال الله وما قال رسوله ﷺ من مصادره الأصيلة، من علمائه الصادقين ومن كتب أهل السنة والجماعة الذين ليس

عندهم لا شرك ولا بدع ولا مخالفات، هم دعاة حق وضد الباطل مهما كان مصدره، قديمًا أو جديدًا.

فجماعة التبليغ قد حذر منهم كثير وكثير من العلماء بعد أن عرفوا حقيقة ما عندهم من العقائد والمنهج، وهم يعتمدون علىٰ الرؤىٰ وعلىٰ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والعقائد المخالفة لما جاء به محمدﷺ في الأسماء والصفات وفي توحيد العبادة وفي تطبيق العبادة نفسها، فمعظم الأحناف متعصبون.

والله لقد كان جاري تبليغيًّا وهو عربي ومن قبيلة كبيرة في هذا البلد، فتغير حتىٰ في شكله وكأنه هندي من كثرة ما اصطبغ بفكر هذه الجماعة، وتراه يخالف في صلاته وفي كلامه، فتنصحه وتبين له السنة وتقول له هذه السنة في البخاري ومسلم فلا يسمع، فكفىٰ بهذا بلاءً وكفىٰ بهذا شرًّا، أن تقرأ عليه الآية فلا يطيع ولا يسمع، وتقرأ عليه الحديث الصحيح من أصح الكتب فلا يرفع بذلك رأسًا.

والفتن -نعوذ بالله منها- تُعرَض علىٰ القلوب كما قال رسول الله -عليه الصلاة والسلام-: «**تُعرضُ الفتنُ علىٰ القلوب عرض الحصير عودًا عودًا، فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكتت فيه نكتةٌ سوداء، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكتت فيه نكتةٌ بيضاء** - فهذا حديث عظيم والله يجب أن نقف عنده ونتأمله- حتَّىٰ يصير علىٰ قلبين: أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنةٌ ما دامت السموات والأرض،

والآخرُ أسودُ مُرباداً كالكُوز مُجخيًا، لا يعرفُ معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه»(١).

فالذي يخالط جماعة التبليغ أول فتنة تدخل في قلبه تنكت فيه نكتة سوداء، سواء مع التبليغ أو مع الطرق الصوفية الأخرىٰ وما أكثرها، مع الروافض مع العلمانيين مع أي أهل شرٍّ فتنة، إن جاءته واسترخىٰ لها واطمأن إليها نُكت في قلبه نكتة سوداء، ثم تأتي شبهة أخرىٰ وأخرىٰ حتىٰ تطبق علىٰ قلبه فيصير أسود مربادًا في أخبث أنواع السواد وأقبحها.

و«**كالكُوز مُجخيًا**» يعني: استه إلىٰ أعلىٰ وفمه إلىٰ أسفل، تصب عليه أنهارًا ما يدخل فيه ولا قطرة، فيسمع النصوص ويسمع الحكم والمواعظ والزواجر فما يستفيد.

«**إلا ما أُشرب من هواه**» هذا الذي يدخل في قلبه والعياذ بالله، ولهذا حذر القرآن وحذر رسول الله ﷺ من أهل الأهواء.

قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

ورسول الله ﷺ لما قرأ هذه الآية قال: «**فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه**

(١) تقدم تخريجه (ص٢٠).

منه **فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم**»[١] فحذر منهم.

وفي الآية بيان أنهم يتقصدون الفتن وإضلال الناس، ولهذا ترىٰ أهل البدع يركضون في مشارق الأرض ومغاربها، ولاسيما التبليغ تتجارىٰ بهم الأهواء كما يتجارىٰ الكلب بصاحبه، فهم يتقصدون إضلال الناس وجرهم إلىٰ منهجهم، ولا يستجيبون لداعٍ يدعوهم إلىٰ الحق، ولا يرجعون عن خطأ إلا من وفق الله، فالعناد والاستعلاء والاعتذار بالباطل متوفر عندهم وعند كثير من أهل البدع.

فمن شأن المسلم أنه يرخي أذنه ويفتح قلبه للحق ويتقبله، حتىٰ الرسول ﷺ يقبل الحق من اليهودي، والآن أعلم عالم ينصح لهؤلاء لا يسمعون له، ويقول قال الله قال رسوله ويسوق النصوص الدالة علىٰ الحق وعلىٰ بطلان منهجهم فلا يقبلون.

فقد كتب كثير من العلماء ونبهوا في كتب ومجلدات ولكن من العجب أنهم لا يسمعون، وقد كان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتلطف بهم ويلين لهم ويرجو لهم أن يعودوا إلىٰ الحق، لكنهم ما استفادوا منه أبدًا، وكانوا يستغلون كلماته التي يرون أن فيها تشجيعًا، ولكن ما من تشجيع يقوله لهم إلا وفيه احترازات وتحفظات، فيطمسون هذه التحفظات والاحترازات ويبرزون ما يريدون من كلامه ويخفون ما هو عليهم من كلامه، فيقول عندهم جهل وكذا فيخفونه، ويكذبون علىٰ الناس ويضحكون عليهم ويقولون فلان معنا.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٦).

فلما استيقن واستقر في نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ أن هؤلاء لا يستفيدون من هذه السياسة والحكمة أبدًا، بل لا يزدادون إلا فتنة واستغلالًا لكلامه صار يحذر منهم، وتحذيره محفوظ في أشرطته وكتاباته، فقال عندهم شرك وبدع وخرافات فلا يخرج معهم إلا العالم لينقلهم من ضلالهم إلىٰ الهدىٰ، ولكنْ والله حتىٰ العالم عندما يخرج معهم لا يستفيدون منه!

فقلت: يا شيخ جزاك الله خيرًا هذه وصايا نافعة، لكن حتىٰ العلماء لا يستفيدون منهم، لأنهم يأخذون العالم مصيدة فيضحكون عليه ويضحكون به علىٰ الناس، فيقولون العالم الفلاني معنا، وجاء...، الشيخ حماد الأنصاري دعوه للمشاركة في جلسة معهم، فتكلموا وتكلموا علىٰ طريقتهم، فاستأذنهم في الكلام فما سمحوا له، الشيخ عبد المحسن العباد كذلك.

الشيخ ضياء الأعظمي -أصله هندي وهو سلفي، وهو الآن في الجامعة الإسلامية- جاءوا إلىٰ بيته، فقالوا: يا شيخ نريدك أن تخرج معنا ونستفيد من علمك، فقال لهم أنا مشغول، فألحوا عليه حتىٰ أقنعوه أن يخرج ويقيم معهم أسبوعًا، فقال أخرج معكم أسبوعًا ولكن بشروط، قالوا نعم، قال إذا سمعت منكرًا أنكره، فقالوا هذا الذي نريده، فخرج معهم، وفي أول محاضرة ألقاها لاحظ عليهم أشياء، فقالوا: يا شيخ ما رأيك لو ترجع إلىٰ المدينة، فقال بيني وبينكم أسبوع، فقالوا يا شيخ ويا شيخ وتملقوا وضغطوا عليه بهذا الأسلوب حتىٰ رجع.

فهم لا يريدون تغيير المنكر أبدًا، فلا يغيِّرون بأنفسهم المنكرات ولا يريدون من إنسان أن يغيِّر منكراتهم، فلما رجع لقي كبيرهم في المدينة، فجاءه يشكو هؤلاء القوم كيف أنهم جاءوا إلىٰ بيته وطلبوا منه وألحوا عليه حتىٰ خرج معهم، واشترط عليهم شروطًا، ولما بدأ ينتقد ضغطوا عليه حتىٰ رجع، فقال كبيرهم: نعم إذا خرجت مع هؤلاء أو مع أحد منا فلا تنكر.

فما عندهم تغيير منكر أبدًا والمعروف نفسه الذي جاء به محمدﷺ من عقائد صحيحة وأعمال صادقة خالصة لا يبلِّغونه، ويبلِّغون إلا ما أشربته أدمغتهم من الباطل والهوىٰ المشوب بشيء من الحق.

س: الحزبية هل هي مثل التبليغ؟

الجواب: كلهم أهل أهواء وبينهم علاقات، فالحزبيون الذين يدَّعون أنهم سلفيون لا يحذرون من التبليغ ولا يبينون ما عندهم من أخطاء، وهذه سياسة، لأن الحزبي سياسي، فلا يتكلم إلا بما يوافق سياسته ويرىٰ أنه يوصل إلىٰ غايته، فإذا تعارضت مصلحة إسلامية وعقيدة إسلامية ومنهج إسلامي مع سياسته ومنهجه الفاسد يرجح سياسته الفاسدة ومنهجه الفاسد ويتغاضىٰ، حتىٰ أنهم الآن -الحزبيون- يمشون مع الروافض ومع غلاة الصوفية.

أما مع التبليغ فمن قديم، يُسأل المتحمس منهم عن العقيدة السلفية والمنهج السلفي وعن التبليغ يلف ويدور ولا يجاوب، أين النصيحة وأين التبليغ المطلوب؟

فهؤلاء كلهم شر، فعليك أيها الشاب المسلم أن تلتزم منهج الله الحق الذي جاء به محمد ﷺ ونفَّذه أصحابه وبلَّغوه، وتلقاه عنهم التابعون لهم بإحسان، وسار علىٰ دربهم الطائفة المنصورة المتمسكة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتتحمل ألوان الأذىٰ والمتاعب والمشاكل في سبيل الثبات علىٰ هذا الحق وفي سبيل تبليغه، فعليك بهؤلاء، والدين غريب، فالنبي ﷺ قال: «**بدأ الإسلامُ غريبًا وسيعُودُ غريبًا كما بدأ، فطُوبىٰ للغُرباء**»(١).

ما أكثر أهل البدع، وهم يتباهون بهذه الكثرة مع الأسف الشديد، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦].

فالمقياس ليس هو الكثرة أو القلة، إنما المقياس والميزان هو ما جاء به محمد ﷺ يميز لك بين الحق والباطل وبين الهدىٰ والضلال والشرك والتوحيد والسنة والبدعة.

س: نرغب من شيخنا -وفقه الله- توجيهًا لطالب العلم الذي يرغب في التحصيل ولا يستطيع الرحلة ولا يوجد في بلده مشايخ يتلقىٰ عنهم.

الجواب: من حظكم أيها الإخوة الذي كان يتمناه كثير من طلاب العلم ويحلمون به فلا يجدونه انتشار منهج السلف، فهيأ الله كثيرًا ممن وفقهم لخدمة العلم أن أخرجوا للناس كثيرًا من تلك الذخائر النفيسة، وكنا نحلم بها فلا نجدها، وهي متوفرة عندكم الآن، مثل «السنة» للخلال، و«السنة»

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لعبد الله بن أحمد، و«الشريعة» للآجري، و«أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، و«الحجة» للأصبهاني وغيرها من المختصرات والمطولات التي تعرض المنهج السلفي وتبينه للناس، وتميز بين أهل السنة والجماعة فتبين عقائدهم ومناهجهم، وتبين عقائد ومناهج الفرق الضالة بالتفصيل والأدلة والبراهين.

فهي موجودة عندكم فاستفيدوا منها، وما أشكل عليكم فاعرضوه علىٰ الأعلم فالأعلم عندكم، فإن لم يشف من عندكم غليلكم فاتجهوا بالأسئلة عبر الإنترنت وعبر الهاتف أو البرقيات أو غيرها من الوسائل، وإذا يسر الله لبعضكم أن يأتي إلىٰ الحجاز ويزور مكة والمدينة والرياض فيسأل، ويتصل من داخل المملكة فإن الاتصال عليه هنا أسهل.

فالكتب الآن بحمد الله منتشرة، فإن وجد لكم شيوخ فاحترموهم وتأدبوا معهم وخذوا منهم العلم وخذوا منهم الأخلاق، فإذا لم يوجد فاستفيدوا من هذه الكتب واسألوا عما أشكل عليكم، وما لم يُحل فأرسلوا أسئلتكم مع من كان له طريق إلىٰ الحجاز، مكة والمدينة، والرياض يتقدمون بأسئلتكم وما أشكل عليكم، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

واحذروا من كتب أهل البدع والضلال ومن أشرطتهم ومن نشراتهم في الصحف والمجلات والفضائيات والإنترنت وغيره، وتوجد مواقع سلفية فاستفيدوا منها، وتوجد مواقع خلفية تنشر ضلالها، وعندهم إمكانيات هائلة، وهذه الفتن التي تدخل ربما في قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

«وفتنةٌ تكُونُ بينكُم لا يبقىٰ بيتٌ مُسلمٌ إلا دخلتهُ»[(١)].

وهذه الوسائل الآن تتسلل إلىٰ البيوت في المدن والبوادي وفي كل مكان مع الأسف الشديد، فاحذروا من هذه الأشياء ولا يعدل السلامة شيء، فإن اخترت عالمًا فاختر عالمًا سلفيًّا صادقًا مخلصًا وكثير من الناس يدَّعون السلفية وهم ليسوا بسلفيين، «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

وأنبه إلىٰ أن بعض الشباب المتحمس قد يدرس كتب السلف ولكن لا يحسن تطبيق ما يصله من الآثار فينزلها في غير منازلها، فلابد أن يُرجع إلىٰ العلماء في كيفية تطبيقها، لأنه إذا ذهب يطبق بعض الأشياء بفهمه الخاطئ قد يضر نفسه ويضر الإسلام والمسلمين.

وهذا قد حصل، فجاء بعض الشباب المتحمسين من الحدادية الجديدة والقديمة يعتنون بالآثار وهم لا يحفظون القرآن، يهتمون بالآثار ولا يحفظون الحديث ويعتنون بآثار السلف، وآثار السلف فيها ما يصح وفيها ما لا يصح، إذا اتفقوا علىٰ شيء فيجب الأخذ به، وإذا اختلفوا نحاكم أقوالهم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذا لم يثبت هذا القول عن فلان لا نأخذ به، وإذا ثبت عنه وخالف نرده.

وهكذا هذه الأمور تحتاج إلىٰ فقه، فالحدادية كانوا يحفظون الآثار

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٢) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

وأول من حاربوا أهل السنة وشنوا عليهم حربًا بقراراتهم الهمجية، وتوجهوا إلىٰ العلماء يسقطونهم واحدًا تلو الآخر حتىٰ وصلوا إلىٰ ابن تيمية، وجاءت من جديد تسلك هذا المسلك بالطعن في العلماء وإسقاطهم، والتمسك بآثار منها ما لا يصح ومنها ما يصح ولكن لا يفهمون مقاصدها.

الشاهد أن واحدًا منهم قال إنني الآن أجمع النصوص التي كان يطرد فيها بعض العلماء أهلَ البدع من حلقاتهم، فقلت له: تريد مثل فلان وفلان، أبو إسحاق الفزاري(١) ومالك(٢) وغيره(٣)، قال نعم، قلت له: يا ولدي هؤلاء

(١) قال أبو مسهر: قدم أبو إسحاق دمشق فاجتمع عليه الناس ليسمعوا منه، فقال لي: اخرج إلىٰ الناس فقل لهم: من كان يرىٰ القدر؛ فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يرىٰ رأي فلان؛ فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يأتي السلطان؛ فلا يحضر مجلسنا، فخرجت فأخبرتُهم. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ٥٤١).

(٢) قال الحافظ أبو يعلىٰ الخليلي في «الإرشاد في معرفة علماء الحديث» (١/ ٢٧٧ ترجمة برقم١٢٧): «إبراهيم بن يوسف البلخي رئيسها وشيخها وقعت له قصة؛ دخل علىٰ مالك بن أنس فقام قتيبة بن سعيد البلخي فقال: هذا رجل يرىٰ رأي العراقيين في الإرجاء، فأمر مالك أن يخرج ويؤخذ بيده». انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢/ ٢٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ٢٠ و٦٣)، قال الحافظ أبو يعلىٰ الخليلي في «الإرشاد في معرفة علماء الحديث» (١/ ٢٧٧ترجمة برقم ١٢٧): إبراهيم بن يوسف البلخي رئيسها وشيخها وقعت له قصة؛ دخل علىٰ مالك بن أنس فقام قتيبة بن سعيد البلخي فقال: هذا رجل يرىٰ رأي العراقيين في الإرجاء، فأمر مالك أن يخرج ويؤخذ بيده». انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢/ ٢٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ٢٠ و٦٣).

(٣) انظر: الآثار عن ابن عون وسليمان التيمي وزائدة بن قدامة وعكرمة بن عمار ومعاذ بن =

كانوا في وقت غير وقتك، مالك وراءه العالمُ الإسلامي كله، وأهل البدع قليلون جدًّا، كذلك أبو إسحاق الفزاري كان يرابط في الثغور فإذا جاء المبتدع يريد أن يشارك في الجهاد طرده[1]، فيخاف أن يكون سببًا في النكبة، حماد بن سلمة كان يطردهم ويقول: الذي عنده بدع لا يجلس في مجلسي[2].

ولكن هؤلاء العالمُ الإسلامي كان وراءهم، فإذا طردوا شخصًا واحدًا فهذا فيه مكسب للدعوة السلفية وأراحوا الناس من شره، ولكن أنت تجلس في مسجد فقد لا يأتيك إلا أهل البدع وقد يحضر بعض السلفيين وغالب الحاضرين من أهل البدع، فإذا قلت مثل ما قاله حماد بن سلمة: «من كان مبتدعًا فلا يجلس في مجلسي» ذهب الناس كلهم، فذاك إذا طرد، في طرده مكسب ومصلحة، وأنت الآن إذا طردت الناس ضيَّعت الإسلام، ومن سيدخل في دعوتك؟ والرسول ﷺ يقول: «**لأن يهدي اللهُ بك رجُلًا واحدًا**

=

معاذ ويعلىٰ بن عبيد في امتناعهم من تحديث أهل البدع في «الجامع» للخطيب (١/ ٥٢٠-٥٢٥).

(١) انظر: «معرفة الثقات» للعجلي (١/ ٢٠٥)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ٥٤١).

(٢) حماد بن سلمة كان يطردهم ويقول: الذي عنده بدع لا يجلس في مجلسي.

قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٢٥٠): «وَكَانَ حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ إِذَا جَلَسَ يَقُولُ: مَن كَانَ قَدَرِيًّا فَلْيَقُمْ».

خيرٌ لك من حُمُر النعم»[1].

فأنا أنصح بقراءة هذه الكتب ولكن لابد من التفقه فيها، ولابد من مراعاة موافقتها للكتاب والسنة واجتماع السلف عليها، فقد يكون فيه ضعف أو مخالفة، فلابد من مراعاة هذه الأمور، ولابد من الفقه فيها، لأن بعضهم ينقلها بغير فقه فيهلك نفسه ويهلك الآخرين.

ووالله ما وجدنا فتنتهم وبلاءهم إلا علىٰ أهل السنة، لو هرب من أهل البدع وحذَّر منهم لهانت، لكن يحذِّر من أهل السنة وينفِّر منهم ويشوِّههم، فهؤلاء كثير منهم مدسوسون، ويدَّعون السنة، أو أنهم لا فقه لهم فيضرون ولا ينفعون، وفقكم الله.

س: يقول السائل: هل يقوم الإمام تمشية لإمامته ببعض البدع والمنكرات، لأنه إذا ترك الإمامة خلفه أهل البدع الواضحون؟

الجواب: وما الفرق بينه وبينهم إذا قام بالبدع؟ وما الفائدة من إقامتها؟ أليس يصير يقول بلسان حاله ومقاله وفعاله أن هذه البدع من السنن بحجة أنه سني وأنه إذا ترك المكان يأتي مبتدع ويخلفه!

ثم هذه البدع التي يُمشيها، هل هي من النوع الرفيع أم من الغليظ؟

وهل إذا طبقها يتركونه أم يجرونه إلىٰ ما وراءها؟ لأنه قد يُمشي بعض البدع فيُطلب منه بدع أخرىٰ فيسايرهم، وكلما سايرهم في شيء دعوه إلىٰ

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

بدع جديدة.

فمثلًا الذكر الجماعي قد يكون فيه أذكار من الشركيات، وهذه بدعة خطيرة، فكم من الأذكار فيها الشرك والضلالات، مثل صلاة الفاتح التي يعتقدون أنها أفضل من القرآن، وأن قراءتها مرة واحدة أفضل من قراءة ستين ختمة أو ستمائة ختمة، فهذه فيها بدع وشركيات.

فعليه أن يترك هذا المكان إذا بقي فيه شيء من الحياء.

والذي أرىٰ أن علىٰ أهل السنة أن يبنوا لهم مساجد يُصلُّون فيها فلا يتحكم فيهم أهل الأهواء، مساجد من أي نوع ولو كانت من الطين، أو من الحصير أو من أي شيء، ويَسْلَمُون من هذا التعنت وهذه الأمور التي تُفرض عليهم.

س: يقول السائل: فضل الصلاة في الحرم المكي عظيمة وأجرها عظيم، هل هذا يشمل النوافل كذلك؟ وهل للمسافر أن يصلي الرواتب هناك ؟

الجواب: إذا ما عنده بيت يصلي في المسجد، أما إذا كان عنده بيت فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**أفضلُ صلاة المرء في بيته إلا المكتُوبة**»(١).

وإن كان لها فضل في المسجد الحرام فلها فضل أيضًا في البيت، ولاسيما في هذا الوقت، فكثير من الناس يُصَلُّون بدون سترة فيقعون في الإثم، المصلي والمار، قال -عليه الصلاة والسلام-: «**لو يعلمُ المارُّ بين يدي المُصلي**

(١) أخرجه البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرًا لهُ من أن يمُر بين يديه»[(١)].

فلا يتحرىٰ في صلاته أن يكون إلىٰ سترة، ولا يبالي المار بين يديه، وهذا لأنه توجد بعض الفتاوىٰ رأت أنه لا حرج في ذلك لأنه ضرورة، ولا ضرورة هنا، فمن صلىٰ مع الإمام فلا يبالي بمن مر بين يديه لأن سترة الإمام سترته.

وأما ما جاء من أن النبي ﷺ صلىٰ في المسجد الحرام بغير سترة والناس يمرون بين يديه فليس بصحيح، فإن كان لابد من أن تصلي فاتخذ مكانًا تستتر به، عمودًا أو إنسانًا أمامك، والأفضل لك أن تؤجلها إلىٰ البيت، فكثير من الناس لو أخذوا بسنة الصلاة في البيت لتجنبوا كثيرًا من هذه المخالفات الخطيرة.

س: يقول السائل: ما حكم إعطاء زكاة الفطر نقدًا ؟

الجواب: حكمها أنها باطلة ومخالفة لسنة رسول الله ﷺ، فالدراهم والدنانير كانت موجودة في زمن النبي ﷺ وفي زمن الخلفاء الراشدين، شرعها ﷺ فيما يَطْعَمُه الناس، وهذا فيه شعيرة للإسلام، وإخراج النقود ليس فيه هذه الظاهرة وهذه الشعيرة، فينبغي أن نخرجها كما أمر رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٠)، ومسلم (٥٠٧) من حديث أبي جهيم ﷺ.

س: يقول السائل: تبت إلىٰ الله ﷻ من مظالم الناس، لكن لم أجد بعض من ظلمته لأرد إليه مظلمته، فقمت بتقييمها بقيمة النقد وتصدَّقت بها علىٰ أخي الذي كانت له ديون علىٰ هؤلاء الأشخاص، فهل ما فعلته صحيح؟

الجواب: أخشىٰ أن يكون في الأمر حيلة فأنت أعطيته لأخيك، أخوك هذا شقيقك أو صديقك فإن في الأمر حيلة أما أخوك فتصله من مالك الخاص، وتعطي هذه للمستحقين من الفقراء، علىٰ أساس أنه إذا وجدت أصحابها أعطيتهم المال الذي ظلمتهم إياه.

س: يقول السائل: معتكف يخرج ليشتري الطعام ويتولىٰ هو بنفسه طهيه، علمًا أنه ليس له أحد يخدمه، فهل يفسد اعتكافه؟

الجواب: والله أخاف عليه من خروجه، لأن خروجه هذا بقدر الضرورة والأطعمة جاهزة في السوق، فلماذا يطبخ هو ويأخذ وقتًا طويلًا خارج محل اعتكافه؟

فإن كان ولابد يأخذ من الطعام الجاهز ويدخل بسرعة، أو يرسل مع أناس يشترون له وهو مقيم مع المعتكفين، أما يذهب ويطبخ فلا.

س: يقول السائل: المتكلمون اليوم عن الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا كثيرون، فكيف يتعامل طالب العلم مع أحكامهم؟

الجواب: يعتمد علىٰ العلماء المُوَفَّقين المأمونين، ولا يعتمد علىٰ كل

من هب ودب، وقد يكون في هؤلاء المحققين أهل أهواء، فكما كانت الأهواء تحمل أهلها علىٰ الوضع والكذب علىٰ رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فلا نأمن أن يكون هذا المبتدع يصحح ما يوافق هواه ويضعف ما يخالفه.

وقد يكون يصحح عن جهل إن لم يكن عن هوىٰ، فلا يعرف طرق أهل السنة وقواعدهم في التصحيح والتضعيف ولم يشتغل بهذا، فيخبط خبط عشواء؛ فلا نعتمد إلا علىٰ العلماء المعتبرين، وليس علىٰ كل من هب ودب.

س: يقول السائل: تخصيص صلاة التراويح بحزبين اثنين في اليوم لا يزيد ولا ينقص، هل هذا يدخل في البدع؟

الجواب: لا أظنه يدخل فيها.

س: يقول السائل: بالنسبة للقاتل خطأ، هل الدية التي يتعارف عليها عرفًا وهي مال يسير يجزئ؟

الجواب: ما هو المال اليسير؟ فك رقبة أو صوم شهرين متتابعين أو دية مسلَّمة يجمعها تكون علىٰ العاقلة، والدية مائة من الإبل أو ما يقوم مقامها، فليس فيه مال يسير.

س: يقول السائل: ما حكم المرأة تأخذ حبوب منع الدورة الشهرية لقصد أداء العمرة؟

الجواب: الظاهر أنه لا مانع، خاصة وقد تأتي من مكان بعيد وإذا حاضت تركها الناس وذهبوا فتواجه مشاكل، وقد تعود دون عمرة، فإذا كانت مثل هذه الأشياء فالظاهر أنه لا مانع.

س: يقول السائل: إني لأحبكم في الله شيخنا، أنا حديث عهد بالسلفية الحقة ولا أعلم ما أفعل الآن، فوجهني بارك الله فيك.

الجواب: أقم الصلاة وآت الزكاة وأخلص دينك لله رب العالمين، واطلب العلم الشرعي من مناهله الأصيلة، وتعاون مع إخوانك السلفيين علىٰ البر والتقوىٰ في تبليغ هذه الدعوة وابذل في سبيلها إن كان عندك ما تبذله في سبيل نصرتها، واعمل الصالحات كلها، قم بالواجبات وتعلم أركان الإسلام وشرائعه، والمنهج السلفي بما فيه من الأصول والفروع.

وهذه يجمعها قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر:٢]، فعليك بالإيمان الصادق والعمل الصالح والتعاون فيها علىٰ البر والتقوىٰ.

س: يقول السائل: جئت معتمرًا، فهل يجوز لي الأكل من الطعام الذي يُتصدَّق به في الحرم، مع أني والحمد لله ميسور الحال، وهل علي إثم؟

الجواب: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان فأنت تحفظ مالك لتأكل علىٰ حساب الناس، إن أكلت فلا بأس، ولكن أنفق أيضًا، أنا أخشىٰ أن يكون هذا بخلًا «اللهم إني أعوذُ بك من

الجُبن والبُخل»[١].

فلا تبخل إذا وجدت فقراء ومساكين في هذا البلد فتصدق عليهم فهي فرصة تكثر فيها من الخيرات ولا سيما في هذا الشهر الكريم.

س: يقول السائل: رفع اليدين في القنوت مسألة يختلف فيها كثير من الشباب، فهل من توجيه في هذا الباب؟

الجواب: التوجيه أن يرفع يديه إذا دعا، فالأحاديث متواترة في رفع اليدين في الدعاء، وإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- لما ترك هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام ودَّعهما ثم وقف على ثنية ورفع يديه وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

فرفع يديه ودعا كما في صحيح البخاري وغيره[٢]، وهذه من سنن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- في الدعاء، ورسول الله ﷺ كان كثيرًا ما يرفع يديه في الدعاء.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

س: يقول السائل: بقية بن الوليد إذا صرَّح بالتحديث هل يُقبَل حديثه؟

ج: القاعدة العامة في المدلسين: أنه إذا صرح بالتحديث وهو ثقة فإنه تُقبل روايته، لكن هناك من يدلس تدليس التسوية، مثل الوليد بن مسلم وبقية وغيرهما، وهو أنه يُسقط من الإسناد ضعيفًا بين ثقتين من موضع واحد أو من مواضع، وأظنهما ممن يسقط من مواضع، فلا يُقبل منهما إلا ما صرحا فيه بالتحديث في كل طبقات الإسناد، فلا يكفي التصريح بالتحديث في شيخه، لأنه يدلس تدليس التسوية.

س: يقول السائل: يقول البعض أن الآثار التي وردت في صحيح البخاري ليست علىٰ شرطه، لأن اسم الكتاب هو: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه، فهل هذا صحيح؟

الجواب: إذا كانت من المقطوعات والمعلقات والموقوفات فليست علىٰ شرطه، لأنه ليس علىٰ شرطه إلا ما كان صحيحًا متصلًا، والمعلقات ما صرح فيه بصيغة الجزم فإنه صحيح، وما رواه بصيغة التضعيف مثل: روي، وقيل، ونُقل، وما شاكل ذلك فهذا قيل أنه ضعيف، لكن الحافظ ابن حجر والعراقي استدركا علىٰ هذا الكلام، لأنه قد يرويه بصيغة التضعيف وهو صحيح لسبب من الأسباب وهو غير الضعف وهو أنه قدر يروي الحديث بالمعنىٰ، فيرويه بصيغة التضعيف ويكون في الواقع صحيحًا، وربما هذه التي رواها بهذه الصيغة من هذا النوع يوردها في مكان آخر متصلة صحيحة لا غبار عليها.

س: يقول السائل: هل علىٰ امرأتي شيء في خطئها في تقديمها الركن اليماني علىٰ الحجر الأسود، وهي تعتقد أن الركن اليماني هو الحجر الأسود؟

ج: إذا كان خطأ فقد قال الله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ولكن يجب أن تتعلم، والجاهل إذا أراد أن يؤدي ركن الحج فعليه أن يتعلم ما يصححه وما يفسده.

لأن من الفرائض ما هو مفروض علىٰ الأعيان فيجب علىٰ كل مكلَّف مطلقًا، ومنها ما هو مفروض علىٰ الأعيان ولا يجب علىٰ صاحبه إلا إذا تعين عليه الوجوب وتوفرت عليه شروط الوجوب كالحج.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وهو من فروض الأعيان، لكن الذي لا يستطيع لا يكلَّف به، فإذا استطاع أصبح فرض عين عليه، وعليه أن يتعلم ما يصح به حجُّه وعمرتُه وما يفسدهما فيتجنبه، ويتعلم هذه المكمِّلات، فهي لا تفسد الحج ولا تفسد العمرة، ولكن يتعلم الإنسان هذه المكملات، ويتعلم سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- حتىٰ لا يخالفه في بعض تصرفاته.

س: يقول السائل: كثر في هواتف الجوال النغمات الموسيقية عند كثير إن لم نقل كل الناس، فهل من توجيه فيها ؟

الجواب: نعم، إذا فيها نغمات موسيقية فلا ينبغي ولا يجوز، لأنه يسمع

كم من مرة هذه الموسيقىٰ وهي تلازمه، والبعض لا يسمع الموسيقىٰ إلا في بعض الأحيان، لكن هذا يسمعها في اليوم عشرات المرات، فينبغي أن يغير هذه النغمة الموسيقية إلىٰ غيرها، وتغييرها سهل، فاتقوا الله ما استطعتم.

س: يقول السائل: يقع في دعاء القنوت تطويل، فهل يلزمنا المكوث رافعي الأيدي طوال هذه المدة؟

الجواب: علىٰ كل حال ينبغي علىٰ الأئمة أن يقتصروا علىٰ الدعاء المشروع، في الحرم وفي غيره، ولا يزيدون، لا يغيِّرون لا في الكيفية ولا في الصفة.

س: يقول السائل: بيع الجرائد التي تحتوي علىٰ الأبراج، هل هذا يدخل في نشر الشرك؟

الجواب: إذا كان فيه أبراج فلا يجوز بيعه ولا شراؤه، هذا أخطر من الخمر، فهل يجوز بيع الخمر أو الخنزير؟ هذه من المحرمات، والسحر أشد منها، فهو كفر والله كَفَّر من يتعلمه، فقال ﷻ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

س: يقول السائل: زوجتي بها مس، وقد عالجتها -ولله الحمد- كثيرًا وكثيرًا، ولكن تعبتُ وتعبت، وهي معي لأداء العمرة، غير أنها لم تُصَلِّ يومًا كاملًا؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢]،

ما دام عقلها موجودًا فعليها أن تصلي ولا يجوز لها أن تترك فريضة واحدة، بل لو تركت صلاة واحدة عمدًا عند بعض الأئمة تكفر، فهذا الأمر خطير، والصلاة عماد الإسلام، فلا يجوز التهاون فيها أبدًا، وعليك أن تلزمها بهذا.

* * *

الفِهرِس

الفهرس

مقدمة الناشر ٥
شرف الطالب وكمال زينته بمعرفة فضل العلم وعظيم أهميته ١١
فضل العلم والعلماء ٤٥
فضل العلم النافع ٦٩
فضل العلم وأهله ٩٣
علم الكتاب والسنة وأثره في الأمة ١٤١
مرحبًا يا طالب العلم.. ١٥٥
إن الله لا يقبض العلم ١٩٥
عوائق في طريق طالب العلم ٢١١
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.. ٢٣٥
العمل بالعلم (تعليق على كلام للإمام ابن القيم في كتابه الفوائد)...... ٢٦٧
العلم أفضل ما تكسبه النفوس وتحصله القلوب (من كلام الإمام ابن قيم
الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الفوائد) ٢٨١

مقدمة في علم الحديث ٣٠٥

* * الأسئلة:

* أسئلة رسالة: «شرف الطالب وكمال زينته بمعرفة فضل العلم وعظيم أهميته».. ٣٢٧

ما حكم الأناشيد الإسلامية والمشاهد الإسلامية الهادفة والتربوية؟ وما هو البديل لها من مراكز في مراكزنا الصيفية ؟ ٣٢٧

النصح خاص بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم هو عام لكل مسلم حسب ما يعلمه ؟... ٣٢٨

لقد انتشر في الفترة الأخيرة الإخوانية والتبليغية والقطبية والسرورية وكل من هذه الأحزاب تدعي أنها علىٰ منهج أهل السنة والجماعة ونحن هنا في هذه المدينة لا ندري إلىٰ من ننضم، فنرجو توضيح الحق؟ .. ٣٣١

* أسئلة رسالة: «فضل العلم النافع» ٣٣٣

سائل عبر الشبكة من السويد يقول: السلام عليكم، نحن في السويد نريد أن نُحضِر مشايخ الدعوة السلفية، ويقول شخص: يجب إحضارُ العلماء فقط، مع العِلم أنه مِن الصعب إحضار العلماء، فهل هذا القول صحيح -يعني في توقف الدعوة علىٰ عدم حضور العلماء-؟ ٣٣٥

يسأل صاحبه يقول: هناك بعض الدعاة ينتسب الىٰ الشيخ الفلاني أو

الشيخ الفلاني، مع أنه لا يعلم عليه جلوس إلا بضعة جلسات لا تتجاوز عدد الأصابع، فنريد منكم تحديدًا وإلقاء الضوء: متىٰ يكون الطالب أو الرجل من طلاب ذلكم الشيخ ويُعَدُّ فيهم؟ ٣٣٦

هل السؤال عن الرجال من هدي السلف؟........................ ٣٣٧

هل هذا الحديث صحيح: «مَن طَلَبَ العِلمَ فِي مَسجِدِي كَانَ لَهُ كَحَجةٍ وَعُمرَةٍ»؟ ٣٣٨

أيهم أحسن: طلب العلم مع المجاهدة لترك المعاصي -يعني: عنده بعض المعاصي-، أو أتوقف حتىٰ أترك المعاصي؟ ٣٣٨

نرىٰ كثيرًا من إخواننا الطلاب مَن لا يحرص علىٰ دروس المشايخ والعلماء الكبار المشهود لهم بصحة المُعتَقَد وسلامة المنهج ويحرص فقط علىٰ دروس الجامعة -علمًا أن فيها الخير الكثير-، من أجل أن يحصل علىٰ الماجستير، أو حتىٰ يكون له منصب كبير في بلده، كأن يكون أستاذًا جامعيًّا مثلًا، فما النصحية والتوجيه لمن يشاهَدُ منه مثل هذا؟ ٣٣٨

ما حكم دخول الحائض المسجد بحجة طلب العلم؟ ٣٤٠

ما هو المنهج الذي ينبغي لطالب العلم السير عليه إذا حصل خطأ من بعض المشايخ، وهم مشايخ وعلماء، ويَسمَع بعض طلاب العلم

ينبزهم أو يقع فيهم ويطعن فيهم؟ ٣٤١
عندنا دكتور أشعري في العقيدة، ومُؤوِّل في الصفات، وعندما نُوصِح قال: أنا لا يمكن أن أترك التأويل، والسؤال: هل يؤخذ عليه العلم؟ وكيف يكون التعامُل معه؟ ٣٤٢
ما رأيكم فيمن يقول: إن التوحيد قواعد تُعَلَّم، ولا تحتاج إلىٰ وقت كبير للتعليم، ويقول: يخطئ من يقول: إن النبي -عليه الصلاة والسلام- جلس في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلىٰ التوحيد، بل كان يبحث عن جِهَةٍ تُؤويه! فكيف يُجاب عن هذا؟! ٣٤٣
أين دعوة التوحيد اليوم من الدعاة؟ ٣٤٥
ما حكم الصلاة في مسجد فيه مُصَلىٰ، ووجدوا فيه أمواتًا -يعني مدفونة- ثم طُمِسَت، وفي ساحته كانت توجد مقبرة ثم طُمِسَت، وبقي فيها ضريح وأخرج الأموات منه -يعني من هذا الضريح فقط الذي في الساحة-، ولكن بقي المَعلَم، وزيادة علىٰ ذلك توجد لائحة أنه توجد مقبرة في المسجد، فما حكم الصلاة في هذا المسجد؟ ٣٤٥
تريد أن تعطي ابنتها من ماء زمزم، لكن ابنتها صغيرة، ولا تعرف شيئًا، عمرها أقل من شهر، والمراد من ذلك: هل يصح أن تنوي هي عنها يعني؟ وما العمل في هذا، لأنها تريد أن تصل إلىٰ قول

النبي -عليه الصلاة والسلام-: «مَاءُ زَمزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» ٣٤٦
هل يجوز لي أن أتعلم علم المَنطِق؟ ٣٤٧
هل يجوز استماع الأناشيد؟ من فضلكم اشرح لنا الأناشيد، قصدي
من دون موسيقىٰ؟ ٣٤٧
هل يجوز أن يتكلم المرء مع خطيبته في الجوال؟ ٣٤٧
* أسئلة رسالة: «فضل العلم وأهله» ٣٥٠
كيف يتدرج طالب العلم في العلوم الشرعية؟ ٣٥٠
ما حكم تعلم العلوم العصرية من الطب والهندسة وغير ذلك مما
تحتاجه الأمة ؟ ٣٥٣
هل علم السياسة داخل في العلوم الشرعية التي يجب تعلمها ؟ ٣٥٤
هل يصح تسمية اتباع الهوىٰ شركًا؟........................... ٣٦٠
ما حكم قول أن النبوات تتوقف علىٰ علم الواقع؟.................. ٣٦٠
هل يعتبر الزواج الذي لم يحصل فيه الإعلان نكاحًا صحيحًا؟ ٣٦٠
ما حكم من يقول أن الشمس تدور ؟ ٣٦١
ما نصيحتكم لمن يستعمل في دعوته إلىٰ الله الغلظة ؟ ٣٦١
ما حكم الدعاء الجماعي عند الفراغ من دفن الميت ؟ ٣٦٢
ما حكم من يقول أن رفع الإزار إلىٰ نصف الساق منفر عن الدعوة

إلىٰ الله تعالىٰ ؟ ٣٦٣
ما حكم الذهاب لأفغانستان هذه الأيام؟ ٣٦٦
هل الموازنات في نقد الأشخاص من منهج السلف؟.............. ٣٦٦
ما حكم من يسمي الحكم بغير ما أنزل الله بالشرك السياسي؟ ٣٦٨
ما حكم شرب الدخان واللعب بالورق؟ ٣٧٤
* **أسئلة رسالة: «علم الكتاب والسنة وأثره في الأمة»**................. ٣٧٦
كره بعض الصحابة والأئمة كمعاذ، وحذيفة، ومالك طلب الدعاء من الآخرين، فما هو الجمع شيخنا بينهم وبين ما قرره العلماء من جواز طلب الدعاء من الرجل الصالح، والتوسل -كذلك- بدعاء الرجل الصالح، وحديث عمر في «صحيح البخاري»؟ ٣٧٦
ما حكم بيع أو الاشتغال بإصلاح الأجهزة التي لها استعمالات مباحة وأخرىٰ محرمة كالمذياع وغيره بارك الله فيكم؟ ٣٧٧
* **أسئلة رسالة: «مرحبًا يا طالب العلم»**.............................. ٣٨٠
ترد إلينا كثير من المجلات التي فيها من البدع والخرافات، والدفاع عن أهلها، ويدَّعون أنهم سلفيون، وعجبي أن أبناء بلادنا يتهافتون عليها، كمجلة «السنة»، ومجلة «البيان»، وكثير من هذه المجلات التي تغرر بأبناء السلف الموحدين، فتنعكس النتيجة عليهم، فما رأيك

بذلك؟ ٣٨٠
هل تنصحني بالانضمام مع جماعة الإخوان المسلمين وإعطاء البيعة لأمرائها؟ ما هي نصيحتك للشباب؟ وعن جماعة التبليغ أيضًا ٣٨٢
يقول السائل الأول: تورط كثير من الشباب في التعلم علىٰ الكتب الفكرية، طلبًا للعلم والأجر، لاسيما كتاب «الظلال»، لسيد قطب، حيث يوصي الشباب بعضهم بعضًا علىٰ الأخذ من هذا الكتاب، **والآخر نقيضه يقول:** لقد كَفَّرتَ الداعية إلىٰ الله: سيد قطب، وحذرت من كتبه خاصة «تفسير ظلال القرآن»، وهذا شيء خطير أن يصدر من شيخ يدعي أنه سلفي وصاحب تقوىٰ ٣٨٧-٣٨٨
يقول البعض: نحن ليس عندنا ذبح لغير الله، وليس عندنا استغاثة بغير الله، وليس عندنا قبور يطاف بها.. إلىٰ غير ذلك من العلل، إننا إذا قرأنا في كتب أهل التوحيد نرىٰ أنهم يبوبون ويقولون: باب الخوف من الشرك، ويأتي هؤلاء الأئمة بآيات فيها بيان أن الأنبياء يخافون من الشرك، فكيف نرد عليهم، كي يهتدوا إلىٰ الحق، لأن الكثير منهم ملبسٌ عليه، ولو عرف الحق، لرجع واستقام علىٰ دعوة التوحيد.... ٣٩٥
* **أسئلة رسالة: «إن الله لا يقبض العلم»** ٤١٣
نحن إخوة سلفيون نحذر الناس من دعوة المبتدعة، ولكن المبتدعة

أوشكوا بضربنا ضربًا شديدًا ماذا علينا أن نعمل؟ هل علينا أن نتابع دعوتنا وإن ضربونا وهل يجوز لنا أن ندعو الإخوة السلفيين لنرد عليهم بشدة في حال؟ أو نبلغ الشرطة لنحمي أنفسنا من هؤلاء؟ فبماذا تنصحوننا؟ ٤١٣
زوجتي تطلب مني أن نذهب إلىٰ الشاطئ، ولكن في مكان بعيد عن الناس، هل يمكن لنا أن نستحم أم لا؟ وإذا لم أعمل هذا الشيء، فإني مُعقد ورَجعي، خصوصًا وأن زوجتي تربت في بيت أو بيئة فإنها تصلي وأني إذا وقفت سدًّا منيعًا فهذا يؤدي إلىٰ قطع العلاقة الزوجية ٤١٤
هل يجوز للمرأة أن تسوق السيارة؟ ٤١٤
هل يجوز لزوجي أن يصافح زوجة أبي؟ وهل تُعَدُّ من المحرمات عليه؟ ٤١٥
يقول السائل هل يجوز أن أسمي ابني جبريل أو ميكائيل؟ ٤١٥
متىٰ يكون هجر المبتدع؟ ٤١٥
※ **أسئلة رسالة: «عوائق في طريق طالب العلم»** ٤١٧
كيف نستطيع أن نميز بين طالب العلم من العالم؟ ٤١٧
هل هذه القاعدة صحيحة: الأصل في الناس الجهالة والظلم؟ ٤١٧
ما رأي فضيلتكم في الأوضاع الراهنة في لبنان والعراق وفلسطين؟ ... ٤١٩

يكثر الآن في بعض الوسائل: أن الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة من الفرقة الناجية، فما الجواب علىٰ ذلك يا شيخ؟ ٤٢٥
قام أحد الدعاة بوضع برنامج، وكان في هذا البرنامج قبران اثنان، وضع في أحدهما لبة حمراء، ووضع في الآخر لبة خضراء، وقال: من أراد أن يتخلص من ذنبه فليدخل هنا. فما رأيكم في هذه الوسيلة الدعوية الجديدة؟ ٤٢٩
* أسئلة رسالة: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» ٤٣١
حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» سمعت بعض أهل العلم يقول: وأن من لم يرد الله به خيرًا لا يفقهه في الدين، فهل هذا صحيح أرجو التوجيه؟ ٤٣١
تعلمت علمًا علىٰ أحد طلبة العلم وأتقنته، وأنا الآن بين أمرين: إن كتمته أخشىٰ أن أكون من الذين يكتمون العلم، وإن علمته للناس في المسجد أخشىٰ أن أكون من الذين يعلمون الناس وهم لم يبلغوا درجة العلماء، فما توجيهكم حفظكم الله؟ ٤٣١
قولُ النبيﷺ: «يخرُجُ من عدن أبين اثنا عشر ألفًا ينصُرُون الله ورسُولهُ»، ما معنىٰ عدن أبين؟ وهل الخروج يكون من عدن فقط أم من عدن وأبين وجزاكم الله خيرًا؟ ٤٣٤

شيخنا -سلمكم الله- نجدُ كثيرًا من علوم الدين وعلوم الآلة عند بعض من انحرف عن المنهج السلفي، ولكن عندهم ملكة في تلك العلوم، فهل نحضر مجالسهم خاصة وأننا نجد الفائدة منهم؟ ٤٣٥

قال بعض أهل العلم: «من تصدر قبل أوانه فقد تصدىٰ لهوانه» أرجو منكم شيخنا الفاضل التعليق علىٰ هذه العبارة؟................ ٤٣٦

قول ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم»، هل معناه أنه لا يؤخذ العلم ممن هو مستورٌ حاله؟ ٤٣٧

ذكر الترمذي في جامعه معلقًا عن عمر بن الخطاب س أنه قال: «لا يبع في سوقنا إلا فقيه» فهل من كلمة حول هذا الأثر خاصة وقد انتشر بين بعض الناس بعضُ البيوع المحرمة؟................. ٤٣٨

* أسئلة رسالة: «**العمل بالعلم**» ٤٤٠

كيف يضل الإنسان عن الحق وهو مبين في كتاب الله ومشروح في كتب السلف وواضح وضوح الشمس، نسأل الله السلامة؟ ٤٤٠

هل يجوز أن نطلق صفة لله بدلالة الالتزام من غير أن يكون فيها نص ثابت، كمن يقول: يلزم من صفة المجيء الحركة؟ ٤٤١

هل الظل في حديث: «يوم لا ظل إلا ظلُّه» فيه صفة لله تعالىٰ أم هو ظل العرش ؟ ٤٤١

هل يجوز للمعتكف في الحرم المكي الخروج إلىٰ مجالس العلم علمًا أنه لا يوجد علماء في بلده، وإن لم يكن جائزًا فأيهما أفضل الاعتكاف أم مجالس العلم ؟ ٤٤١

ورد عن بعض المشايخ أن أهل السنة لا يُمكنون أهل البدع من صلاة الاستسقاء لأنه لو نزل الغيث قد يغتر الناس بهم، فإذا كان أهل البدع في بلادنا هم القائمون علىٰ صلاة الاستسقاء هل يُحضر لمثل هذه الصلاة ؟ ٤٤٢

لي دَيْن علىٰ شخص فقير يستحق الزكاة، فهل إذا وضعت عنه الدين بما يعادل زكاة الفطر أكون بذلك قد أخرجت هذا النوع من الزكاة؟ ... ٤٤٣

ما حكم لبس القبعات والتي قد يكون في بعضها زخرفة تشابه الصليب؟ ٤٤٤

* **أسئلة رسالة: «العلم أفضل ما تكسبه النفوس وتحصله القلوب»**..... ٤٤٧

ما حكم دعاء القنوت قبل العشر الأواخر، وهل كيفية الإتيان به حاليًّا مشروعة؟ ٤٤٧

رجل قام من النوم فشرب أثناء الأذان الثاني في الفجر ظنًّا منه أن ذلك جائز إلىٰ أن يكمل المؤذن الأذان، فما الحكم في ذلك؟ ٤٤٨

ما حكم بيع الهاتف الجوال الذي يحتوي علىٰ آلة تصوير؟ ٤٤٨

وُجد معنا في هذه الجلسة أحد شباب جماعة التبليغ، فما نصيحتكم
له بارك الله فيكم؟ ٤٥١
الحزبية هل هي مثل التبليغ ؟ ٤٥٦
نرغب من شيخنا توجيهًا لطالب العلم الذي يرغب في التحصيل
ولا يستطيع الرحلة ولا يوجد في بلده مشايخ يتلقىٰ عنهم ٤٥٧
يقول السائل: هل يقوم الإمام تمشية لإمامته ببعض البدع والمنكرات،
لأنه إذا ترك الإمامة خلفه أهل البدع الواضحون؟ ٤٦٢
فضل الصلاة في الحرم المكي عظيمة وأجرها عظيم، هل هذا يشمل
النوافل كذلك؟ وهل للمسافر أن يصلي الرواتب هناك ؟ ٤٦٣
ما حكم إعطاء زكاة الفطر نقدًا ؟ ٤٦٤
تبت إلىٰ الله ﷻ من مظالم الناس، لكن لم أجد بعض من ظلمته
لأرد إليه مظلمته، فقمت بتقييمها بقيمة النقد وتصدَّقت بها علىٰ
أخي الذي كانت له ديون علىٰ هؤلاء الأشخاص، فهل ما فعلته
صحيح؟ ٤٦٥
معتكف يخرج ليشتري الطعام ويتولىٰ هو بنفسه طهيه، علمًا أنه
ليس له أحد يخدمه، فهل يفسد اعتكافه؟ ٤٦٥
المتكلمون اليوم عن الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا كثيرون، فكيف

يتعامل طالب العلم مع أحكامهم؟ ٤٦٥
تخصيص صلاة التراويح بحزبين اثنين في اليوم لا يزيد ولا ينقص، هل هذا يدخل في البدع؟ ٤٦٦
بالنسبة للقاتل خطأ، هل الدية التي يتعارف عليها عرفًا وهي مال يسير يجزئ ؟ ٤٦٦
ما حكم المرأة تأخذ حبوب منع الدورة الشهرية لقصد أداء العمرة؟ ٤٦٦
أنا حديث عهد بالسلفية الحقة ولا أعلم ما أفعل الآن، فوجهني بارك الله فيك ٤٦٧
جئت معتمرًا، فهل يجوز لي الأكل من الطعام الذي يُتصدَّق به في الحرم، مع أني والحمد لله ميسور الحال، وهل علي إثم؟ ٤٦٧
رفع اليدين في القنوت مسألة يختلف فيها كثير من الشباب، فهل من توجيه في هذا الباب؟ ٤٦٨
بقية بن الوليد إذا صرَّح بالتحديث هل يُقبَل حديثه؟ ٤٦٩
يقول البعض أن الآثار التي وردت في صحيح البخاري ليست علىٰ شرطه، لأن اسم الكتاب هو: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه، فهل هذا صحيح؟ ٤٦٩
هل علىٰ امرأتي شيء في خطئها في تقديمها الركن اليماني علىٰ

الحجر الأسود، وهي تعتقد أن الركن اليماني هو الحجر الأسود؟ .. ٤٧٠
كثر في هواتف الجوال النغمات الموسيقية عند كثير إن لم نقل كل
الناس، فهل من توجيه فيها ؟ ٤٧٠
يقع في دعاء القنوت تطويل، فهل يلزمنا المكوث رافعي الأيدي
طوال هذه المدة؟ ٤٧١
بيع الجرائد التي تحتوي على الأبراج هل هذا يدخل في نشر الشرك؟ .. ٤٧١
زوجتي بها مس، وقد عالجتها -ولله الحمد- كثيرًا وكثيرًا، ولكن
تعبتُ وتعبت وهي معي لأداء العمرة غير أنها لم تُصَلِّ يومًا كاملًا؟..... ٤٧١
* **الفهرس** ٤٧٥

* * *